



ارثر شنتزلر

كاتب نمسوي من اشهر كتاب العصر الحديث . وُلِدَ سنة
١٨٦٢ وتوفي في السنة الماضية . راجع قصته صفحة ٢١٧

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الثاني من المجلد الرابع والثمانين

١٦ شوال سنة ١٣٥٢

١ فبراير سنة ١٩٣٤

علم الطبيعة بين عهدين

التحول في النظر الكوني

بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين

اكتب هذه الكلمة وأمامي صورة لافوازييه العالم الفرنسي العظيم الذي حزت عنقه بمقصلة الثورة الفرنسية ، بحجة ان زعماءها لا يحتاجون الى العلماء . كان لافوازييه أول من فسر تفسيراً صحيحاً فعل « الاحتراق » من الوجهة الكيميائية ، على انه اتحاد المادة المحترقة بالأكسجين . هذا الرجل الفرنسي العبقري ، لا يزال مذكوراً في كتب الطبيعة والكيمياء ، ببحثه الالمعي في ناموس حفظ الطاقة والمادة ، وهو من الاركان التي قام عليها علم الطبيعة في القرن التاسع عشر وقد انقضت نحو مائة واربعين سنة ، على تلك المأساة التي فقد فيها هذا العالم رأسه ، ونحن اذا تطلعنا حوالينا الآن وجدنا اننا في عالم جديد من عالمي الطبيعة والكيمياء فقد انقضت حاسة الاستقرار ، في هذين العالمين ، كأنهما كانا مضرين في الصحراء ، فهبت عليهما ريح عاتية اقتلعتهما وتركتهما مسفي للرمال . ولو انه اتيح للعالم لافوازييه ان يعود الى الارض من نحو ربع قرن او ثلث قرن فقط ، لما رأى في علم الطبيعة شيئاً يتكرر له . كان لا بد له ان يجد حقائق جديدة ، ومستنبطات كثيرة ، ولكنه ما كان يستطيع ان يتبين تحولاً في الاصول التي يقوم عليها العلم واذ كان الزمن يسير سيره الطبيعي متنقلاً من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ، كانت

عقول الرجال تحتتم بصور جديدة للطبيعة . واذا التجارب والنظريات ، توهن من مقام الآراء القديمة التي مضت في استحوادها على ميدان العلم من ايام لافوازييه الى ايام رنتجن في العقد الاخير من القرن الماضي . واذا نحن بين ليلة وضحاها من ليالي الزمان وأضحيتيه في غمار ثورة تقلب علم الطبيعة رأساً على عقب . فانهار كذلك البناء المستقر المشمخر الذي شاده علم الطبيعة في القرن التاسع عشر ، واصبحت امام مكتشفات لا يستطيع ان يصدقها من آمن بفرادي ومكسويل وكلفن ، مع انها تسير اليوم تحت الوية رجال أمثال بلانك واينشتين وطمسن ورذرفورد وملكن

واذا أنت سألت من تريد ، ممن درس علم الطبيعة الحديث ، ما رأيه في ناموس حفظ المادة — اي ان المادة لا تتلاشى وانما تتحول فقط — الذي قال به لافوازييه لاجاب انه يصدق في احوال الطبيعة كما نحسُّ بها نحن ، ولكن الايمان المطلق بصحته ، في عالم الذرِّ الدقيق ، قد انقضى عهده . كان الرأي القديم ، أن المادة مؤلفة من دقائق صغيرة صلبة ، لا يمكن ان تتلاشى . ولكن ذلك الرأي كان له عهد وانقضى . وأصبحنا اليوم نعتقد ، ان الجبال الدهرية الراسية ، والانهار الجارية ، وأجسامنا الحية ، وهواءنا الذي نتنفسه ، وهذا الورق الذي اكتب عليه ، وهذا الضوء الذي تبعثه الينا الشمس والكواكب ، انما هذه جميعاً دقائق من الطاقة الكهربائية ، أو هي حزم من دقائق الطاقة الكهربائية

فالطاقة والطاقة في أصلهما ، بحسب آراء العلم الحديث ، ترندان الى شيء واحد هو الطاقة الكهربائية واذاً فاحداها يمكن تحويلها الى الاخرى
واذاً فالطاقة يمكن ان تحول الى طاقة . واذاً فالطاقة لا تحفظ كما قال لافوازييه

ونحن لا نعدو الحقيقة ، ان قلنا ان علم الطبيعة الآن ، وهو في غمرات هذا الانقلاب الخطير ، مختلط عاليه بسافله . كان يظن في اواخر القرن الماضي ان علم الطبيعة علم مستقر ، وان مبادئه الاساسية ، قد كشفت جميعاً . ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر كشفت قواعد الميكانيكيات واخرج هوجنس نظريته الموجية في الضوء . وفي القرن التاسع عشر أيتد فرنل الفرنسي وينغ الانكليزي ، نظرية الضوء الموجية . وعلى هذه المباحث نهضت صورة الاثير المالىء لرحاب الفضاء ، وبني ناموس حفظ الطاقة ، وقام القول بان الطاقة المتحولة انما تتحول الى درجات اوطأ ولا يعكس أي ان الطاقة القصيرة الامواج القوية الفعل تتحول الى طاقة طويلة الامواج ضعيفة الفعل ، وكذلك محتوم على الكون ، في المستقبل البعيد جداً ، ان ينتهي من تحول الطاقة فيه ، الى طاقة لا قدرة لها على احداث التحول . وهذا ما يعرف بناموس الترمودينامكس الثاني . ثم جمع فرادي ومكسويل بين الكهربائية والضوء وقالوا بنظرية الضوء الكهربائية (من كهربائية ومغناطيس) اي

ان امواج الضوء تخضع لقوانين الكهرباء والمغناطيس . وبعد ذلك قام هرتز وأثبت وجود الامواج الكهرومغناطيسية التي أطول من امواج الضوء ، وكذلك افتتح عهد اللاسلكي العظيم ، الذي جرى في ميدانه ، لودج وبرانلي ومركوني وفلمنغ وده فرست وغيرهم

كانت هذه هي الاركان التي يقوم عليها علم الطبيعة في القرن التاسع عشر فلما ناوله القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ، كان ينتظر منه ان يحافظ عليه ، ويضيف اليه شيئاً هنا وشيئاً هناك ، من دون ان يتعدى عليه ، بالتحويل ، دع عنك التدمير والنقض

ولكن العلم ليس شديد الاحترام ، إلا للحقيقة . وهذا هو الانقلاب ، قد أقبل علينا في خلال ثلاثين سنة ، بخيله ورجله ، فلا نستطيع أن نقلت منها . اكتشفت أولاً أشعة اكس ، ثم فعل الاشعاع ، فثبت ان المادة ليست دقائق مستقرة لا تتحول . ثم كشف طمس الالكترن ، فبين ان الذرة التي كانت تحسب كالكرة الصلبة ، انما هي مركبة من دقائق اصغر منها . ثم كشف الراديو ففتح ميدان البحث في تحويل العناصر أمام العلماء ، وعند الحد الفاصل بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، أعلن بلانك ، ان الطاقة - الضوء والحرارة وغيرهما - ليست متصلة البناء ، بل هي كالمادة ذرية البناء ، وهذا هو المبدأ الذي تقوم عليه نظرية الكم ، كما تدعى ، ونظرية « المقادير » كما نحب ان ندعوها ، لان مقدار ترجمة Quantum وهو اسم النظرية في اللغات الاجمعية . فاقترضت هذه النظرية اعادة النظر في نظرية الضوء الموجية ، فوجد العلماء انفسهم في مأزق ، وهم الآن يحسبون الضوء دقائق أو مقادير من الطاقة تسير سيراً موجياً ، ولكن المخرج التام من المأزق لم يكشف بعد

ثم جاء اينشتين ، وبنى على تجربة قام بها العالم الاميركي ميكلسن ، فادخل فكرة النسبية واستغنى عن اثير القرن التاسع عشر ، وقال انه من المستحيل علينا التوصل الى معرفة الحركة المطلقة لان كل حركة انما تتم بالنسبة الى مشاهداتها فتختلف في اتجاهها وسرعتها في نظره عنهما في ناظر مشاهد آخر . وجبك من الزمان والمكان شيئاً جعله وحدة الكون الطبيعي او ما يدعوه بالحادثة (Event)

ولم تمض سنوات ، حتى بدا لنا كأن حلم الكيماويين الاقدمين قد بدأ يتحقق . وها هو ذا رذرفورد ، وغيره من علماء الطبيعة يطلقون المقذوفات المنطلقة من الراديو ، وغيرها من المقذوفات التي يصنعونها هم ، على ذرات العناصر ، فيحولونها ، فيجعلون النروجين اكسجيناً ، والليثيوم كربوناً . انهم يحولون العناصر ، ولكنهم لا يبعثون صنع الذهب ، بل يبحثون عن الحقيقة ، وهي عندهم أغلى من الذهب وأثمن من البلاتين

وقد تحول كذلك النظر الى السماء فالكون يمتد وراء المجرة الى مجرات اخرى وهي كلها تتفرق جميعاً كأنها نثار قنبلة قد انفجرت . ومن رحاب الفضاء تهيئنا أشعة قوية النفوذ والاختراق للاجسام بحسبها

ملكنا دلائل على تكون العناصر الثقيلة في رحاب الفضاء ويقول جينز أنها اشارات الى فناء المادة في تحولها الى اشعاع . فالاول يقول ان الكون يبتدىء حيث ينتهي اذ تتحول الطاقة الى مادة ، ولما الثاني فيقول ان الطاقة اذا تحولت الى طاقة ضعيفة بحسب ناموس الترموديناميكس الثاني ، فلن ترتد وأدهى من كل هذا ان العالم هيزنبرج الالماني ، اثبت انه اذا تغلغلت الى عالم الالكترونات تعذر عليك أن تؤمن بأن في الطبيعة سبباً ومسبباً او علة ومعلولاً ، فناموس السببية يضعف عند ما يدخل عالم الالكترونات وهذا ما يعرف عند علماء العصر بمبدأ عدم التثبّت Principle of Uncertainty ، ومن هنا ما يدعى أزمة العلم الحديث

وازمة العلم الحديث شبيهة بأزمة الاقتصاد الحديث . فالازمة الاقتصادية هي أزمة «كثرة وفيز» اكثر منها ازمة «فقر واحمال» . كذلك في العلم . ففي عصر حافل بنشاط علمي يضاهي عصر غليليو ونيوتن ، نسمع لغمة حيرة تتردد في المحافل والجامع . فكأن العلم بعد ما غزا الطبيعة فقد ثقته في نفسه . فارتبك وتجلجل . ذلك ان الثورة التي طغت على العلوم الطبيعية الحديثة ، فقلبت اوضاعها الاساسية جعلت العالم والعلمي سواء ، في اعتقادها ان النظريات العلمية غير كافية للاعراب عن الحقيقة بل لها رتبان في أن الطبيعة يمكن ان تكون حقيقة كما يصورها لنا رجال العلم ، محدثوهم وقدماءهم على السواء فالرجال الذين يعالجون نظرية المقدار يقولون ان الاوليات العلمية وناموس العلة والمعلول تهاوى بين ايديهم اذ يحاولون تطبيقها على الالكترون والبروتون . ولما كانت كل الاشياء المادية مبنية من الكتلونات وبروتونات فمعنى قولهم هذا أنهم لا يؤمنون بعد الآن في السببية او الجبرية . يقول اينشتين ان الايمان بناموس السببية مهدد اليوم من قبل أولئك الذين انار هذا الناموس سبيلهم - اي علماء الطبيعة . فكأن قول الفيلسوف كونت لما حذر العلماء من التماذي في النفوذ الى ما وراء المكروسكوب من اسرار الطبيعة ، قد صحَّ بخذافيره

كان كونت ناقماً - لما قال قوله هذا - على علماء الاجتماع ، الذين يريدون أن يتعدوا درس مظاهر الاجتماع الى البحث في الاسباب الاولى ففقداهم ذلك الى الشقاق والفوضى . نخشي أن تصاب العلوم الطبيعية بما أصيبت به العلوم الاجتماعية ، اذا شرع علماء الطبيعة في البحث عن الاسباب الاولى . وكان رأيه ان يكتفي العلماء ، بتخطيط الظواهر الطبيعية ، من حيث انتظامها العملي ، لتكون مرشداً للإنسان في حياته اليومية ، لأنه اذا حاول العالم ان يتقصي النواميس الطبيعية كما هي وراء مظهرها الواقعي ، فقد يجد أنها ليست مطلقة ، وأنها لا تخرج عن كونها احتمالات ، لا نواميس على الاطلاق . ولكن العلم لم يأبه لنصح الفيلسوف ، وها هو ذا مرتطم محير لا يعرف من المأزق مخرجاً

ولا ريب في أنه من المستطاع ان يقام الدليل على ان سرعة تقدم العلوم قد بلغ بها رأس منحدر

أخذت تنزلق من شاهقه الى سفحه . فبرتراند رسل الفيلسوف الانكليزي يبدي قلقه من وجود الهوة التي نشأت بين الصور المجردة التي رسمها العلم الحديث والصور التي رسمها ويدركها الذهن البشري . وكان العلم الحديث أصبح برج بابل جديد تبلبلت فيه اللسنة ، فلا يفهم الجمهور الثاوي عند قاعدته ، ما تقوله الخاصة المقيمة على قمته

والاثر النفسي للانقلاب الذي أحدثه ايلشتين واتباعه فزعزع الصورة التي رسمها نيوتن للكون ، هو ان النظريات العلمية لا تخرج عن كونها شيئاً ذهنياً لا يطابق الحقيقة . يقول الاستاذ بر دجن احد علماء جامعة هارفرد « كنا نتوقع ان يكون هدف النظريات الطبيعية الكشف عن الحقائق الاساسية اما اليوم فاننا لانصر كثيراً على الحقائق الاساسية ، وذلك لاننا اضعف ثقة مما كنا في ان الحقيقة الاساسية ، التي كانت هدفنا ، لها اي معنى على الاطلاق »

بل ان حيرة ادنجتون وشككته اوضح من حيرة رسل وريبة بر دجن ، وهو يعبر عنهما بصورة شعرية اذ يقول بأنه واثق من اننا لا نستطيع ان نكشف بالعلم ، الا آثار خطانا على الرمل ، واننا لا نستطيع الخروج من التعميم الصادر عن ذواتنا ، الا في « علم المقدار » وهناك نكتشف ان ليس للطبيعة نظام معقول . فكل النواميس التي نصوغها ليست الا نواميس مصطنعة وان التاموس الوحيد ، هو ان ليس في الطبيعة تاموس

وقد نستطيع ان نمضي في سرد اقوال العلماء والمشتغلين بالعلم ، التي من هذا القبيل ، فنرسم حالة العلم في العقد الرابع من القرن العشرين ، صورة قائمة تبعث القنوط في النفس ، ولكن هل هذه الصورة تمثل الحقيقة والواقع

لا يحتاج الكاتب الى ان يكون فيلسوفاً عملياً ، لكي يؤمن بالقول المأثور « من ثمارهم تعرفونهم » . فاذا نظرنا الى العلم هذه النظرة ثبت لنا في الحال ان القول بانهيارد سابق لاوانه على الاقل ، لاننا لا نعرف عصرأ ، يفوق هذا العصر ، في كثرة ما انتجه العلم من الثمار . ولا نحن نستطيع ان نحسب نظرية النسبية ، صورة ذهنية غير مطابقة للحقيقة ، بعد ما ابتدتها المباحث في مختلف فروع البحث الطبيعي والفلسفي ، حتى في ميدان نظرية المقدار حيث ثبت ان النواميس العالمية ليست الا احتمالات كبيرة ، وان المبدأ الاساسي في الطبيعة هو مبدأ الصدفة لا مبدأ الحتم . هنا يتبين لنا عند انجلاء الغبار من ميدان المعمة ، ان القول بأن النواميس الطبيعية ليست الا احتمالات كبيرة ، لا يضير العلم ، وانما يضير كرامة العالم فقط او ما يحسبه العالم كرامته ، لانه كان يقول بأن النواميس العالمية التي اكتشفها نواميس مطلقة . ولعلنا نجد في هذا القول ما يطأنا الى حين

فؤاد صروف

المصطلحات العلمية

والفاظها العربية

للمبر مصطفى الشراي

كلما تناول احداً معجراً علمياً باحدى اللغات الاوربية الكبيرة وأخذ يقلب صفحاته التي لا تحصى يهوله ما تحويه تلك الصفحات في طياتها من آلاف الالفاظ في العلوم والمخترعات الحديثة ويروعه ان تكون لغتنا العربية خلواً منها او من معظمها ويشوقه ان يظل الناطقون بالضاد صافين عن الاخذ بيد هذه اللغة المباركة لاهين عن جعلها تتسع لعلوم هذه الايام كما اتسعت لعلوم الاقدمين في السنين الخوالي . واذا ما تحدثت في هذا الامر مع الذين درسوا العلوم الحديثة بلغة اجنبية اجابك جمهورهم بانهم يأثسون من صلاح لغتنا للاغراض العلمية في عصر الناس هذا فهي اذن على ما يرون مقضي عليها ان عاجلاً وان آجلاً . لكنك اذا استقصيت بواعث هذا الاعتقاد القاتم فيهم رأيتنا تنحصر في شيئين الاول جهلهم اسرار اللغة العربية ومكان من الحياة فيها والثاني قلة ثقهم بكفاءة من جعلوا انفسهم او جعلتهم السياسة قوامين على هذه اللغة افراداً كانوا او جماعات او حكومات فالجهل بوسائل النمو في اللغة العربية لا يستلزم فقد هذه الوسائل لانها موجودة يعرفها كل من جد في طلبها وهي كامنة في اللغة لكنها تحتاج الى من يثيرها من مرقدها ويبعث فيها الروح فتعود الى الحركة وتعود العربية معها الى الحياة . ويتضح من ذلك ان السر في جود لساننا ليس منبعثاً عن قصور هذا اللسان بل عن تقصير ابنائه وعن اهمال الحكومات التي تتكلم به . وقبل اثبات هذا الاهمال وذاك التقصير لا بد لنا من ذكر اهم حاجات لغة الضاد وذكر الذين يمكنهم ان يضمّنوا لها تلك الحاجات . فما تحتاج اليه العربية قبل غيره اصبح شيئاً معروفاً لكثرة لوك الالسنه له ووفرة سيلان الافلام به على القراطيس . وخلاصته ايجاد الفاظ عربية او معربة لاجتات العلوم العصرية والمخترعات والمصنوعات والادوات الحديثة وهي آلاف مؤلفة من الالفاظ . ولا بد لمن يتصدون لوضع هذه الالفاظ من ان يجمعوا بين امور ثلاثة وهي اولاً الاختصاص بعلم او فن وممارسته نظرياً وعملياً ثانياً التغلغل في سرائر اللغة العربية ولا سيما فيما يتعلق بذلك العلم او ذلك الفن ، ثالثاً اتقان لغة واحدة على الاقل من لغات اوربا الغنية بالعلوم والفنون . ولقد قلت في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي انه اذا فقد شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة فقدت معه معظم الفوائد التي ترجى من يودون اصلاح لغة الضاد والعمل في احيائها بايجاد الالفاظ اللازمة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة

واذا نعمنا النظر في مواهب علمائنا واستعرضناهم واحداً واحداً نجد هذا فقيراً باللغة العربية علماً بصرفها ونحوها وبيانها وبديعها وعروضها لكنه مجهل حتى مبادئ العلوم الحديثة التي يتعلمها الصبيان في المدارس . وذلك قد درس العلوم واتقنها بلغات اجنبية لكنه لم يحفل بلغته ولم يصمد لمدرستها فظلت صلاته بها متراخية . وثالث حصل على الشروط الثلاثة التي ذكرتها لكنه اغتر بنفسه وجمّلها فوق طاقتها فراح يؤلف الموسوعات او المعاجم العلمية ويضع الالفاظ جزافاً وفاته ان عمر الانسان اقصر من ان يحيط بعلم واحد من العلوم الحديثة وان العالم الحق ربما افنى زهرة عمره في الفاظ هذا العلم دون ان يستوفى كلها . ولهذا لا بد لمن يحشّم نفسه وضع الالفاظ بالعربية من ان يقتصر في عمله على الالفاظ المتعلقة بعلم اختص به واطلع على دقائقه . وقبل ان يبحث عن السبل التي يجب ان نسلكها في وضع الالفاظ للمصطلحات العلمية يفيد ان اذكر كيف اهتدى الاوربيون الى آلاف الكلمات التي اضافوها الى لغاتهم وما هي الطرق التي ساروا عليها للوصول الى هذا الهدف . ولنتمثل باسماء النباتات لان في حديثها لذة ولانه جرت مراسلات فيها لا تخلو من فكاهة بيني وبين مسيو غانيوبان احد علماء النبات الاختصاصيين في متحف الموالييد الفرنسي في باريس وهو صاحب معجم مخطوط في اشتقاق اسماء الاجناس النباتية وله رأي قويم في صدد هذه الاسماء

تسمية النبات

لنفرض ان عالماً نباتياً رحل الى مجاهل افريقيا او فيافي الجزيرة او سهول الصين الفسيحة يلتقط الاعشاب ويتعرف اليها حتى اذا عثر على نبتة لا يعرفها راح يدرس تحليلتها اي صفاتها النباتية فاذا بها مما لم يدرسه احد قبله فالتبته اذاً جديدة لدى النباتيين وعليه اذن ان يضع لها اسماً جديداً . واول اسم يتبادر الى ذهنه اسم نفسه تنوياً به وتحليداً له جزاء ما يلقاه ذلك العالم من النصب في عمله الشاق . وهذا شيء مستملح لا غبار عليه البتة وليس بامكان احد ان يستقبح إثارة النفس على الغير في مواضع كهذه . لكن صاحبنا النباتي له اسم واحد فاذا اطلقه على العشبة الاولى التي كان اول موجد لها فبماذا يسمي النباتات الاخرى التي يعثر عليها وقد تكون كثيرة تعد بالعشرات . وهنا يحول في خلد تسمية النبات باسم الاقليم او السكورة التي وجده فيها . ولكن اسماء الكُور في الشرق الاقصى او لدى زنج افريقيا كثيراً ما تكون ثقيلة على السمع لتناثر مخارج حروفها او لغير ذلك من الاسباب فيعني على باله اطلاق اسم احد العلماء على ذلك النبات فيستعرض أسماءهم فيرى ان كلاً منهم قد نسب اليه نبات من النباتات من قبل احد النباتيين الذين تقدموه ، ولهذا يقف صاحبنا يائساً من ايجاد اسم لعشبتة في هذه الناحية ايضاً فيتجه الى نواح اخرى أهمها درس صفات العشبة المذكورة في اوراقها او ازهارها او غير ذلك من اعضائها حتى اذا وجد في احدها صفة بارزة سمى العشبة باللفظة اليونانية او اللاتينية التي تدل على تلك الصفة ، وهكذا يظن النباتي انه اوجد اسماً جديداً لجنس النبات الذي عثر عليه . لكنه كثيراً ما يتفق ان اجناساً نباتية اخرى تكون

حائزة على الصفات نفسها وان احد علماء النبات كان اطلق اللفظة اليونانية المذكورة على جنس نباتي آخر فيرجع صاحبنا بالخبيرة ويعود الى التفتيش عن صفات بارزة اخرى في عشبته او يطرق ابواباً لم يطرقها بعد كتسميتها باسم احد الآلهة الاقدمين او بالاسم الذي يعرفها به اهالي تلك البلاد او بالصفة الدالة على أهم ما فيها من الخواص الطبية او الصناعية الخ

يتضح مما مر ذكره ان علماء النبات منذ القرن السابع عشر الى اليوم قد لقوا عرق القربة من وضع اسماء علمية لاجناس النباتات العديدة فلا غرابة اذن ان يجمي بعض هذه الاسماء ثقيلاً على الاسماع فليس كل نبات يدعى حنطة او شعيراً او تفاحاً او رماناً بل هناك الوف من الاجناس ومئات الالوف من الانواع والاصناف النباتية ليس لها اسماء حتى في ارق اللغات الاوربية . ومن المستحيل ان يجمي كل الالفاظ التي توضع للدلالة عليها خالية من كل شائبة . والحال واحد في كثير من العلوم الاخرى كعلم الحيوان والجيولوجية والمعدنيات والطب والحشرات والآلات الزراعية والصناعية وغيرها فهي كلها تحتاج الى وضع آلاف مؤلفة من الاسماء العلمية التي تسمو عن متناول العامة ولا يحفظها سوى الخاصة من الناس . ويلخص ما قلناه عن اسماء اجناس النباتات العلمية وعن الطرائق التي اتبعها العلماء العشابون في وضعها ان تلك الطرائق هي اولاً تسمية النبات باسم الذي كشف عنه كقولنا لينيا وفورسكاليا فهما نباتان منسوبان الى النباتيين المشهورين لينوس وفورسكال . ثانياً نسبة النبات الى المدينة او الكورة او الاقليم حيث تكون منابته الطبيعية كلفظة ادينيا فهي من عدن العربية وقد وضعها فورسكال للدلالة على نبات وجده في عدن . ثالثاً الاحتفاظ بالاسم الذي عرفه الاقدمون كليونان والعرب مثل كوفيا فهي من القهوة وبستاسيا من الفستق وموزا من الموز وكلها مأخوذة من العربية . رابعاً نسبة النبات الى احد العلماء او الملوك او الحكام المشهورين ممن احبوا العشابين وعطفوا عليهم واعانوهم في اعمالهم الشاقة مثل دروينيا فهي منسوبة الى العلامة دروين الشهير وكوبرنيكيا فهي تحلة نسبوها الى الفلكي كوبرنيكوس وهكذا . خامساً نسبة النبات الى احد آلهة الاقدمين من يونان ورومان وغيرهم مثل مركورياليس فهي منسوبة الى مركور (عطارد) إله الفصاحة والتجارة عند اليونان ، وأبولونيكا فهي باسم أبولون إله الشعر والصنائع النفيسة وغيرها عند اليونان والرومان ، وباسيفلورا اي زهرة الآلام (يسمونها الساعة في دمشق) فهي تدل على آلام المسيح لان زهرة هذا النبات تشبه خشبة الصليب ومسامير العذاب . وسماها الدمشقيون « ساعة » تشبيهاً لها بميناء الساعة وعقربها . سادساً تسمية النبات بالنعوت الدالة على بعض خواصه الطبية او الصناعية او غيرها مثل بلسموناريا ومعناها عشبة الرئة لانها تستعمل في بعض امراض الرئة . ومثل متريكاريا ومعناها عشبة الرحم لانهم كانوا يستعملونها في امراض الرحم . سابعاً الاحتفاظ بالاسم الذي يطلقه سكان البلاد الاصليون على النبات المبحوث عنه . مثال ذلك إتسوغة وهي لفظ يابانية تدل على شجرة مشهورة من اشجار الفصيلة الصنوبرية . ومثل سكوبا

وهي تطلق في كليفورنيا على « الشجرة الجبارة » المنسوبة الى الفصيلة الصنوبرية ايضاً .
 ثامناً الرجوع الى صفة بارزة من صفات النبات وتسميته باللفظة اليونانية التي تدل على تلك الصفة .
 وهذا الشكل في وضع الاسماء هو الاعم مثال ذلك النبات المسمى أسبيديسترا من الفصيلة الزنبقية
 فهو مبذول في بيوت دمشق وأراه امامي وانا اكتب هذه المقالة . فهذه اللفظة معناها الدُرَيْقَة
 اي الترس الصغير لان زهرته ميسماً لميئاً غليظاً على شكل قبة مستديرة محدبة تغطي الزهرة
 كغطاء القدر . ولنتمثل ايضاً بنبات ثان تمثل به صاحبنا العالم النباتي الفرنسي الذي ألمعت اليه وهو
 النبات المسمى اكريدوكربوس فان هذه اللفظة مركبة من لفظتين يونانيتين معنى الاولى جرادة
 ومعنى الثانية ثمرة . فترجمة الاسم العلمي اذن عشبة الثمرة الجرادية او الجرادية الثمرة . وفي الحقيقة
 اذا التى الانسان نظرة على ثمرة هذا النبات رآها تشبه جرادة طائرة مبسطة الجناحين . وأسماء
 النباتات التي وضعت على هذه الطريقة تعد بالالوف ولهذا يقولون ان اليونانية واللاتينية هي لغات
 الاوربية معين لا ينضب . ولهذا ايضاً ترى علماء النبات يشعرون بماهية النبات من تلاوة اسمه .
 والعكس بالعكس اي اذا كان النباتي قديراً في صنعته يدرك من نظرة يلقيها على نبتة من النباتات
 اهم صفات تلك النبتة كما يدرك الاسم الذي يجب ان يكون وضع لها . تاسعاً اتباع طرق شاذة في
 وضع اسماء النباتات كأن يكون النبات منسوباً الى أحد العلماء لكن اسم هذا العالم طويل يصعب
 التلفظ به فيجرفونه ويختصرونه حتى يساس على اللسان ويرن جيداً في الاذن . وكأن يبدلوا مكان
 الحروف في اسم احد النباتات اي يستعملوا القاب المعروف في اللغة العربية ويخلقوا على هذا الشكل
 اسماً جديداً لنبات جديد . ومما يتفق لهم ايضاً ان يضيق العالم بالامر ذرعاً فيضع للنبات اسماً لامي معنى له
 كلفظة لوازا الدالة على زهرة معروفة فانها لامي معنى لها وقد ركبها ادنسون من حروف وردت على خاطره عفواً

النقل الى العربية

اما وقد عرفنا كيف وضع العلماء الاوربيون اسماء لذلك العدد العظيم من النباتات اصبح من
 السهل علينا استنتاج السبل التي يجب ان نسلکها في وضع الفاظ عربية او معربة لها . واذا أنعمنا
 النظر في قائمة اجناس النباتات نجد منها عدداً عرفه اجدادنا ووضعوا له اسماء عربية او عربوا
 اسماء اليونانية كما نجد عدداً لم يعرفوه . فالقسم الاول ندع الفاظه العربية او المعربة على حالها
 ونستعملها كما وردت في كتب العشائين والاطباء كابن البيطار وغيره بعد التثبت من صحة اللفظة لان
 النساخ وعمال المطابع كثيراً ما يعبثون بها

اما القسم الثاني فهو الاثم بل هو بيت القصيد لان ما جهله اجدادنا من النباتات يبلغ اضعاف
 ما عرفوه منها . ففي هذا القسم أرى ان نسير في وضع الاسماء للمسميات على الطريقة الآتية . وهي :
 اولا اسماء الاجناس النباتية المنسوبة الى افراد من الناس (علماء ومملوك وحكام وغيرهم) او الى
 آلهة القدماء فهذه يجب ان تعرب إما بأن تترك على حالها واما بأن تجعل بصيغة النسبة . مثال ذلك شجرة

مكشوراً فهي منسوبة الى المواليدي الاميركي المسمى مكشور. ولذلك نسميها مكشوراً كما هي اللفظة العلمية او مكشورية بصيغة النسبة . ولا يجوز لنا ان نعثر بتلك اللفظة واشباهها لانها انما وضعت للتنويه باسماء العلماء واصحاب السلطان من محبي العلوم ومن حق هؤلاء على الناس أن لاتضيع اسماءهم عملاً بارادة النباتيين الكاشفين الذين سموا النباتات بتلك الاسماء . لكنه من البديهي انه اذا كان يوجد بلساننا لفظة عربية فصيحة تدل على نبات لفظة العلمية منسوبة الى احد العلماء فمن واجبنا في هذه الحال ترجيح اللفظة العربية . ومن الامثلة على ذلك البقلة التي تطلق عليها لفظة العكوب فان اللفظة العلمية التي تدل على جنس هذا النبات هي غونداليا وهي محرقة عن اسم الطبيب الالماني غوندلشيمر فنحن لسنا بحاجة الى تعريب اللفظة العلمية المذكورة ما دام يوجد لدينا لفظة عربية ترادفها . ثانياً اسما الاجناس النباتية المنسوبة الى مدينة او كورة او اقليم فهذه ايضاً لابد من استبقائها على حالها او جعلها بصيغة النسبة شريطة ان يرسم الاسم كما يرسمه العرب فيقال عدني لا أدني للنبات الذي يسمونه ادنيا وهكذا . ثالثاً اسما الاجناس النباتية الموضوعة بلسان سكان البلاد التي عثروا فيها على تلك النباتات . فهذه ايضاً يجب ان نعربها ولنا اسوة في ذلك باللسان العلمي وبجميع الالسنه الاوربية الكبيرة رابعاً اسما الاجناس النباتية الدالة على صفة بارزة من صفات النباتات . فهذه الاسماء (وعدها هو الاكبر) تترجم الى العربية بمدلولات معانيها فيقال اذن الدب للنبات المسمى اركتوتيس وزهرة الرمال للنبته المسماة اريناريا وشجرة البهاء للشجرة التي تدعى كالودندرون الخ . وليس من المناسب على ما ارى تعريب هذه الالفاظ العلمية كما شاهدت في بعض الكتب والمعاجم العلمية العربية لان تعريب هذه الاسماء اي نقلها الى العربية على حالها يدل على ان الناقل يجهل معناها الاشتقائي او على انه لم يحشم نفسه تحري هذا المعنى اثناء النقل . وهو ملوم في الحالين وهنا اصل الى مسئلة لم تعرض لها بعد في هذا المقال وهي ان اسم النبات العلمي يكون في العادة مركباً من لفظتين الاولى تدل على الجنس والثانية تدل على النوع . فكل ما اورده الى الآن يتعلق باللفظة الدالة على الجنس وهي المهمة . اما اللفظة الدالة على النوع فانه يكون لها معنى في معظم النباتات ولهذا يجب علينا ان نترجم هذا المعنى الى العربية لا ان نفعل كما فعل بعض اصحاب المعاجم العلمية الذين اكتفوا بتعريب لفظة النوع جهلاً منهم بمعناها اللاتيني . مثال ذلك « كبانولا برانا » ومعناها الجريس الملتحي فلفظة كبانولا تدل على الجنس وقد ترجمناها بمدلولها وفاقاً لما مر ذكره ولفظة برانا تدل على النوع وهي صفة معناها الملتحي فلا يجوز ان نعربها بل ينبغي ان نترجمها بلفظة الملتحي وهكذا في كل الالفاظ الدالة على النوع اذ نقول الجريس النيدل والجريس المجتمع الزهر والجريس الكبير الورق والجريس الخدروفي الخ . واللغة العربية تتسع لكل الاسماء التي لها معانٍ من هذا القبيل . والدليل على ذلك انني اوجدت في « معجم الالفاظ الزراعية » نحو الفلفظة عربية تدل على نباتات زراعية ما كان يعرفها اجدادنا وليس لها اسماء بلغتنا . وقد نشرت قسماً من هذه الالفاظ مع مرادفها

من الالفاظ العلمية في رسالة اسميتها الرسالة النباتية طبعها مجمعا العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٢
 اما الاسماء الدالة على الصنف او الضرب النباتي فعددها كبير جداً ويندر وجودها في المعاجم
 بل توجد في كتب الازهار والاشجار والكتب الزراعية والنباتية المهمة . واذا كان للفظ التي تعبر
 عن الصنف معنى من المعاني التي لها لفظ بالعربية ترجمنا معناها والا تركناه على حاله وعربناه اضطراراً
 كما يفعل الاجانب عند ما ينقلون الى لغاتهم اصناف بلادنا فهم يقولون مثلاً قمح حوراني وبلدي
 ونورسي وعنب داراني وزيني وقاصوفي تاركين ألفاظ الصنف على حالها . وقد ازداد عدد الاصناف
 النباتية ولا سيما الزراعية منها حتى عجز ارباب الزراعة المشتغلون بأيجاد الاصناف الجديدة عن ابتكار
 اسماء لها لذلك نراه احياناً يرقونها بأرقام تدل عليها او ينسبونها الى اشخاص من اقاربهم او اصدقائهم
 او صديقائهم او حبيبتهم . وربما سموها باسماء خيلهم او كلابهم او حقل من حقولهم او مكان يمثل
 ذكرى من ذكرياتهم وهكذا . واذا اردتم امثلة على ما ذكرت راجعوا مئات الاصناف من الورد او
 البغونيا او الاقحوان او غيرها من الازهار والياحين واشجار التزيين والكروم ولا سيما الهجن
 الاميريكية من الكروم المستعملة مطعمة لانقاء اضرار حشرة الفيлокسيرا المشهورة

ومرء الاعراض وردّها

هذا يجمّل في اجناس النباتات وانواعها واصنافها وفي كيفية نقل كل منها الى العربية . وربّ
 معترض يقول كيف ندخل على لساننا هذا الجيش الجرار من الاسماء العربية لنباتات منسوبة الى
 اشخاص او الى كور وقد تكون تلك الاسماء ثقيلة على السمع او خارجة عن الاوزان العربية فنجيبه
 بأن بعض الالفاظ العربية قديماً ومنها ما ورد في القرآن نفسه لا اوزان عربية لها كلفظة ابراهيم
 وابريس وخراسان وإطريف الخ . فلم يمنع ذلك اجدادنا من أخذها وادخالها في لسانهم . وقد ذكر
 اهل اللغة ان المعربات لا يشترط فيها ان تكون على الاوزان العربية لكنه لا بأس بتشذيبها حتى تصير
 على نهج كلام العرب واسلوبهم . اما ان يكون بعض الالفاظ المعربة ثقيلًا في الاذن فهذه مسألة
 لا يعتد بها كثيراً لان الاذن تألف بالممارسة اغرب الاسماء . والدليل على ذلك اننا لا نستثقل اليوم
 الفاظ كرويا وباذنجان وأنيسون وزرجس ونيوفر وعشرات من امثالها وكلها معربة قديماً . بل نكاد
 لا نستثقل لفظة بطاطس وبنادوري وطماطم وهي اشد وقعاً على الاذن من لفظة الكنهور التي لم رُق
 صديقنا الاستاذ احمد امين كما صرّح في «الرسالة» على حين ان لفظة الكنهور لازمة لنا في علم الجويات
 وهي أخف على السمع من مئات من الالفاظ العلمية الاخرى . بل يمكن استعمالها في الادب والشعر
 اذا وضعت حيث يجب ان توضع كما في البيتين الآتيين وهما من قصيدة لي عنوانها «حين الى القاهرة»

ان الكنهور في جوّ الشّام اذا كانون هاج اعاصيراً تغاديننا

من رائق الجوّ في مصر وقد نسمت ربّنا تداعب في الروض الياحينا

ولا يظن اننا نشكو وحدنا ثقل بعض الالفاظ العلمية وصعوبة التلفظ بها . فنحن والاوربيون

في ذلك سواسية لأن لغاتهم كلغتنا لا تهضم في بادئ الامر تلك الالفاظ لكن كثرة استعمالها تنتهي بجعلها قابلة للهضم . فلنا اذن اسوة بهم .

هذا بيان موجز في الوسائل التي اتخذها العلماء الاوربيون لوضع ذلك العدد العظيم من الاسماء للمسميات النباتية . وهذه هي الطريقة التي ارى وجوب اتباعها لنقل تلك الاسماء الى العربية . ولا اظن انه سبقني احد من كتّاب العرب الى ايضاح هذه الطريقة على الوجه الذي جلوته به ، وهي التي يجب اتباعها في ايجاد المصطلحات العلمية في العلوم السائرة كالحیوانات ومنها الحشرات والزراعة والطب وغيرها . وخلاصتها اولاً تحري الالفاظ العربية الاصلية والمولدة في كتب اللغة واستعمالها للدلالة على ما يرادفها من الالفاظ العلمية . وقد اوجدت بهذه الطريقة بضع مئات من الاسماء والافعال في «معجم الالفاظ الزراعية» مما لم يرد في المعاجم الاعجمية العربية ونشرت قسماً منها في مجلة مجمعنا الدمشقي بعنوان «الفاظ عربية لمعان زراعية» و «الوان الخيل وشياتها» و «اصطلاحات النباتات الدنيا» الخ . ثانياً ترجمة كل ما له معنى سهل الترجمة من الصفات والموصوفات . ثالثاً تعريب ما ينسب الى شخص او مدينة او كورة او غير ذلك من الاعلام وكذا كل ما يرجح ادخاله على حاله في متن اللغة كالراديو والفلم واشباههما وهناك طرائق غير ما ذكرت يمكن الرجوع اليها في بعض العلوم كعلم الحشرات مثلاً . فمن المعلوم ان الحشرات آلاف مؤلفة وانه ربما افنى المرء عمره في درس انواع رتبة من رتبها . وقد قلت في احدى مقالاتي انني اعرف عالماً اوروبياً اختصاصياً برتبة مُعَمَّدة الاجنحة سلخ عشرين سنة من عمره وهو مكب على انواع هذه الرتبة درساً وتقريباً ولما ينته بعد . وآخر لم يتناول من هذه الرتبة سوى فصيلة واحدة لا يتجاوزها الى غيرها من الفصائل . ومن المعروف ان لهذا الجيش الجرار من الحشرات اسماء علمية لكنه ليس لعدد كبير منها اسماء باللغات الاوربية حتى اللغات الكبيرة منها . ونحن لا نحتاج الآن الى وضع اسماء لغير ما يهمننا من الحشرات اي لغير التي لها تأثير في صحة الانسان وفي مرافقه الاقتصادية . فالحشرات التي تؤثر بنا وبزرعنا لا تتجاوز اليوم بضع مئات . وأما طريقتان في ايجاد اسماء لها الاولى الرجوع الى اصل اللفظة العلمية والى اشتقاقها وترجمة معناها اذا كان لها معنى سهل الترجمة او تعريبها اذا كانت منسوبة الى احد الاعلام وهي الطريقة التي تسكمت عليها باسمها في النبات . والطريقة الثانية اضافة الحشرة الى النبات الذي تستولي عليه كأن يقال سوسة الفول وذباب البرتقال وخنفساء الحنطة و فراشة الدقيق الشهباء وقلة الزيتون وبقعة الخطمي وقنصع ساق التفاح وأرقة القطن الخ . وهذه الطريقة اسهل من الاولى وأدلى على نوع الحشرة واضرارها . وهي متبعة في اللغات الاوربية لكثير من الحشرات وان كانوا يعدونها غير علمية . ومن البديهي ان اتباعها يتعذر كلما كان للنبات الواحد حشرات عدة تفتك به . ومع هذا فقد سهل علي العمل بها في «معجم الالفاظ الزراعية» تجاه جميع الحشرات التي يهمننا وضع اسماء لها . ومن الشواذ نقل المصطلحات الكيميائية فهي وان كان لها معانٍ يمكن ترجمتها لكن جمهور العلماء

على وجوب تعريبها وهو الاصلح فنقول كبريتات و حامض كبريتيك وهلم جرا لانه من الصعب ترجمة الادوات العديدة التي تضاف على اول اسم او على آخره فتقلب مدلوله الى مادة جديدة . ومن الشواذ ايضا اشتقاق افعال ونحت كلمات جديدة لا غنى لنا عنها وان كان الاشتقاق والنحت سماعيين . ولا يجوز ان تجمد اللغة لان قدماء النحويين او اللغويين افتوا بأنه لا يجوز لاحد ان يشترك او ينحت . ولو عاش هؤلاء في ايامنا هذه واطلعوا على العلوم الحديثة وما تستلزمه من الافعال والاسماء لكانوا اكثر تساهلا في هذا الصدد . ومن الامثلة على الافعال المشتقة حديثا سلفر اي عاج بالسلفور وبرعم اي طعم بالبرعم . ومما نحتوه اخيرا نَحْمَرُبة من تحت التربة وهي طبقة من التراب تكون تحت الطبقة السطحية التي يتناولها المحراث الخ . واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان الذين نقلوا كتب العلوم القديمة الى العربية و اضافوا الى لساننا مصطلحات عديدة لتلك العلوم ليسوا بلغويين ولا نحويين بل هم اناس هضموا تلك العلوم واخضعوا اللغة لاغراضهم فنمت وازدهرت . ومن هؤلاء ثابت بن قرة الحراني وسنان بن جابر الحراني والطوسي وابن الخصي والنسطوري وحنين بن اسحق وابن ماسويه وابن وحشية وابن البطريق وقسطا بن لوقا البعلبكي والحجاج بن مطر وغيرهم .

وعند ما بدت حاجتنا الملحة الى وضع الالفاظ العلمية الجديدة منذ اوائل القرن الماضي الى اليوم لم ينبر لها او لم يبرز فيها سوى من جمعوا بين العلم واللغة كاحمد ندى وعلي رياض واحمد حمدي الجراح وفنديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست وبطرس البستاني وبشاره ززل ويعقوب صرّوف ونقر من المستشرقين مثل فريتاغ ولين ودوزي وغير هؤلاء . اما اذا استعرضنا الاحياء الذين يعملون في انماء روعة اللغة العربية نجد ان جلهم رجال اختصوا بفن من الفنون علميا وعمليا فجعلوا يبحثون عن الالفاظ المتعلقة به فتميسر لهم الوصول الى ما يبتغونه او الى بعض ما يبتغون . والخلاصة ان حاجة اللغة العربية الى المصطلحات العلمية لا يسدها سوى الذين اشرت اليهم في بدء هذا المقال وهم الذين جمعوا بين الاختصاص بأحد العلوم واتقان قواعد اللغة العربية ومفرداتها والاطلاع على لغة واحدة على الاقل من لغات اربعة الغنية بالعلوم والفنون . اما ان نعهد الى النحويين واللغويين بوضع الفاظ في الطب والزراعة والرياضة والفلك والحيوان والنبات والحشرات واشباهها فعناء كما قال الدكتور يعقوب صرّوف رحمه الله « تخويلك قاضيا لطبيب الابدان وطبيباً تصوير الالوان » فعلماء اللغة يستعان بهم في مراجعة بعض الالفاظ وفي ضبط بعضها ونفعهم في هذا الباب لا ينكر . لكنه ليس من الصواب تحميلهم فوق طاقتهم وندبهم لغير ما اختصوا به . واتساع الفنون في هذه الايام لا يدع مجالاً في ميدان الاعمال المفيدة لغير الاختصاصيين من العلماء . وقد انقضى الزمن الذي كان الانسان فيه لا يعد عالماً ما لم يدرس العلوم باسرها وما لم يصنف فيها جميعاً . ولا شك أنه اذا تكاتف فقهاء لغتنا وعلمائونا الاختصاصيون بالفنون الحديثة على العمل معاً في سبيل هذه اللغة فظفنا من تكاتفهم ابعث الثمار وازكاها

وقفه في سلع

وهي المعروفة بوادي موسى او البتراء

للشيخ: فؤاد باشا الخطيب

تلك القبور ، وماثل الاطلال
لنفس بينهما وحول حاماها
ان ناح مرحز السحاب عليهما
هي (سلع) والبتراء ترجمة اسمها
وادل منه ومن معاهد انساها
فاذا العروبة هجته ممسوخة
واد تحف به الشوامخ ممعن
يندس آونة ويسنح نارة
متعرج يلتف غير معرج
فلو ان مرتاعا يروع مشردا
متجاوب الاصداى تسمع كلما
ان صرحت بالياس منه امدتها

* * *

شق الاديم الى الصميم مهرولا
ذكر القطين فجد يهبط خلفهم
قد كان منتجع العفاء ولم يزل
لمشمر بين البلاد ، محبّر
قلق المجاز كأن كل طمرة
غبرت تعص على الشكيم تغيظا
ترقب القدر المتاح تلفتا
ويهولها الامد السحيق كأنها

* * *

اشرفت منه على العصور تمثلت
ومشيت بين هدى وبين ضلال

وشققت جيب الارض من اطرافها
 وشهدت فيه مدينة منحوتة
 موصولة حجراتها بفنائها
 لبست اياة الشمس في الوانها
 والقصر نحو القصر ينظر شاخصاً
 ان ورع العبرات جاش اتيسها
 حتى انتهت اليه نضو كلال
 في الصخر تحت مشيد التمثال
 نقرأ على عمود لهن طوال
 وزهت بارع زخرف وصقال
 نظر المدله مؤذناً بزيال
 وهمت سجال منه بعد سجال

* * *

ومغارة وقفت حيال مغارة
 يتشعث الدرج الشتيت خلاها
 ومدرج في اثر آخر تال
 تخطوط أعسر او ديب نمال

* * *

بلد كأن يدا دحته فخر من
 فهنا الصخور على الصخور تحطمت
 او كالطاسم فوق مسهرق ساحر
 موت تطوف به الحياة وموقف
 تمضي القرون على القرون كأنها
 قلل الجبال ممزق الاوصال
 وهناك منه حقيقة كخيال
 في كل زاوية خبيثة حال
 خشعت لديه طوارق الاهوال
 وقد انحدرت اليه بضع ليال

* * *

فاظر الى الامصار كيف تنكّرت
 والى الانام تلفهم اكفانهم
 وانزع الى الملك المهيمن فوقهم
 وجدال دجال وسخف موسوس
 والى القضاء يصول كل مصال
 بعد الجهاد ونضرة الآمال
 فالعلم مل تنطس الجهال
 يتشدقان بطائش الاقوال

* * *

تلك الربوع فسل بها آثارها
 فلعل عن (موسى الكليم) محدثاً
 ولعل (طور سنين) بين هضابها
 واذا اقتبست من الخرائب حكمة
 واسمع فتم جواب كل سؤال
 بين التلاع يصيح والادخال
 باق كعهد الوحي غير مزال
 فلقد افدت غنى وحسن مآل

* * *

سبحان من يهب الحياة تبرعاً
 متصرف في الكون غير مفرط
 كتب الخلود على الوجود فلم يكن
 من قبل اي رضى واي سؤال
 يبني الجديد من القديم البالي
 في الموت غير تحول الاشكال

غلاب الموت

كيف قهر بانتنغ البول السكري بالانسولين

- ١ -

اي شأن لبانتنغ ، بل اي صلة له بالبول السكري ؟ انها لجراحة على العلم من هذا الجراح ا كان العلماء قد جمعوا قدراً كبيراً من الحقائق المتصلة بهذا المرض . ولكن بانتنغ كان براءاً من هذه المباحث جميعاً ، لانه لم ينو في حياته ان يكون طبيباً متوفراً على معالجة المصابين به . انتظم في الجيش الكندي في خلال الحرب الكبرى ، وذهب الى فرنسا ، فلم تبدُ عليه آيات الذكاء الخارق لافي المعاهد العلمية ولا في الجيش . ولكنه كان عنيداً ، لا يقرُّ بهزيمة . قيل انه جرح في ذراعه في خلال الحرب ، فأشار عليه الاطباء بقطعها والا تعرض للوت فصاح بهم ، « اني اريد ان احتفظ بذراعي » . وها هو ذا قد عاد من ميادين الحرب ، وذراعه لم تقطع

اشتغل فترة في مستشفى للاطفال في تورنتو ، ثم استقال وذهب الى بلدة صغيرة في اونتاريو ليمارس الجراحة فيها . فانتظر ثمانية وعشرين يوماً قبل ما جاءه المريض الاول . وكذلك ختم الشهر الاول من ممارسته الجراحية المستقلة ، بمريض واحد ودخل قدره ثمانون قرشاً . وفي نهاية الشهر تمكن من الفوز بعمل معيد في مدرسة طبية هناك ، وقد فعل ذلك لا لطموح علمي فيه بل لاجل العيش . فكان يقضي الليالي الطوال مكباً على كتب العلم بين يديه ، يعدّ الدروس لليوم التالي . ومضى على ذلك الى ان كانت ليلة ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٠

كان في تلك الليلة يطالع في وظيفة الغدة الحلوة (البنكرياس) فتغلغلت في نفسه حقيقة قديمة ولكنها خطيرة : اذا ازيات منا جميعاً الغدد الحلوة متنا بالبول السكري . كان في عهد الطب قد تعلم ان هذه الغدة تفرز في قناتها الى المعى الدقيق مفرزات خفية الفعل ، تساعد على هضم المواد السكرية والدهنية والنشوية في الطعام . جلس في تلك الليلة التاريخية يقرأ كيف استأصل منكوفسكى Minkowski الالمانى الغدة الحلوة من كلب سليم ، ثم خاط جاني الجرح في البطن حيث استخرجت الغدة ، وأحاطه بكل ضروب العناية ، وجعل يراقبه يهزل امام عينيه رويداً رويداً ، ويشتد ظمأه وجوعه ، ويضعف نشاطه ، ويزداد السكري بوله ، وفي اقل من عشرة ايام نفق ذلك الكلب بداء البول السكري . ثم اقبل على مباحث العلماء الآخرين فقرأ كيف اكتشف ذلك الالمانى الآخر - لانغرهانس Langerhans - اجساماً صغيرة في تلك الغدة ، كانت اشبه شيء بالجزائر في البحر مفصولة عن الخلايا التي تولد المفرزات الهاضمة وعلم ليلتها ان هذه الجزائر لا قناة لها ؟ فسأل نفسه وما الفائدة منها ؟

وخطر على باله في تلك الليلة ان يصرح لتلاميذه في اليوم التالي، ان هذه الخلايا — خلايا الجزائر التي كشفها لانغرهانز — هي ما يقينا من البول السكري بل لتستطيع ان تربط القناة الحلوة في كلب وتمنع مفرزاتها من الوصول الى المعى الدقيق ومع ذلك لا يصاب الكلب بالبول السكري . . . ولكن اذا استأصلت الغدة كاملة . . . ثم ان الباحث الاميركي اوغي Ogie كان قد بحث في الغدد الحلوة في اناس ماتوا بالبول السكري فوجد كمثل الخلايا المعروفة بجزائر لانغرهانز مريضة حائلة. هل تفرز هذه الخلايا هرمونا؟ هل تصب هذه الخلايا في الدم اذ تكون سليمة، افرازاً داخلياً يحتوي على مادة مجهولة، تمكن خلايا الجسم، من حرق السكر الذي في الدم، لتتناول من حرقه طاقة الحرارة التي تحتاج اليها؟ لم يسمع بعد ان احداً كشف هذه المادة المجهولة في افراز هذه الخلايا ها هوذا بانتنغ قد قضى الليلة يبحث في ما تقوله طوائف البحوث في انحاء العالم، كيف قضت سنوات تبحث عن هذه المادة المجهولة، وتحقق في بحثها. وها هي ذي الاحصاءات الطبية يؤخذ منها ان الوفاً من الرجال والنساء والشبان والشابات يموتون، بالبول السكري هز الاظلماء جوعاً. فكيف يستطيع احد ان ينتظر من بانتنغ اكسير الحياة لهؤلاء الناس المقضي عليهم. بل انك لو قلت له انه بعد ساعة واحدة فقط، سيكشف اول الطريق الذي يفضي به الى ذلك الاكسير، لضحك من قولك! وانقضى الهزيع الثاني من تلك الليلة التاريخية، وقام بانتنغ الى سريره، بعد بحثه المتقدم، ليأخذ قسطاً من الراحة، فوجد على المائدة قرب سريره، آخر عدد من مجلة « الجراحة والولادة وامراض النساء » وكان قد وصله في النهار ففتحه، ليتصفح مباحثه . . . مهلاً . . . اتفاق غريب . . . هوذا اسم يطالعُه من احدى الصفحات مقترناً بالغدة الحلوة! يكب على الصفحة التي فيها مقالة هذا الرجل. امرٌ عجيب كيف تحول موضوع الدرس، الممل، الى بحث أخاذ. ان هذا الكاتب يثبت، انه اذا سدت الحصى القناة الحلوة، ومات المريض، وشرحت غدته هذه تبين ان الخلايا العادية التي تولد الافراز الهضمي تكون قد ضمرت وضوّلت وحالت وماتت. واما الخلايا في جزائر لانغرهانز فسليمة سوية . . . طار النوم من عينيه . . . ان هؤلاء الذين تسد الحصى قنوات غددهم الحلوة لا يصابون بالبول السكري. اذا ثمة علاقة بين الاصابة بهذا الداء، وبين جزائر لانغرهانز. وعمد الكاتب الى الكلاب يشق بطونها، ويربط قنوات الغدد، ثم يخيط الجرح ويترك الكلاب تعيش عيشة سوية، ثم بعد ايام يشق بطونها ثانية، فيرى الغدد الحلوة حائلة، ولكن جزائر لانغرهانز فيها سليمة سوية . . . وهذه الكلاب لم تصب بالبول السكري

أوى بانتنغ الى سريره، ولكنه لم ينم اذ كيف ينم وفي دماغه عاصفة، وهو يحاول من دون وعي، ان يصل بين عملية الكلاب، وبين انقاذ المصابين بالبول السكري من الموت المحتوم. أليس ثمة وسيلة، لاستخلاص خلايا الجزائر السليمة في كلب، حالت بقية غدته، واستعملها في كلب مصاب بالبول السكري فيبقى على قيد الحياة؟؟ وفي الساعة الثانية بعد نصف الليل هب من سريره،

وكانَّ الهاماً هبط عليه ودون في دفتره : « اربط قنّاة الحلوة في الكلب . ثم انتظر ستة اسابيع الى ثمانية حتى تحول . ثم استأصل بقيتها واصنع منها خلاصة »
عندئذ استطاع ان ينام ، ولما استيقظ في الصبح ادرك انه لم يولد ليكون جراحاً

— ٢ —

ذهب بانتنغ الى الاستاذ مكلود Macleod رئيس قسم الفسيولوجيا في كلية الطب بجامعة تورنتو وها هوذا في مكتبه يحاول ان يستنجد بالالفاظ العامة الضخمة ، ليقع من الاستاذ الكبير ، موقع الاحترام والقبول . ولكنه لا يصيب الا تلك العبارات الثلاث البسيطة ، التي دونها في الساعة الثانية بعد نصف الليل ، قال اننا اذا ربطنا قنّاة غدة البنكرياس الخ وكان الاستاذ مكلود عالماً ، فأراد ان يعرف هل ما يقوله بانتنغ قد ثبت بالامتحان ، وتأييد بمباحث الاطباء والعلماء . ولعله اشار على بانتنغ في شيء من التعالي بوجود انصرافه بضع سنوات الى القراءة في تشريح الحلوة ووظيفتها . او لعله انقضَّ عليه كالصقر واثبت له في جملة او جملتين ، وهو العالم بكيمياء السكر في الدم ، ان بانتنغ يحفل هذا الموضوع الخطير كل الجهل . على ان بانتنغ كان رجلاً عنيداً ، راسخاً كالجمال لا تميد مع الريح ، فاعترف للعالم الكبير امامه انه لا يعلم الا اليسير من تشريح الحلوة ووظائفها وكيمياء السكر في الدم ، وانه لم يثبت بالتجربة ان ما يقوله صحيح ، ولكنه يحس في قرارة نفسه انه صحيح . وكلما اعاد مكلود في مسألة البرهان العلمي وضرورته ، بدأ بانتنغ يدين ، بان ما يحس به في قرارة نفسه لا بد ان يكون صحيحاً

ولا ريب ان الاستاذ مكلود يستحق الثناء من التاريخ ، لانه صبر على سماع هذيان الرجل واخيراً سأله ما يريد ، فقال عشرة كلاب ومساعداً وثمانية اسابيع ليثبت ... ما عجز عنه فطاحل العلماء فلما اخبر بانتنغ استاذهُ في الجراحة وغيره من اصدقائه الخلل ، بانه ينوي ان يبيع عيادته ، ويستقيل من عمل التدريس قالوا له جميعاً ان ذلك حمق وتهوّر ، وان حماسته لهذه الفكرة العارضة ، لا بد ان تحفَّ سورتها ، واثاروا عليه بالعودة الى بلده والمضي في عمله هناك . فعاد . ولكن هذه الفكرة ظلت مستحوزة عليه ، لا تفارقه . ما العمل وليس امامه معمل يجرب فيه ، ولا كلب يستل منه حلوته . فأكب على ما كتب في الموضوع يطالعه ، واهمل عيادته ، لانه كان اذا كلّت عيناه من المطالعة عمد الى التصوير وهو لا يدري من اصوله شيئاً

١٦ مايو سنة ١٩٢١ وها هوذا ، بانتنغ في جامعة تورنتو ، في غرفة حقيرة ، عالم لم يعين من قبل احد للبحث في موضوع اخفق فيه من سبقه من الباحثين ولا يتوقع ان ينال من احد اجراً ما ها هوذا في غرفة حقيرة ، وليس له فيها الا دكة من الخشب ، ومساعد لا يزال طالب طب في الحادية والعشرين من عمره وعشرة كلاب . كان هذا المساعد ، تشارلز بست Best بارعاً في قياس مقدار السكر ، في دم الكلاب المصابة بالبول السكري وبولها . وكان اوسع علماء من بانتنغ

بكيمياء السكر في الدم والبول ، لان بانتنغ كان يكاد لا يعرف شيئاً . ولعلَّ جهل هذين الباحثين ، كان اول باعث من بواعث نجاحهما ، حيث اخفق الآخرون لشدة تقيدهم بما عرف

أخذ بانتنغ الكلاب العشرة وبقر بطونها ، وربط قنوات الغدد الحلوة فيها ، فنجحت العمليات لانه كان جرّاحاً بارعاً . وانقضت سبعة اسابيع او ثمانية عليها وهو ينتظر . وفي اليوم السادس من شهر يوليو سنة ١٩٢١ ، أخذ كلبين من الكلاب العشرة وكانت كلهما مريحة لم يؤثر فيها بقر البطون ولا ربط القنوات ، وخدّرها بالكلوروفورم وبقر بطنيهما ثانية ، منتظراً ان يرى الحلوة في كل منهما ، وقد ضمرت وحالت ، بحسب نظريته فوجدها على حالتهما الطبيعية . سبعة اسابيع قد ذهبت عبثاً ، وليس في التجربة ما يدل ايسر دلالة على صحة ما احسَّ بصحته . ثم ما لبث ان تبين له انه قد شدَّ رباط القنوات ، فحدث فيها غنغرينا ، ثم تمت الطبيعة قناة اخرى ، صرفت فيها مفرزات الغدة . فأقبل على الكلاب الاخرى وبقر بطونها ، فوجد ان رباط القنوات لم يكن شديداً فيها كما كان في الكلبين السابقين ، وبحث فيها فوجدها قد ضمرت حتى لكاد يتعدَّ رجليه ان يجدها كان مكلود قد سافر الى اوربا ، ليزور معاهد العلم او ليتنزّه ، ومن مفاخره انه لم يأمر بطرد بانتنغ من الجامعة اذا انقضت الاسابيع الثمانية ولم يفز بضالته . وما كان يست يملك مالا فاقترض من بانتنغ . أما كيف كان بانتنغ يعيش فأمر قد يظل من مطويات تاريخ العلم الحديث

وأخيراً اقبل اليوم المشهود ، يوم ٢٧ يوليو ١٩٢١ . كان بانتنغ قبل تسعة ايام قد تناول كلباً واستل منه الحلوة وترك الكلب يتغذى غذاءً عادياً كسائر الكلاب . ولكنه اخذ يهزل ويضعف ، وصار شديد الظماء ، شديد الجوع ، فلما قيس مقدار السكر في دمه ، تبين انه كبير ، حتى ليصح ان تقول ان دمه كان في اليوم الثامن واليوم التاسع اشبه شيء بشراب سكري كثيف قائم . وعجز الكلب عن النهوض ، وعن تحريك ذنبه ، لشدة ما ضعف وهزل . ذلك ان جسمه ، وقد استلست منه الغدة الحلوة عجز عن حرق السكر فتجمّع في دمه . وكان السكر الذي يسقاه شرباً لتغذيته ينصرف مع بوله ، لا يستطيع ان يستفيد منه شيئاً . وكان في صباح يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢١ على وشك الموت اقبل بانتنغ ومعه كلب من الكلاب التي ربطت قنوات غددها الحلوة فوضعه على المشرحة وشقَّ بطنه واستلَّ الغدة الحلوة الحائلة وناولها الى بستان ، فهرَّسها في قليل من ماء ملح بارد ثم صفّاها ، ووضعها في الحقنة وحقنها في وريد الكلب الذي يوشك ان يموت . وجلس الاثنان ينتظران ساعة مرّت كأنها دقيقة . كان بانتنغ يرقب الكلب ، فاذا هويرى دلائل النشاط تدب فيه . فاخذ قليلاً من دمه ، واعطاه لصديقه بستان ، في غرفة اخرى ، ليفحص ما فيه من السكر ، وقد كان بالامس كالشراب السكري ، فاذا المساعد بستان يصيح بان مقدار السكر قد هبط الى الصفر . واذا الكلب يرفع رأسه اولاً ، ثم ينهض وهو يهزُّ ذنبه ويمشي مترنحاً . ولكنه واقف ، ويمشي على كل حال ... كان الماء المسكر ، قبل ساعة يمرُّ في جسمه ويخرج مع بوله ولا يستطيع الكلب ان يحرقه .

ها هو ذا الآن يسقي الماء المسكر ، فيتناول الجسم سكره ويحرقه ، ويستمد منه النشاط ...
ولكن الكلب مات في اليوم التالي !

— ٣ —

من كان ينتظر دوام هذه العجيبة ؟ كل ما فعله بانتنع وصاحبه ، انما هو حقن قليل من حذوة كلب آخر كانت قد ربطت قناتها في دم كلب سلت منه حذوته . حدق بانتنع بيسر وكره ان يقول انه وقد التوى غصن النصر في يديهما ، لا يرى انهما قد فازا بشيء عملي ، اذ من المتعذر ان تضحي بعشرات الكلاب لكي تحفظ كلباً واحداً حياً فترة يسيرة من الزمن ولكن الحقيقة كان لها اثر عجيب . ألا يمكن ان يكون ذلك الاثر قد جاء اتفاقاً ؟ اذن لا بد من اعادة التجربة . فاعادها ، والجو حار رطب ينقل الصدور ، وحققنا الكلب الثاني ، بحقنة كالاول فانقذه بعد ما كان مائتاً لا ريب فيه ، واضطراً ان يقتلا كلبين سليمين من الكلاب التي ربطت قنات غدها ، لكي يبقوا هذا الكلب الثاني حياً ثلاثة ايام

ولكن الكلب مات لما توقفنا عن حقنه . وهذا مما لا يطاق !

جرب بانتنع في خلال هذه الايام الثلاثة ان يحقن الكلب المائت ، بخلاصة الكبد او بخلاصة الطحال ولكن ذلك لم يجده شيئاً . وكانت الكلاب العشرة التي طلبها من مكلود قد نفدت . وكان مكلود لا يزال في اوربا لا يدري المصاعب التي اصطدم بها بانتنع ، ولا كان يرتاب ، ان في معمله كان هذان الشبان ، يمهدان سبيلاً لمكافئة الموت ، المكسر للانسان في البول السكري وجربا التجربة الثالثة في كلبه كان لها مكانة خاصة عندها ، فحفظها حية ثمانية ايام متوالية ، بعد ما اشرفت على الموت وهما يحقنانهما بخلاصة الغدد الحلوة الضامرة المستخرجة من خمسة كلاب . ولكن ما الفائدة ؟ لا ريب في ان المادة المجهولة ، التي تمكن الجسم الحي من حرق السكر الذي يتناوله ، موجودة في خلايا جزائر لانغرهانز — فدعاها أيلتين نسبة الى أيلند او أيلت اي جزيرة — ولكن الأيلتين كالجواهر النادرة يكاد يتعذر الحصول عليه ، وعلى سطح الارض الوف وعشرات الالوف من المرضى بالبول السكري ، المصابين بعجزهم عن حرق السكر الذي يتناولونه . فابن السبيل الى ايجاد كل « الأيلتين » الذي يحتاجون اليه جميعاً

وانقضت الايام سراعاً ، وتالت الايام شهوراً ، وبانتنع يبحث عن مصدر يستطيع ان يستمد منه هذا « الاكسیر » . وجاء شهر نوفمبر وتعرت الاشجار من اوراقها وعاد مكلود من رحلته الى اوربا وأكب على البحث في موضوع لا صلة له بالبول السكري . ونفذ مال بانتنع ، وكثر ديونه واصبح لا يستطيع المضي في عمله الا اذا اسعفه احد بيسير من المال ليحصل به على القوت الضروري . فهب الى مجده الاستاذ هندرسن ، رئيس قسم الصيدلة في جامعة تورنتو ، وعينه مدرساً في القسم ، يتناول مرتب المدرس ، ولا يلتقي الطلاب دروساً

وكان في ذات ليلة من ليالي نوفمبر يطالع في كتاب قديم للعالم لاجس Laguesse فعر على قول مؤداه ان خلايا جزائر لانغرهانز اكثر في حلوة الطفل الوليد من الخلايا التي تفرز الافراز الهضمي . فقال بانتنغ اذا صحَّ ذلك على الطفل الانساني ، فلا بدَّ ان يصحَّ على جرو الكلاب . واذا صحَّ على الجرو فلا بدَّ ان يصحَّ على الجنين ، ورجَّح ان حلوة الجنين معظمها من خلايا جزائر لانغرهانز . فذهب الى صديقه الاستاذ هندرسن في الصباح وأطلعته على اكتشافه فقال له هندرسن « وكيف تستطيع ان تحصل على اجنة الكلاب . عليك ان تربيهما وتنتظر حملها » ولكن بانتنغ كان قد قضى جانباً من صباه في المزارع وعرف كيف تسمَّن البقر للذبح . فذهب مع صديقه بست الى السلخانة وعادا بحلوات تسعة عجول — او بالحري اجنة عجول مختلف اعمارها من ثلاثة اشهر الى اربعة . ثم تبَيَّن لهما انهما اذا استعملتا الكحول المحمَّض بدلا من ربط قناة الحلوة ثم هرس بقيتها في الماء الملح استطاعا ان يعتمدا على حلوات البقر الكبيرة ، بدلا من حصر الاستخلاص في حلوات الاجنة . فعجبا كيف لم يخطر ذلك على بالهما من قبل . ولكن احد حكماء الكتاب يقول : « كل المشكلات سهلة . . . بعد ما تُحَلُّ »

— ٤ —

كان « غلكريست » صديقاً لبانتنغ ، تلازما حديثين وتصاحباً طالبين في مدرسة الطب ، ثم افترقا ، فذهب كلٌّ في سبيله . وأصيب « غلكريست » بداء البول السكري فهزل جسمه وشعب وجهه ، وتراكم السكر في بوله ودمه ، وتصاعدت من فيه رائحة الاستون الناجم عن انحلال الادهان في جسمه . وكان يدرك ادراك الطبيب ان هذا لا ريب سائر به الى القبر ، فبدلت بشاشته الطبيعية ، كآبة وقتاماً . وكان يجرُّ رجله جراً اذا يذهب كل يوم لعيادة مرضاه ، ويكاد يمتنع عن كل طعام ، لان اقل طعام كان يزيد السكر في دمه . وفي ذات يوم من ايام الخريف سنة ١٩٢١ التقى بالفه القديم بانتنغ فقال له هذا « قد أبشرك قريباً ببشرى عجيبة » . ثم اصيب « غلكريست » بالزلة الوافدة وهي من الاصابات التي يخشاها المصابون بالسكر ، فزاد هزاله واصبح لا يستطيع ان يتناول اكثر من ثلاث اوقيات من المواد النشوية من دون ان يظهر السكر في بوله . وعجز عن العمل لضعفه وهو يود لو استطاع ان يأكل ما يشتهي ، ليكفي ذلك الجوع الذي يعضه بناب ، ولكنه كان يدرك ان ذلك قد يزيد السكر في بوله ودمه حتى يصاب بغميوبة تكون القاضية عليه فعلق كل امله ببانتنغ وهو متعلق من الامل بحبل اوهى من خيط العنكبوت

كان بانتنغ جرب تلك المادة العجيبة — أيلتين — في الناس بعد الكلاب . جربها في نفسه وبست قبل ان جربها في احد ، لكي يثبت ان هذه المادة التي تفيد الكلاب المصابة بالبول السكري لا تضر البشر . وكان في مستشفى تورنتو العمومي ، مصابون قد اشفوا ، جرب حقنهم بالايلتين فردوا الى الحياة . فتناقلت الناس هذه الاخبار همساً . وذهب بانتنغ الى اجتماع طبي معقود في

جامعة يابل ، فلم يمنح إلا بضعة دقائق لتلاوة رسالته ، لكثرة الرسائل العلمية الخطيرة !
واقبل يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٢ وحيء « غلكريست » الى معمل بانتنغ وبست . هو الآن
الحيوان الذي يجربان فيه تجاربهما . وهو لا يكاد يفرق عن الكلاب التي سلّت حلواتها ، لان
حلوته كانت عاجزة عن القيام بعملها . فهل يمكنه « الايلتين » من حرق السكر في دمه ؟ فسقي
اوقية من الغلوكوس ، ثم اخذت قطرات من دمه فاذا السكر فيها كثير كثير . ثم حقن حقنة من الايلتين
وجلس بانتنغ وبست يراقبانه ، ومضت ساعة وساعتان ، ولم يبد على غلكريست ان جسمه بدأ يحرق
الغلوكوس بفعل الايلتين العجيب . فاستولت السوداء على بانتنغ . هل تفيد هذه المادة العجيبة الكلاب
ولا تفيد الناس ؟ جلس كئيباً وهو يكاد لا يجروا ان ينظر الى إلفه القديم ظناً منه انه مائت لا محالة
وكان مضطراً ان يسرع للحاق بقطار مسافر الى الشمال لزيارة اهله فترك العليل في المعمل ومضى .
وما كاد يخرج ، حتى هم غلكريست بالخروج وهو لا يدري ان في خفايا جسمه انتصرت آية الحياة والعلم ،
على آية الموت . فاقنعه بست بالبقاء ريثما يحقنه حقنة ثانية . وما لبث بعينها حتى تنفس في الآلة
الخاصة بذلك ، فأحس ان له رئتين يتنفس بهما ، وكان لثقل تنفسه لا يحس بهما من قبل . ثم شعر
بصفاء في ذهنه وان نخذه قد فككتا من عقالي حديدي كان ينقلهما فاسرع الى داره ، وخطب بانتنغ
عند وصوله وقال ان العجيبة قد تمت . وجلس عندئذ يتناول العشاء الذي يشتهي وبعد العشاء
خرج للنزهة مشياً على الاقدام فجعل الناس يمدحون فيه ماشياً باسماً وكأنه عاد من عالم آخر
عندئذ ادرك مكلود ان بانتنغ المتعثر ، قد حقق ما عجز عنه اكبر الفسيولوجيين . ولا ريب
في انه باهى في ما بينه وبين ذات نفسه ، بانه لم يمنع عن بانتنغ المساعدة والكلاب والاسابيع الثمانية .
فصدف الآن عن تجاربه العلمية الخاصة واقبل هو ومساعدوه على الايلتين — بعد ما غير اسمه الى
انسولين — يدرسون طرق تحضيره ، وانضم اليهم كولب من جامعة البرتا . اما بانتنغ فترك لهم هذه
التفاصيل ووجه عنايته الى المصاين يود ان ينقذهم من برائن الموت وذهب مكلود الى مؤتمر
الجمعية الطبية الاميركية فالتقى رسالة علمية في هذا الاكتشاف الخطير ، فاصغى اليه اساطين الطب وقرروا
ان يوجهوا الشكر الى « الاستاذ مكلود ومساعديه لما نفجوا به الانسانية من نعمة الانسولين ! »
من عجائب الطبيعة البشرية ضمن الزميل على زميله احياناً بالثناء الذي يستحق . فقد روى
الدكتور پول ده كروف (١) ان جماعة من الاطباء والباحثات ، جلسوا في ليلة يتحدثون ، فلما ذكر
بانتنغ هزت الرؤوس وقلبت الشفاه . وكان ده كروف جديد العناية بسيرة بانتنغ والانسولين ، فأفاض
في الحديث . فقليل ولم يعز الفضل كله لبانتنغ ، فلما اطعمهم على الحقيقة قالوا واذا كان الفضل كل
الفضل له فلا ريب في انه كان موفقاً ولن يستطيع ان يكتشف اكتشافاً آخر مثله
ولكن من يستطيع ذلك !

كيف تولدت الطيور

علم في أدب

لا يخفى ان في تولد انواع الحيوان مذهبين الاول انها خلقت وكل نوع منها قائم برأسه بميزاته وان ما بينها من التشابه انما كان لان خالقها اراد ان يكون بينها هذا التشابه من بعض الوجوه كما اراد ان يكون بينها اختلاف من وجوه اخرى لاغراض لا نعلمها . والثاني ان انواع الحيوان متولدة كلها من اصل واحد او بضعة اصول وان ما بينها من التشابه دليل على وحدة اصلها وما بينها من الفروق عرض تولد فيها لاختلاف المؤثرات الخارجية كما تتولد المميزات في افراد النوع الواحد باختلاف الامكنة والمؤثرات . وعلى هذا المذهب الثاني اكثر علماء الطبيعة وهم يقولون ان الطيور تولدت من الزحافات المعروفة بالعظايات . وقد وضع بعضهم رواية فكاهية عبس بها عن كيفية هذا التولد على اسلوب بديع قال :

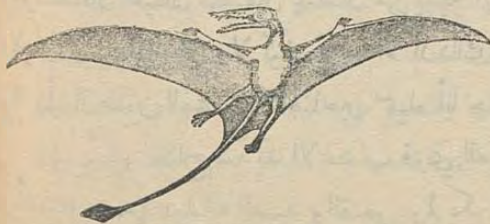
حدث منذ عشرين مليوناً من السنين ان ذكراً وانثى من العظايات الكبيرة تزاجا واستقرآ في احد السواحل البحرية في غربي اوربا وكان لكل منهما رأس كبير طويل مستدق كمنقار الطائر ويدان طويلتان ورجلان قصيرتان والذكر منهما اكبر من الانثى جسماً واشد عضلاً فعاشا كلاهما بالرفاء والهناء على احسن حال في ذلك العصر وهو العصر الثاني من العصور الجيولوجية . وكان غارها شديد الرطوبة ولكن رطوبته لم تضرهما بل نفعتهما ولا سيما بعد ان علا النبات حوله وصار يحجبهما عن الانظار

ولم تضر ايام كثيرة حتى ولدت الانثى ولداً ذكراً فاحتضنته كالام الرؤوم ورأه ابوه فأحبه وجعل يسمى زوجته وولده ثم انتبه هو وهي ان في ولدهما شيئاً لم يراه في اولاد غيرهما من العظايات وهو غشاءان لحميان صفيقان يمتدان من يديه الى حقويه . فجعل يفكران في امر هذين الغشاءين ولا يدركان المراد منهما ولا كيف تولدا الا ان ذلك لم يصرفهما عن حب ولدهما لان الولد فلذة من الكبد . ولما رآيا ان هذين الغشاءين كالجنحين سمياه أبا جناح ولم يكن في الأرض حيوان مجنح غير الحشرات وشب أبو جناح شديد الاعصاب قوي العضل فافتخر والدا به وجعلا يسيران في طلب الرزق وبأخذانه معهما يعلمانه الصيد والقنص . ولم يكن العدوان شديداً بين الحيوانات في تلك الايام لانها كانت تعلم ان بعضها خالق لبعض الاكلا فاذا اقتنص الكبير منها الصغير خضع الصغير لحكم القدر .

ورأى ابو جناح من والديه عضداً له فاغتر بنفسه ولم يعد يحسب لغير الايام حساباً . وظل على هذه الحال والخيلاء ملء دماغه الى ان رأى عظاية من نوعه في ريعان صباها فشغفت لبه وكاشفها بما في فؤاده فنظرت الى جناحيه وتبسمت ثم قالت له لا تنتظر مني وصلاً ما لم ار منك فعلاً تمتاز به على اقرانك . فقال لها اذا كان الامر كذلك فسترين مني ما تقتضيه كل زوجة ان تراهُ في زوجها . واخذ من ذلك الحين يفكر في طريقة يظهر بها بسالته حتى ترغب حبيبته فيه .

واتفق ذات يوم انه كان واقفاً على قمة اكمة فرأى وحشاً كبيراً يدنو منه وهو طويل العنق هائل الجثة جسمه مغطى بحراشف كبيرة صفيقة كالدرع وذنبه غليظ يستدق رويداً رويداً حتى يصير كالقصبه وهذا الوحش من نوع العظايات ولكنه من اكبرها جسماً واشدها بطشاً فعلم ابو جناح انه اذا قبض ذلك الوحش عليه لم يكن الا لقمه في فيه . وكان ابواه قد علماه ان يهرب من وجهه حينما رآه والاّ قضي عليه اما الآن فلم ير الى الهرب سبيلاً لان الوحش باغته مباغته فشل اعصابه . ولكن المصائب تنتج الغرايب والحاجة تفتق الحيلة فحدث حينئذ ما لم يحدث في عالم الزحافات من قبل فانه لم يكد ذلك الوحش بمد عنقه ليلتهم ابا جناح حتى بسط ابو جناح ذراعيه ووثب طالباً الفرار وجعل يرفرف مسرعاً خوفاً من عدوه فحمله الهواء كما يحمل الحشرات . فنبث له حينئذ ان ذنبك الغشائين اللذين لم يعلم لهما نفعاً قد انقذاه من الهلكة . ورأت العظايات ابا جناح طائراً في الجوّ فوقفت مدهوشة لانه اول حيوان طار في الهواء . ولم يكد يصل الى الارض حتى علم انه اتى من الفعال لم يأت به غيره من الاقران واجتمعت العظايات حوله تسمع قصته من الوحش وتنظر الى جناحيه مدهوشة وطلبت منه ان يجرّب الطيران امامها ففعل وطار فوق رؤوسها ثم عاد الى المكان الذي طار منه والعيون شاخصة اليه . وكانت حبيبته بين الجماعة وقد خفق فؤادها حباً وسروراً فلم يكن الاّ ايام حتى اقترنا ثم ولد لهما ثلاثة اولاد ولكل منها المزية التي كانت للوالد اي غشاء ان صفيقان من ذراعيه الى حقويه . وتوالد نسلهما دهوراً طويلاً وهذه الخاصة فيه الى ان ولد له اولاد على اجنحتها ريش وهي الطيور المعروفة . وقد حدث هذا كله منذ الوف وملايين من السنين والآثار المتحجرة في الارض تدل على ذلك كما تدل آثار الهياكل المصرية القديمة على السكان الاقدمين وعمرانهم . ويقول علماء الطبيعة ان التغير يحدث في الافراد من وقت الى آخر فاذا افغ

لحفظ الفرد وظهر في نسله بالوراثة استمر فيه وقوي رويداً رويداً بالاستعمال حتى يصير من المميزات او المقومات للنوع فيصير نسل ذلك الفرد نوعاً قائماً برأسه لكن الاختلاف الطبيعي لا يرسخ في النسل ويصير من مقومات النوع الاّ بعد دهور طوال



احد الطيور المسننة المناقير وهي متوسطة بين الزواحف والطيور الحالية

عناية الحيوان بنسله

او « الشمرجة »

للدكتور كامل منصور المدرس بكلية العلوم (١)

ان الكائن الحي هو الجسم الذي يتغذى بمواد مخالفة لتركيبه وتؤدي هذه التغذية الى النمو والتكاثر فكان التكاثر نتيجة واجبة لازمة على كل كائن حي وكأن الكائن الحي بعد تكاثره قد أدى واجبه الوحيد نحو نوعه وجنسه فتنتضي حياته ويموت

من أبسط طرق التكاثر الجنسي (الشقي) ما نعرفه عن بعض نجوم البحر (كف مريم). تضع الانثى عدداً كبيراً من البيض وليس للبيضة غلاف ما وليس فيها مواد غذائية مخزنة. وينتج الذكر حيوانات منوية كثيرة وي طرح هذان النوعان من المنتجات في البحر وبذلك تترك عملية الاخصاب ونمو البيضة الخصبية للعقادر. فاذا لم تسعف البيضة بالحيوان المنوي هلكت واذا أخصبت ابتدأت ادوار نموها متعرضة فيها جميعها لكافة الاخطار وكثيراً ما ينتهي بها الامر الى القضاء العاجل عليها فاما ان تعبت بها الامواج واما ان يبتلعها غيرها واما ان تموت جوعاً او غير ذلك. الا ان من هذه الملايين من البيضات ما يصل الى دور التمام وهذا وان يكن قليلاً قلّة نسبة الا انه كاف لتواصل النوع. والاسراف في هذه الطريقة جلي

وهناك طريقة ثانية قد تقلل الاخطار التي يتعرض لها النسل اذ نجد للبيضة غلافاً قوياً وبداخله مقدار وافر من الغذاء اللازم للجنين في اثناء ادواره الاولى. يفسس الجنين من البيضة هنا اما على حالة رقة تنمو وتتطور فتصل الى شكل أبويها واما على شكل الحيوان الكامل مباشرة. ففي هذه الطريقة يقضي الصغير ادواره الاولى في مأمن من كثير من الاخطار. وعلى ذلك نجد عدد البيض قليلاً اذا قوبل بمثله في نجوم البحر والسبب في قلة غالباً ان نسبة ما ينجو منه اكثر مما ينجو في الحالة الاولى. وكلما ارتفعت هذه النسبة قل عدد البيض او بوضع آخر كلما زادت الاخطار ازداد عدد البيض وفي كثير من الحيوانات يبقى البيض داخل الجهاز التناسلي وهناك ينمو بعيداً عن معظم الفؤائل الخارجية فاذا مات نمو ترك امه وابتدأ حياته حرّاً مستقلاً في امثال هذه الحالة يقل عدد البيض كثيراً. وقد يصل في حالات كثيرة الى واحدة فقط

لا علاقة لكل ذلك بموضوع العناية بالنسل بل هذه كلها وسائل وأساليب تدبرها يد الطبيعة

دون مجهود ملموس من جانب الابوين . والآن سأنتقل الى وصف ما يمكن ان يسمى الاعتناء الابوي او الشمرجة ولسهولة الشرح نقسم الموضوع الى (١) وضع البيض (٢) وقاية او حراسة البيض او الصغار (٣) التغذية (٤) نظافة السكن (٥) الارشاد

﴿وضع البيض﴾ تضع معظم الحيوانات بيضها في اما كن أمينة بعيدة عن الاعداء الطبيعية فالبعض يترك بيضه تحت غطاء كصخر او ما أشبه او يضعه داخل شق والبعض يبني لذلك عشواً محكمة الصنع وغالباً ما تكون مواضع وضع البيض في نفس البيئة التي تعيش فيها الحيوانات التامة النمو الا أنه في حالات كثيرة تعيش الحيوانات التامة النمو في بيئة تختلف عن البيئة التي تربت فيها ففي هذه الحالات التي تتغرب فيها الحيوانات التامة النمو عن بيئتها الاصلية فهي تهج عائدة الى تلك البيئة لتضع بيضها او تلد صغارها

فالضفادع مثلاً تربي في الماء واكثرها يعيش على مقربة من الماء الا ان هناك ضفادع جبلية تبعد محال معيشتها عن الماء فاذا قرب وضع البيض راحت باحثه عن بقعة ماء لتترك فيها بيضها . وما يأتيه العاجوم المولد في هذه الناحية غريب في بابه . هذا نوع جبلي وعند وضع البيض لا تذهب الاثني الى الماء بل تشبك مع ذكرها فيلتف حبل البيض على رجليه وعند انتهاء الاشتباك يبقى الذكر حاملاً هذه الامانة فيعيش بها على شاطئ اقرب بركة مبللاً اياها عديداً واذا ما اقترب ميعاد الفقس نزل بها الى الماء حتى تخرج الصغار فيحرر من عبوديته

وبعض السلاحف يعيش في الاعماق البحرية وعند البيض يرتحل الى الشاطئ ليضع بيضه في الرمل ومن ابداع الاله التي تظهر لنا ما لاختيار الاماكن لوضع البيض من الشأن ما هو معروف عن كثير من اسماك الانهر كالبورري وسمك سليمان وثمان الماء او حنش السمك

فالبورري معروف لنا جميعاً يعيش في مياه النيل حتى دور التناسل فيتجه نحو البحر ومبايضه محشوة وهناك يضع بيضه في بقاع ثابتة وكثيراً ما تكون هذه السفرة حافلة بالاحطار ولكن هذا كله لا يمنع عن تأدية الوظيفة التناسلية على الوجه الاكمل . وبعد فقس البيض ترجع الصغار متجهة نحو مداخل البحيرات او المصارف او الانهر وتصد ضد تيارها الى حيث تجد مرطها وكثيراً ما يصعب دخول هذه السميكات في بعض المصارف لوجود سدود او طلمبات كما هو الحال في بحيرة مربوط وقد تنهت لذلك مصلحة مصايد الاسماك وعملت على نقل السميكات بانتشالها من امام السد ونقلها الى داخل البحيرة

اما سمك سليمان فيرحل رحلته التناسلية على عكس البورري . يعيش هذا السمك في البحر وعند البيض يغزو الانهر رغم تيارها الشديد ورغم سدودها وشلالاتها العديدة (ولا يتغذى) حتى يصل الى المنابع وهناك يضع البيض ويقفل راجعاً . اما الصغار فتمضي ما يقرب من ثمانية عشر شهراً في المياه العذبة ثم تتجه نحو البحر وهنا أيضاً لوحظ منذ زمان بعيد ان يد الانسان كثيراً ما عبثت بصغار

هذا السمك ولذلك اصدر هنري الثامن سنة ١٥٣٣ أمراً يحرم صيدها خوفاً من قلة محصولها المقبل
اما حكاية ثعبان السمك (الانكليس) وهو يعيش في أنهر اوربا وافريقيا الشمالية فهي اعجب
ما كشف عنه البحث العلمي في القرن الحالي ويرجع معظم الفضل في هذا المضمار لعالم دنيا ريكي
وهو الدكتور يوهانس شميدت وقد نعاها البريد بالغاً من العمر ٥٦ سنة فقط

اثبت لنا هذا الباحث ان هذا النوع من السمك لا يتوالد على مقربة من اماكن وجوده بل يرحل
بسرعة ١٠ أميال في اليوم لمدة ثلاثة سنوات حتى يصل الى بقعة ثابتة وهناك يضع بيضه . وقد ثبت
لنا الآن قطعياً ان احناش النيل تتجه ايضاً ناحية هذه البقعة وفيها تنوالد . تقع هذه البقعة على مقربة
من جزائر رمودا ويبلغ عمقها نحو ٣٠٠٠ قامة وبعد التلقيح ووضع البيض تموت الحيوانات الكبيرة اما
البيض فيخرج منه يرقات صغيرة الرأس مفاطحة الجسم شفافة تتغذى وتنمو هذه اليرقات قريباً من
سطح الماء وتتحرك رويداً رويداً ناحية الشرق حتى اذا ما اقتربت من سواحل اوربا كان طولها نحو
ثلاث بوصات وكان عمرها نحو الثلاثين شهراً . عند هذا الحجم وهذا السن تقف اليرقات
عن التغذية وتتطور الى جسم خيطي يقل طولاً ٢٥ بوصة عن سابقه المفلطح تلك هي الحنشيات او
الشعابين الزجاجة وهذه الحنشيات هي التي تقتحم مصبات الانهر . رغم الشقة الواسعة بين موضع
البيض والبيئة المستقبلية ورغم هذا السفر الشاق والزمن الطويل فان ما يصل من الحنشيات الى مصبات
الانهر لا يعد ولا يحصى فقد قدر ان ما صيد منها في يوم واحد في ناحية جلوستر بانكلترا كانت زنته
ثلاثة اطنان وفي كل طن ٢٢٤٠ رطلاً وفي كل رطل ١٤٠٠٠ يرقة . تحتاز الحنشيات عقبات كثيرة
مختلفة حتى تصل الى محل مناسب وهناك تتغذى وتنمو ولا تبلغ الا بعد ٥ او ٧ سنوات للذكور
وثمانية الى اثني عشر عاماً للإناث

﴿ تغذية الصغير ﴾ قل من الحيوانات من يضع بيضه او يلد صغيره في مكان بعيد عن الغذاء
الطبيعي ومعرفتمكم باعداء الزرع واعداء الانسان تكفي فلا نشرح هذه النقطة

وبعض الحيوانات يجمع الغذاء اللازم لصغارها ويجهزه في عش محكم الصنع واذا ما تم النمو داخل
غلاف البيضة خرجت اليرقة وهي في مأمن داخل العش او الخلية وتغذت بما خزن لها وبلغت دور
النماء يختلف نوع الغذاء المختزن باختلاف الانواع . ففي كثير من نحل العسل تخزن الشعالة الرحيق وحبوب
المقاح وتجعل منها غذاء للصغار بعد دور البيضة وكثير من النحل الاحاوي يشابه مخزونه مخزون
نحل العسل . اما الزنابير فالبعض منها يجمع اليرقات ويجدرها بحقنها ببعض مفرزاته ويضع في كل منها
بيضه حتى اذا ما فقس البيض وجد الفسل غذاءً كافياً في جسم الفريسة التي اقتناها له ابواه

وبالبعض الآخر من الزنابير متطفل يضع بيضه مباشرة بواسطة آلة وضع البيض في جسم
فريسته وهذا من اسهل السبل لضمان تغذية الصغار

وانواع الجعلان تخزن الغذاء في شكل كور وتضع بيضة واحدة في كل منها . اما قصبة محار المياه

العذبة (انودونتا) ففي غاية الغرابة . تنفقس اليرقات داخل خياشيم الام وتبقى حتى مرور سمكة (روديوس) فتخرج من مخابئها وتلتصق بجسم هذه السمكة متطفلة عليها حتى تمام تطورها الى محارة صغيرة فتنفصل وتقع الى القاع لتعيش عيشة مستقلة . ولكن ادهى من ذلك ان لسمكة روديوس هذه قصة اغرب من قصة المحار اذ انها في اثناء انتفاخ المحارة ترسل آلة وضع البيض الى ما بين المصراعين وتلتصق بيضها بجسم المحارة ليبقى هناك في مأمن حتى الفقس . والبعض من الحيوانات يحمل الغذاء للصغير بعد فقسه كما هو معروف عن بعض انواع النمل . اما الطيور فجهودها في هذا السبيل غاية في العظم فثمة طائر مثلاً يجمع يرقات الحشرات ويحضرها لفرأخه في عشاها

ومما نعرفه الآن ان رحلات الابوين الى العش في هذه الحالة لا تقل عن ٤٧٥ مرة يومياً وتغذية الصغار بمفرزات من جسم الابوين كثيرة الامثلة واشهر هذه الامثلة حالة الحيوانات الثديية او اللبونة ، ومن الحيوانات الاخرى نجد في الطيور من امثال الحمام ففي الحيوانات اللبونة تقوم الام بعملية التغذية اما في حالة الحمام فيتناوب الابوان اطعام صغارهم بافرزات لبنية تحضر في آخر المريء وتمر الى الخارج عن طريق الفم الى فم الفرخ الصغير . يغذى فرخ الحمام بهذا مدة وجيزة ثم يعطى البذور تدريجياً من صغيرة الى اكبر منها فيتدرج بذلك الجهاز الهضمي ويقوى الفرخ على ابتلاع الحبوب التي يتغذى بها أبواه ثم على تكسيرها

✽ الاعتناء بنظافة المسكن ✽ النظافة غريزة عند الحيوانات ولو تأملنا في حياة احدها وجدنا هذه الغريزة ظاهرة دون جدال وانما تختلف سبل النظافة باختلاف نوع الحيوان وبيئته . ليس لنا ان نتكلم الآن عن النظافة عموماً بل عن كيف تحفظ الحيوانات صغارها نظيفة وكيف تعتني بحفظ مسكنها خالياً من البقايا التي لا لزوم لها . الامثلة على ذلك كثيرة . خذ لذلك مثل البقرة اولاً فانها تلحق ولدها لتنظفه مما علق بجسمه واللعق للنظافة غريزة طبيعية عندها تأتيها دون تعقل او تفكير ولكن ادهى من ذلك ما تأتية بالمشيمة اذا لم تبعد عنها فانها تلتهمها « نعم ان البقرة لا تأكل مشيمة غيرها انا قدمت لها لانها ليست من اللواحم (آكلات اللحوم) ولكن حرصها على مصلحة ولدها يدفعها الى تنظيف ما حوله حتى لا يتعفن ذلك المكان ويكون مأوى للجراثيم التي قد تضرها معاً » وما عمله الطيور من هذا القبيل ينبئنا ايضاً بمقدار اهتمام الطبيعة بنظافة محال السكنى . اذ ان بالرغم عن انه في حالات كثيرة يغطى البراز بافرارز يحجب على شكل جلد يحفظ ما تحته فانك لتجد ان الابوين حريصين اشد الحرص على ازالة هذه القمامات وابعادها عن العش ويحكى عن ثقة ان بعض الطيور اذا وجد ان ميعاد التبرز قد فات يتحایل على صغيره حتى يؤدي هذه العملية ومتى انما الصغير ازيلت البقايا من العش باسرع ما يمكن . وفي حالة النسور تبرز الصغار ذرباً فتتلبذ بطانة العش مع بقايا الفرائس وكلما تراكت الاوساخ في هذه البطانة سألخها الابوان واستبدلها بفراش نظيف جديد ويحكى كذلك عن بعض الزناير الاحوية التي تجمع يرقات بعض الحشرات الاخرى وتحضرها وتضع

يضها فيها انها تفتح الخلية اثناء نمو الصغير وتنظفها من بقايا اليرقة السابقة وتضع لصغيرها غذاء طازجاً
 (الارشاد) أما ما نعلمه عن ارشاد النسل بين الحيوانات فمعظمه مستمد من حياة الطيور
 والواحم كيف يتعلم الفرخ الصغير الطيران وكيف يتعلم البعض الآخر السباحة والعموم بل كيف يتعلم
 فرخ الدجاجة التنقيير . كل هذه غرائز أسسها موروثه ولكن لاسبيل الى اظهارها الا بارشاد الابوين
 فالنسر يعود فرخه وهو في العش تمرين عضلات اجنحته واذا ما اجبر هذا الفرخ على التمرين
 الجدي خارج العش كان ذلك تحت اشراف ابويه فطوراً يشجعانه كأن يطيرا طيراناً بطيئاً على مقربة
 منه حتى لا يتسرب اليه اليأس وطوراً يحركان أجنحتهما لينقل الصغير تلك الحركات عنهما ويتأصل
 في فن الطيران . واذا وجد ان الصغير على وشك الخيبة انزلق احد الابوين برشاقة تحت مستوى
 جسم هذا الغشيم ودعمه واقياً اياه شر السقوط . والعموم غريزة يرثها صغار الطير المائي ففراخ البط
 تنزل الماء مباشرة دون تحريض (وابن الوز عوام) اما الوز العراقي (البجع) والنورس فهي تزج
 بفراخها قهراً في الماء لأول مرة . اما التنقيير فلا تأتيه فراخ الدجاج او فراخ النعام مثلاً دون ارشاد
 الام ويمكن الاستعاضة عن الام في هذه العملية بتحريك الاصبع او القلم على شكل رقبة ورأس الطير
 المنقر ومن اول مشاهدة تقلد الفراخ الصغيرة هذه الحركات ولن تنساها مطلقاً

اما العصفور (Swallow) فيتدرج به أبواه حتى يتم تمرينه في اول يومين بعد الخروج من
 العش يتدرب الصغير على خفة الحركة واتزان الجسم في الهواء ويتكفل الابوان باطعامه في العش عند
 انتهاء التمرين وفي اليومين التاليين تعطى الفراخ غذاءها في الهواء من منقاري الابوين وهذا معناه
 ازدياد الخنكة والازنان والخطوة الاخيرة هي ان يسقط المدرب اثناء طيرانه طعام الصغار على مقربة
 منها وعليها هي الآن ان تلتقطه في اثناء سقوطه فاذا نجحت في ذلك اصبحت اهلاً لاستقلالها
 في المعركة الحيوية . وفي اللواحم نجد ان الهررة تعود اولادها مداعبة الفيران وقنصها وكذلك حال
 ابن عرس . ويستغرق تدريب الشبل سنة ونصف حتى يتضلع من الصيد ويمكنه ان يحافظ على سمعة ابيه
 ومما هو جدير بالذكر هنا ان رعاة الاغنام في الجهات القريبة من مرايض الاسود لا يهدأ لهم بال
 مادام هناك اشبال تحت التمرين على مقربة منهم اذ ان اول دروس الشبل العملية هي اقتناص الحملان
 وهذا الدرس يكون تحت المدرسين الكواصر

سمعتم الآن اليسير عن بعض ضروب عناية الحيوانات بنسلها فهي تختار المحال المناسبة لوضع
 البيض بعدت تلك عنها ام قربت وهي تبني العشوش لايواء الصغير وهي تراقب صغارها بيضاً
 كانوا ام احياء في عشهم وهي تخزن الغذاء المناسب وتستعد لتغذية الصغار اذا فقسوا وهي تحضر
 لاولادها قوتهم يوماً فيوم . مهما تكلفت في ذلك من المشاق وهي تعتني باعداد ولداها لحياته المستقبلية
 معلمة اياه كيف يقنص وكيف يدافع عن نفسه وهي فوق ذلك كله تعتني بنظافة مسكنها حرصاً على
 ولداها عما قد ينشأ عن تراكم الاقذار [ثم عطف المحاضر على فائدة هذه الامثلة في عنايتنا باطفالنا]

أثر الحضارة العربية

في الاندلس وصقلية وما اليهما

بقلم محمد كرد علي

رئيس الجمع العلمي العربي بدمشق ووزير معارف سوريا سابقاً

— ٢ —

كان اختلاط العرب بالاسبانيين والبرتغاليين والكتلانيين والفرنسيين والبشكنس Les Basques اختلاط محارب مع محارب يعرفونهم لاول الامر بغاراتهم بأخذ بعضهم من بعض امري فلما طال الزمن رأت تلك الامم المضعوفة انه لا مناص لها من ان تتعلم في مدارس الامة المرهوبة . وهكذا كان فان كثير من نبيهء الافرنج رحلوا الى الاندلس يأخذون عن علماء العلم ويقتبسون من انوارهم ومنهم او من مشهورهم البابا سافستر الثاني (جربرت) وقد درس الرياضيات والفلك عند علماء العرب في اشبيلية وقرطبة فكان اعظم علماء عصره في قومه ولما صعد الكرسي الباباوي سنة (٩٩٩ م) كان اول الباباوات الذين وجهوا وجهتهم الى توحيد قوى الغرب لمقاومة المسلمين في استعمارهم في الشرق والغرب ومثله كثيرون ممن اخذوا عن العرب وكتبت لهم مكانة بما تلقوه عنهم بين قومهم

وذكروا ان شانجه امير ليون كان يستشير اطباء العرب . واطباء العرب من الاندلسيين هم الذين نقلوا الطب الى فرنسا . في زمن انشأ فيه الاندلسيون في كل ناحية من بلادهم المدارس وخزائن الكتب والجامعات العلمية في العواصم وغيرها كانت مواطن العلم في الغرب زمناً طويلاً ومنها اليوم صلمنقة عاصمة العلم في اسبانيا وقلمرية عاصمة العلم في البرتغال على نحو ما نشهد ببعدها مدينة ليدسيك في المانيا واكسفورد في انكلترا . وزالت الامة في الاندلس بما انشأ الملوك من المدارس وكان في قرطبة عشرات من الكتاتيب للفقراء واصبح الرجال والنساء على السواء يكتبون ويقرأون بل ربما كان من ابناء الفلاحين من يثرون وينظمون

واخذ الاسبان عن العرب في الاندلس وصقلية معنى الشعر وبعض اوزانه وموضوعاته ولم يكن

للشعر الغربي الى عهد العرب شاعر افرنجي يرفع الرأس ما خلا اغاني هي اشبه بشعر العامة منها بشعر الخاصة . واحتذى الاسبانيون حذو العرب في القصائد التاريخية والمواليا ونمت رياض الادب الغنائي فتمشت عدوى الاشتغال بالادب العربي بين اساقفة النصارى المستعربين وراحوا يقرضون الشعر بلغة عربية عالية . وكثير من قصائد الذين كانوا يجوبون في الولايات (تروبادور وتروفير)^(١) هي قصائد عربية واقتبس دانتي شاعر الطليان كثيراً من افكار العرب في روايته المهزلة الالهية وخصوصاً من أبي العلاء المعري . وتأثر الادب الروائي والشعر الاسباني بالاسلوب العربي واخذوا عن العرب اوزان التفاعيل الثمان والاغاني الاسبانية القديمة منتحلة من دواوين شعراء العرب الى غير ذلك ، ثم ان اسبانيا تأثرت ايضاً بالموسيقى العربية وما زالت الموسيقى الاسبانية في اسبانيا وجميع البلاد التي استولت عليها في سالف الدهر ولا سيما الارجنتين والبرازيل هي الموسيقى العربية بل سرت الموسيقى العربية الى البيع الاسبانية وما كانت ألحانها الاً عربية في القرن الثالث عشر للميلاد وكذلك يقال في الرقص فان الرقص الاسباني الى اليوم هو بالرقص العربي اشبه وبايقاعه وتلاجهينه اعلق . وهكذا يقال في كثير من ادوات الموسيقى الاسبانية فانها او اكثرها مما اقتبسوه عن العرب وهؤلاء جاؤا به من الحجاز وهذه نقلتها عن فارس وعن الروم

ويقول الاسبان اليوم انك اذا أنصت للغناء في شوارع قرطبة وإشبيلية وغرناطة لاهدنا توقع انه غناء عربي واذا طعمت في دار أندلسية تجد الطعام طعاماً مغريباً واذا شهدت من يجلسون الى خوان في مقهى تحصى لهم عادات أهلية خاصة . وان جميع حياة الاندلس تذكر بالامة العربية القديمة ، وان الحدايق والحقول تسقى من ترع وقني عربية وان الموسيقى عربية ، وهناك صناعات صغيرة وتجار صغار وقوافل من الحجير والاتن يجتاز الازقة على ما نحو ما هي في البلاد العربية واذا استمعت من بعد الى تلةظ اهل تلك المدن الاندلسية يتكلمون بالاسبانية تحسبهم يتكلمون بالعربية لا بالاسبانية . اما هندستهم وشوارعهم واحياءهم وأفنية بيوتهم فهي عربية صرفة على مثال ما هو من نوعها في دمشق وتونس

يقول لوبون ان تأثير العرب في الغرب كان عظيماً واليه يرجع الفضل في حضارة اوربا ولم يكن تفوذهم في الغرب اقل مما كان في الشرق ولكنه كان يختلف عنه . أثرؤا في بلاد المشرق بالدين واللغة والصنائع اما في الغرب فلم يؤثرؤا في الدين وكان تأثيرهم في الفنون واللغة ضعيفاً وعظم تأثيرهم بتعاليمهم في العلم والآداب والاخلاق . ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير الذي أثره العرب في الغرب الاً اذا مثل

(١) (Les Troubadours & les Trouvères) التروبادور شعراء ينظمون باللغة الفرنسية القديمة كانوا بعد القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر والتروفير شعراء بلغة وال كانوا يعانون ذلك من القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر يختلفون الى الملوك والعظماء ينشدون الاشعار ويضربون على الاوتار وربما اقاموا في قصورهم مدة

لعينيه حالة اوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة . واذا رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر من الميلاد يوم كانت المدنية الاسلامية في اسبانيا زاهرة باهرة نرى المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بانهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون وكانت الطبقة العالية المستنيرة في النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت بالتكسب في اديارهم بنسخ كتب القدماء ليتبعوا ورق البردي لنسخ كتب العبادة

قال وطال عهد الجهالة في اوربا وعم تأثيره بحيث لم تعد تشعر بتوحشها ولم يبد فيها بعض ميل للعلم الا في القرن الحادي عشر وبعبارة اصح في القرن الثاني عشر ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً بالحاجة الى نضو كفن الجهل الثقيل الذي كان الناس ينوعون تحت طوقها ابواب العرب يستمدونهم ما يحتاجون اليه لانهم وحدهم كانوا سادة العلم في ذلك العهد . ولم يدخل العلم اوربا في الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع بل دخل بواسطة الاندلس وصقلية وايطاليا وفي سنة ١١٣٠ أنشئت مدرسة للترجمة في طليطلة بعناية رئيس الاساقفة واخذت تنقل الى اللاتينية اشهر مؤلفات العرب وعظم نجاح هذه الترجمات وعرف الغرب علماً جديداً ولم تفتر الحركة في هذه السبيل خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر . ولم تنقل الى اللاتينية كتب الرازي وابي القاسم وابن سينا وابن رشد وغيرهم بل نقلت اليها كتب اليونان امثال جالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وأرخميدس وبطلميوس وهي الكتب التي كان المسلمون نقلوها الى لسانهم

اصبحت اللغة العربية منذ النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدن وحافظت على مرتبتها الاولى بين سائر اللغات الى آخر القرن الحادي عشر وكان يقضي على كل من يحب الاطلاع من اهل القرن الحادي عشر على آراء عصره ان يتعلم اللغة العربية ولذلك قالوا ان كثير من زعماء النهضة كروجر باكون وغيره كانوا يعرفون لغتنا . وكان ملوك الاندلس يفاوضون جيرانهم باللغة العربية وهؤلاء يجيبونهم بها على لسان تراجم لم يجيدون العربية ، واكثر سفراء الافرنج عند ملوك الاندلس يقضي عليهم ان يلهوا ولو الماماً خفيفاً بلغة العرب

وبعد ان اخذ الغرب العلم عن كتب الغرب وقلدهم في مخابريهم ومعاملهم وجامعاتهم ومدارسهم وقرئت كتبهم وعلومهم في جامعات الغرب مدة ستمائة سنة ودام ذلك الى القرن الثامن عشر لانستغرب ان تدخل في جميع اللغات الغربية الالفاظ العلمية العربية ولا سيما في الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية وفي كل لغة من هذه اللغات اللاتينية بضعة الوف من الالفاظ العربية اخذوها مضطرين عن العرب لا لان هؤلاء احتلوا بلادهم او اماكن منها بل لان العلم العربي كان وحده هو المتفوق في العالم وكان العرب دعامة ورطاه خلال بضعة قرون

نعم لم يجد العلم ملجأً أميناً له غير العرب في تلك القرون وهذه فرنسا لم تنهض من كبوتها بعد غارات البرابرة إلا بعد ثمانية قرون وذلك بفضل العرب ومن علماء فرنسا من يعزّ عليهم الاعتراف بهذه الحقيقة وبينما كانت المدنية الإسلامية زاهرة كانت فرنسا في احط دركات التأخر ولم ينتشر الطب والصيدلة في ربوعها إلا بمساعي اطباء اليهود الذين اعتصموا باسبانيا ثم باقليم لانكدوك بعد القرن الحادي عشر وفي لانكدوك انشأوا عدة مدارس ومنها مدرسة مونبليه ، واضطرت بعض الامم الغربية ان تحمل بعض ابنائها على تعليم اللغة العربية وأسست جنوة مدرستها لتعلم العربية سنة (١٢٠٧م) ورأى ملوك قشتالة بعد وقعة العقاب التي كتب فيها النصر لاسبان على العرب ان لا يقطعوا الماضي القديم وانهم في حاجة الى ان يتعلموا من معلمهم القدماء من العرب فحاول الفونس العاشر ان يعمل لاسبانيا النصرانية ما عمله العرب لاعلاء شأن الاسلام وذلك بالاخذ من احسن ما في الحضارتين الاسلامية والنصرانية ومزجهما بالحضارة الاسبانية فأُسست سنة (١٢٥٤م) في اشبيلية مدرسة عامة لاتينية وعربية واستدعى الملك الى عاصمته العلماء من جميع الملل والنحل ليؤسس مدرسة طليطلة الثانية يجمع فيها بين الاوضاع العربية وغيرها . وقضى مجمع فينا الديني سنة (١٣١٢م) ان تؤسس في باريس واكسفورد وبولون وصامنته دروس عربية لتنصير المسلمين ودروس عبرانية لتنصير اليهود . وعنيت ايطاليا منذ ذلك العهد عناية خاصة بالعربية ترى تعلمها من الضرورات لكل تجار المدن البحرية وكان من ذلك ان احتكرت البندقية تجارة اوربا مع الشرق واستأثرت بتجارة آسيا الصغرى وتمت للبندقية وبيزا وجنوة وطقانة معرفة الشعوب الاسلامية اكثر من عامة اهل اوربا وكان من العادة الجارية في طبقة التجار من ابناء البندقية ان يتكلموا بالتركية والعربية ويأخذوا انفسهم ببعض العادات والالسنه بالمصطلحات الشرقية

وملك البيزيون والجنويون والبنادقة املاكاً مهمة في الشواطىء الشرقية من البحر المتوسط وفي غيرها فامتزجوا بأهل البلاد وتأخرت الممالك الاخرى في تالقف العربية الى القرن السابع عشر والثامن عشر ومنها هولندا والمانيا وفرنسا وانكلترا والنمسا والبرتغال وروسيا وبولونيا الخ

اصبح البحر الرومي بما فتحه العرب من شواطئه بحراً عربياً اوائل القرن الثالث وذلك لان شواطىء افريقية واسبانيا وكثير من الجزر كجزائر منورقة وميورقة وبابسة المعروفة بجزائر الباليار او الشرقية وغيرها دخلت في حكمهم ولما فتحوا في سنة (٢١٢ هـ) جزيرة صقلية وكانوا غزوها غير مرة منذ اخذوا يسافرون على سفنهم على عهد الخليفة الثالث واتبعوها بجزيرة سرديانية وغيرها تراجعت سفن الروم الى الموانئ القريبة من بلادهم وامتدت غزوات العرب الى بلاد انكبردة او لمبارديا وقلورية لبي كالابرا من جنوبي ايطاليا واستولوا على اكثر اصقاعها الجنوبية نحو تسع وعشرين سنة . ومن البلاد التي احتلوها احتلالاً موقتاً و غزوها وتخلوا عنها ربو والبندقية وطارانت وسامرن وامالفي

ونابل ورومية وجنوة والغالب ان العرب في الولايات التي نزلوها من جنوبي ايطاليا لم يوثروا بصناعاتهم وعلمهم ولم يخلفوا أثراً من آثارهم كالنقود والرنوك والمصانع والجوامع على ما حقق ذلك العلامة نالينو اما في جزيرة صقلية فان العرب طالت فيها ايامهم الى سنة ٤٨٤م وأثروا فيها انواع التأثير فتركوا لاهلها اولاً عاداتهم وقوانينهم وحرثهم الدينية المطلقة واكتفوا منها بحماية قليلة كان مقدارها اقل مما كان يستوفيه اليونان منهم واعفوا منها النساء والاولاد والرهبان وحافظوا على جميع الكنائس الموجودة ولم يسمحوا بأنشاء غيرها على خلاف ما جروا عليه في الاندلس وعمدوا الى الزراعة والصنائع فاحيوها وادخلوا اصنافاً من الزرع لم تعرفها الجزيرة ومنها القطن وقصب السكر والزيتون والبردي والكتان والمران واقاموا المجاري التي لم تبرح مائلة للعيان وعلموا الناس عمل القني ذات الانابيب المعقفة (السيفونات) وكانت قبلهم غير معروفة

وانشأ العرب في صقلية مصانع لصنع الورق ومنها انتشرت الوراقة في ايطاليا . وعدنوا مناجم الجزيرة وعلموا اهلها صنع الحرير . والغالب ان صناعة صبغ الثياب انتشرت في اوربا من صقلية ومن مصانع الصقليين كانت تصدر الاكسية المحلاة بالجواهر والظنافس المصورة والمنقوشة والجلد المدبوغ والحلى البديع وبالاجمال حمل العرب الى صقلية مظاهر غربية من فنهم وقناطرهم العالية الجميلة ونقوشهم من المقرنصات وجمال قاشانبيهم ذي الميناء والفسيفساء المعمولة من الرخام الملون وصورهم الجميلة وبهج صناعاتهم وما كادت اعلامهم تعلو هذه الجزيرة العظيمة حتى نمت التجارة وكانت قبلهم ضئيلة وانشأوا يقلعون على سفنهم الى الجهات الاربع وكانت لهم حكومة ذات مجد ورفي وكثر المسامون فيها خلال قرنين حتى اصبحوا نصف سكان الجزيرة

وسار النورمان على سياسة رشيدة لما استولوا على صقلية وقضوا على سلطان العرب فيها فابقوا المسلمين على عاداتهم ودينهم ولسانهم واستعملوا منهم كثيرين في قصورهم وحروبهم فكان منهم القواد والعظماء والعلماء في خدمة الدولة الجديدة وبقيت لغتهم رسمية في الجزيرة مدة حكم النورمان وتعلم ملوكها العربية ومنهم من برزوا فيها ونظموا فيها الاشعار وطربوا لادبها وهكذا تخلف النورمان باخلاق رعاياهم وعاملوهم معاملة نادرة في باب التسامح السياسي وعدم التحيز الديني في القرون الوسطى حتى اتهم الباباوات امراء النورمان بانهم دانوا بالاسلام وما زالوا بهم حتى قضوا عليهم بهذه الهمة وغيرها كان روجر اول ملك نورماني استخلص صقلية من العرب هو واضع اساس هذا التسامح مع المسلمين وهو الذي استقدم اليه من بر العدو - و بر العدو ما سامت الاندلس وصقلية من شمالي افريقية ويعنون بالعدو المغرب الاقصى والايوسط والادنى - الشريف الادريسي وبالغ في اكرامه وطلب اليه ان يبقى في صقلية وان يحقق له اخبار البلاد بالمعينة لا بما ينقل من الكتب وندب لذلك انساناً البساء وجهزهم روجر الى اقاليم الشرق والغرب والجنوب والشمال وسيّر منهم قوماً مصورين ليصوروا ما شاهدوه عياناً فكان اذا حضر احدهم بشكل أثبته الشريف ادريسي حتى تكامل له ما

اراد وجعله مصنفاً سماه زهرة المشتاق في اختراق الآفاق وهو من أجل كتب الجغرافيا التي بقيت من تأليف العرب . وعمل الادريسي لروجر كرة أرضية من الفضة كانت من اجل ما ابتدعته قريحة عربية رسم فيها العالم ببحره وبره وجباله وسهوله وانهاره وبحيراته ومدنه وممالكه

كان تأثير العرب في صقلية بعلمهم اكثر من تأثيرهم بمبانيهم ومصانعهم وكان الروح فيها عباسياً ثم فاطمياً لان بني الاغلب امراء افريقية ابي تونس للعباسيين تولوا ذلك منها اولاً ثم جاء الفاطميون خضعت لسلطانهم اما في الاندلس فكان الروح امويّاً محمداً لاسلطان فيها لغير العرب . يقول العلامة آمادى المستشرق الصقلي ان صقلية مدينة للعرب وايطاليا مدينة لصقلية بابتكار الشعر الوطني بمعنى انه منذ قلد البلاط الصقلي البلاط الملكي الاسلامي بدأت العناية بقرض الشعر تلك العناية التي كانت السبب في نهوض الشعر الايطالي . وقال رينالدي لم يساعد العرب فقط على انهاض الشعر الصقلي والايطالي بل انهم امدوا القصص الايطالية بشكائها ومادتها . وفي بلرم التي اتخذها العرب عاصمة صقلية وعمرت عمراناً غريباً انشأ العرب اول مدرسة للطب وما عهد مثلاً في جميع اوربا فقد انشئت مدارس الطب في الغرب بعد مدرسة صقلية العربية باعوام ومنها انتشر الطب في بلاد ايطاليا وساعد ان الباباوات كانوا رحلوا الى افنيون من ارض فرنسا فخلاً الجو للعلم العربي ثم تفرغ العرب بعد ذهاب سلطانهم من الجزيرة الى العلم والتجارة . فكانوا نحو قرنين آخرين بعد خروج صقلية من ايديهم رجال المال والاعمال فيها بل كانوا سادتها بالفعل . ومن كان له العلم والمال لا ينقصه شيء من القوى والاعمال اخرجت هذه الجزيرة في العهد العربي عظماء من الرجال في العلم والادب وكان عددهم بالقياس الى من اخرجت الاندلس قليلاً وقلّ فيهم النوايا في علوم العقل على نحو ما كان في الاندلس ولكن عمل صقلية في التمدن لم ينقص كثيراً عن مهمة الاندلس فاذا كانت هذه الجزيرة غدت غرب اوربا بضعة قرون بمدنيتهما فان صقلية كانت مدة رسالتها ثلاثة قرون ترسل اشعة المدينة العربية الى واسط اوربا . ولعلّ ما دعا صقلية الى ان تكون دون الاندلس في هذا المضمار كون العرب فيها قلائل واكثر من نزلوها من البربر بخلاف الاندلس التي كان فيها العرب كثرة غامرة هاجروا اليها وكانت لهم مستقراً ومقاماً

وقصارى القول ان العرب في الاندلس وصقلية بما كان لعنصرهم من المرونة تتقبل كل نافع بقبول حسن كتب لهم الابداع في صنائعهم ومصانعهم وشعرهم وأدبهم وعلمهم وعملهم كأنّ هواء الغرب علمهم ان يغيروا ما حملوا معهم من مدينة الشرق بما يلائم تلك البيئة الجديدة وحببوا من دون اكرام ما نقلوه الى اهل البلاد فطبعوهم بطابعهم وصاغوهم الصياغة التي لاتنافي تعاليمهم ونظمهم فقرّبوهم من مناحيهم ومنازعهم ووقفوهم على سر حضارتهم وتفوقهم . وسرى النور من ارض احتلوا الى ارض بعيدة عنهم ومن شعوب تمثلوا فيهم بعض الشيء الى شعوب ما وسعهم الا ان تجاريهم فيما لا يخرجهم عن تقاليدهم وتعاليمهم والاحتفاظ بمقوماتهم من جنس ولغة

جهاد الملك فيصل

مراحل العراق نحو جمعية الامم

للمعبد الربيعي

من كتابه « فيصل الاول » (قريب الظهور)

- ٢ -

كانت السنة التي عقبته ابرام المعاهدة الاخيرة اظلم ما كان من عهد السر هنري دويس المظلم . فقد توترت العلاقات فيها بين البلاد والمفوضية ، وتكاثفت صفوف المعارضة للسياسة البريطانية ، وانتشر في البلاد روح عدا للبريطانيين باصرة عاقلة ، فكانت لذلك ابلغ واسرع في تقويض اركان سياستهم الادبية على الاقل . ولا عجب وهم هم المخلفون بالوعود ، الناقضون للعهد وما حلت المعاهدة من العقد جميعها غير عقدة واحدة هي الحدود التركية العراقية ، وظلت الاتفاقات الاضافية ، المالية فيها على الاخص والعسكرية مفتوحة للبحث ، للمحادثة ، للنزاع . بيد ان وزارة السعدون كانت تفتقر تسوية المشاكل المالية على الاقل وتقديمها في اتفاق جديد . نخب املها واستغنى رئيسها عبد المحسن حرداً ناقراً

فانتدب الملك جعفر العسكري ليؤلف وزارة جديدة . فجاء يباشر العمل باسم الله وباسم التفاهم العراقي البريطاني - هم بليتنا ، يا اخي ، ونحن بليتهم . فيجب علينا ان نتفاهم لنحدد على الاقل البليتين وكان المندوب السامي السر هنري دويس قد بدأ يشعر هذا الشعور ، ويدرك هذه الحكمة . لا سيما ان بليته الشخصية اوجبت عليه الاسراع في العمل ، اذ كانت اسبابها تتصل بوزارة المستعمرات التي طالما اصممت اذنها لاقتراحاته وآرائه ولكنه توفيق في النهاية الى شيء من الاقناع فقبل رئيسه الوزير ان يعاد النظر في المعاهدات لتعديل بعض بنودها . وبدأت المفاوضات فوراً في بغداد ، ثم فرّ المتفاوضون هارين من حر العراق ، واستأنفوا العمل بلندن في الخريف . وكان الملك فيصل قد قدمهم الى اوربا ينشد العافية ، ويستوحي عن كذب مقامات السياسة الدولية واربابها . وقد حطّ رحاله على مياه « اكس » المعدنية فكان اتصاله بوفد العراق بلندن متوفر الاسباب قريبها . على ان المفاوضات كانت سريعة التطور . فرأى الوفد ان يكون الملك اقرب اليهم ، فأبرقوا بذلك اليه غادر الملك فيصل « اكس له بان » فخرج على باريس في طريقه الى لندن . ويوم كان في عاصمة الفرنسيين قرأ في صحف الاخبار في الصفحة الاولى ، مطبوعاً بالحرف العريض نبأ جاء من العراق من كركوك ،

من عاصمة النفط ، ينبيء بالحدث الخطير . الا ان «بابا كركر» لمن المرسلين . «بابا كركر» بكر الآبار ، ينطق بالخير ويبشر بالبركات . فبينما كانت الشركة التي منحت امتيازها في سنة ١٩٢٥ تسبر غور «كركر» وقبل ان بلغت الثمانين بعد المائة قدم الى قلبه ، انفجر انفجاراً هائلاً ، وقذف بخيرم عالياً - مائة وستين قدماً فوق الارض «بابا كركر» - «بابا كركر» ! تبارك اسمك وتمجد ! وسيساعدنا نبأك في حل المشاكل والمعضلات . عبر الملك فيصل بحر المانش وهو ساجح في سماء من احلام النفط والاستقلال ولكن لندن عدوة الاحلام . ووزارة المستعمرات فيها تقرأ انباء «بابا كركر» وتمضي في امورها . ومن تلك ما كان مهيئاً لفیصل . فقد صدم في وزارة المستعمرات ، يوم وصوله ، صدمة عنيفة جاءت في مذكرة كانت منتظرة هناك . جاش في صدره الغيظ وهو يقرأ ، ويتأمل خط كاتبها . عرف الخط وتأكد كده فازداد تغيطاً . نعم هو خط المندوب السامي السر هنري دوبس نفسه ، كلماته التهم والتوبيخ - الملك فيصل يناصر بريطانيا العظمى العداء - الملك فيصل لا يمثل العراق بما يفعل ويقول . الملك فيصل يناصر المعارضة ويشجع سرّاً المعارضين والمتطرفين . وينبغي ان يعلم انه ملك دستوري لا يجوز له ان يتدخل في شؤون الدولة بل ينبغي ان يتركها لرؤساء الحكومة وللبرلمان . ويجب عليه ان يترفع عن المنازعات والسياسات الحزبية وعند ما سأل الملك معنى ذلك وبيانه اجيب انه جاءهم في التقارير الرسمية من بغداد

ليس في تلك المذكرة نظراً الى الزمان والمكان ، شيء من حسن الذوق وليس فيها ، نظراً الى الاحوال ، شيء من الاصالة والسداد . وهب ان ما جاء في التقارير المبنية عليها صحيح ، فهل تساعد يا ترى في انجاح المفاوضات ؟ وهب ان اضطراب الجو كان وقتياً وان حلم الملك فيصل وصبره تغلبا على شعوره ، فكيف السبيل الى التوفيق بين حقائق السياسة وظواهرها ؟ كيف نستطيع ان نوفق بين معاهدة سنة ١٩٢٢ وبين الاحوال الحاضرة ؟

مما لا مرأى فيه ان العراق في السنوات الاخيرة تقدم تقدماً يذكر ان في السياسة والاقتصاد ، وان النفقات البريطانية الادارية والعسكرية هبطت هبوطاً جسيماً ^(١) ومما لا ريب فيه ان كفاءة العراق للعضوية في عصبة الامم هي اظهر مما كانت يوم رفع اللورد پارمور صوته في مجلس العصبة ، وردد تقرير سنة ١٩٢٥ صده امام لجنة الانتدابات الدائمة ، تنوياً بالعراق وتأيداً لمطالبه ولكن - ولكن - «نظراً» الى حكم العصبة بالموصل للعراق وتقييد ذلك الحكم بشرط أن تعد المعاهدة خمساً وعشرين سنة ، ودفعاً للظنون التي قد يثيرها التعديل او محاولته في نفوس الاتراك فيعودون الى المطالبة بالموصل ، فضلاً عن اتهامهم بريطانيا والعراق بنقض العهد بعد بلوغ الاربع - نظراً الى هذه الامور كلها ليس من مصلحة الحكومتين أن تستعجل الانضمام الى عصبة الامم . بل

(١) لم تتجاوز النفقات في سنة ١٩٢٧ التسعمائة الف ليرة ذهبية

ينبغي أن تؤجل المسألة الى سنة ١٩٣٢^(١) وستظل في هذه الاثناء العلاقات البريطانية العراقية على حالها اما الوفد العراقي فقد قاوم هذا التحول وحاول التغلب عليه ، مصرًا على تعديل يُعَدُّ تعديلاً فافق في محاولاته ومسايعه ، ووقف المتفاوضون امام العقدة التي لا تحل . فغضب جعفر بلندن كما غضب قبله السعدون ببغداد ، وحمل حقائبه وارتحل . وكان الملك فيصل قد عقد النية على الرحيل لولا فرصة سنحت لاعادة المحادثة والحكومة . فقد أُقيمت له مأدبة وداع ، حضرها بعض الوزراء فخطب فيها خطبة بليغة بصراحتها . ومما قال انه يؤثر العودة صفر اليدين على ان يحمل معاهدة لا تفضل التي سبقتها بشيء ، بل هي دونها في بعض موادها . فجز الوزراء رؤوسهم ان صحيح ، وأكدوا له بعد ذلك ان الامل لم ينقطع ، وان المأزق قد يتسع للخلاص

توقف الملك فيصل عن السفر ، وابق الى وزيره جعفر الذي كان قد بلغ الاسكندرية ، يأمره بالعودة . امثل جعفر الامر ، فعاد ادراجه ، ثم استؤنفت المفاوضات ، وقبلت المعاهدة ، دون تعديل فيها يستحق الذكر . فما السبب يا ترى في هذا الانقلاب الفجائي ؟ ما الذي حمل الملك وجعفر على القبول بعد ان صرح الاول ذلك التصريح ، واعرب الثاني عن رفضه بالرحيل ؟ هل اعتمد الملك على وعود الوزراء اصحابه ومعها ضمانات وزارية سرية ، ام هل كان الملك مكرهاً

اقف ها هنا لاقول كلمة فيها بيان شخصي . الليلة كان الملك فيصل يقص علي قصة هذه المعاهدة ، او ما كانت قسمته فيها من المفاجآت المفرحة والمفجعة ، من « بابا كركر » في صحف باريس الى تلك المذكرة في وزارة المستعمرات بلندن ، جاءه رئيس الوزراء نوري السعيد بالخبير السار من منطقة القتال بيرزان ، فتحول الحديث من لندن الى بلاد الاكراد . وما سنحت بعد ذلك الفرص -- سنحت الفرص ؟ انما هي كلمة باطلة لا يجوز ان اموء بها ذنبي . فقد ذهلت عن الموضوع في ما كان بعد ذلك من

(١) النصوص المختلفة للتعهد الواحد هي كما يلي
« يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يتوسط لادخال العراق في عصبة الامم باسرع ما يمكن »

المادة ٤ — معاهدة ١٩٢٢

« ينتهي اجل المعاهدة بدخول العراق في عصبة الامم . ولا يتأخر ذلك في اي حال عن الاربع سنوات من تاريخ عقد الصلح وتركية »

الملحق للمعاهدة — نيسان سنة ١٩٢٣

« عند انقضاء مدة معاهدة ١٩٢٢ والملحق لها ، تنظر الحكومة البريطانية فيما اذا كان العراق قد بلغ الرقي الذي يؤهله للعضوية في عصبة الامم »

المادة ٣ — معاهدة ١٩٢٦

« اذا استمر العراق في رقيه الحاضر وظلت الامور جارية مجراها الحسن ، يؤيد صاحب الجلالة البريطانية في سنة ١٩٣٢ ترشيحه لعضوية العصبة »

المادة ٨ — معاهدة ١٩٢٧

وكذلك تلون اليهود وتنقض . فالعهد الذي قطعه الانكليز في سنة ١٩٢٢ ، عدلوه في سنة ١٩٢٣ ونقضوه في سنة ١٩٢٦ ، ثم بعث حياً سنة ١٩٢٧ وهو مقيد بشرطين

وقد جاء في تقرير الحكومة البريطانية على ادارة العراق لسنة ١٩٢٨ صفحة ٢٧ ما يلي :

« ان هذا التقلب في موقف الحكومة البريطانية بعث الريبة في قوس العراقيين بحسن نيات انكلترا ، ولكن فيهم الاعتقاد بأنها لا ترغب في تأسيس دولة مستقلة في العراق . بل ان قصدها الحقيقي هو ان تستعمر البلاد »

المجالس والاحاديث وما عاد الملك اليه. وقد يكون شريك في الذنب، رحمه الله، فشغلني مراراً عن السياسة بتلك الاحاديث الحافلة بالعبر وباللطائف البشرية ولكنني وانا اعود الآن الى تقصّي الحوادث، استعين ببعض الوثائق والتقارير الرسمية، علني استطيع ان اجلو للقراء خبر ذلك الحدث اوازبل شيئاً من غموضه اعيد اذن السؤال: هل كان الملك فيصل مكرهاً في قبول معاهدة ١٩٢٧؟ يسارع بعض الكتاب والسياسيين العرب، في مثل هذه الاحوال، الى اتهم الحكومة البريطانية بالمكر والخداع دون ان يتحققوا الحوادث، ودون ان يثبتوا التهم. وقد قالوا في الحادث الذي نحن بصدددها انثارت عرب نجد على العراق في ذلك الحين لتنفيذ سياستها فيه، لتجبر الملك فيصلاً على قبول المعاهدة. وفي ظاهر الامر ما يسوغ الظن على الاقل. فقد أغار عرب نجد على العراق في خريف سنة ١٩٢٧ ثم في شتاء السنة التالية ولكن ذلك لا يثبت الحقيقة كلها. فهل كان عرب نجد، او بالحري هل كان الملك عبد العزيز ابن سعود مدفوعاً من الحكومة البريطانية في تلك الاغارات لا كراه العراق واذلاله؟ اذا لم يكن الامر كذلك فكيف اتفقت يا ترى تلك الاغارات وانقطاع تلك المفاوضات بتاريخها الواحد؟ فهل هي الصدف، هل هي الاقدار التي أضرمت النار على حدود العراق عند ما كان جعفر يتجهز للرحيل؟ فاذا كانت الصدف او الاقدار بريئة من هذا الاثم، فهل الانكليز بريئون؟ واذا لم يكونوا بريئين فكيف تستطيع ان تثبت ذلك؟ وهب ان الامر لا يحتاج الى الاثبات، وهب اننا قبلناه على ظاهره، فهل الانكليز وحدهم ملومون؟ او ليس اللوم الاكبر على العرب الذين يقبلون بان يذلوا اخوانهم العرب لا عراز الاجنبي؟ اني اجل ابن سعود عن هذه المعركة وامثالها، وان الحقائق الراهنة في هذه المسألة لا تسوغ حتى الظنون. فقد كان لحوادث نجد واغارات اهله اسبابها النجدية العراقية. وكان للانكليز يد فيها. ولكن الصلة مفقودة بين سياسة الامن وسياسة المعاهدات. وبكلمة اخرى إن للسلسلة التي تربط البادية بوزارة المستعمرات حلقة مفقودة، ولا نظنها في ما يتعلق بموضوعنا موجودة (١)

(١) اني مثبت الحقائق التاريخية في ما يلي: —

- أ — ما رضي عرب مطير بالحدود النجدية العراقية المقررة في معاهدة العقير (تشرين الثاني سنة ١٩٢٢) وقد اجتجوا لدى ابن سعود وتجاجوا مراراً بخصوصها
- ب — قررت الحكومة العراقية بناء مخفرين عسكريين الواحد في أبي الغار والاخر في البصية للمحافظة على تلك الحدود ومنع الغزوات بين البلدين
- ج — قلق عرب مطير وهم يرتادون الاماكن المجاورة للمخفرين وما دونهما في الايام المجيدة، وخافوا ان يفقدوا ما يدعونه حقاً شرعياً تقليدياً — فرفعوا امرهم الى ابن سعود فاحتجت حكومة نجد (ت ١ سنة ١٩٢٧) على المخفرين بحجة انهما يحدان الاضطراب فضلاً عن انهما يخالفان المادة الثالثة من معاهدة العقير
- د — بعد شهر ونصف من احتجاج حكومة نجد (في ٢٥ ت ٢) اغار عرب مطير على مخفر البصية واكتسحوه
- ه — قبل هذه الاغارة بيوم واحد ارسل ابن سعود وزيره الشيخ حافظ وهبه الى الكويت بالطيارة ليحضر المؤتمر المقصود عقده هناك لبحث المسائل التي تتعلق بالحدود النجدية العراقية. ولكن غزوة البصية حدث بوكيل الندوب السامي الى تأجيل المؤتمر
- و — في اوائل ك ١ اغار عرب نجد على القبائل العراقية في لواء الناصرية
- ز — في ١٣ ك ١ قبل ان وقعت المعاهدة البريطانية العراقية بيوم واحد هاجم سرب من الطيارات الانكليزية اولئك العربان كما فعلت قبلاً في غزوة الشهر السابق

اما الملك فيصل فاني اميل الى الاعتقاد انه كان يجاري الوزراء اصحابه ، ويتبع في الوقت نفسه سياسة خاصة به ، فيوصل الخيوط ويقطعها عملاً بتطور الاحوال . اذكر كلمة بليغة لاحد العرب فيها حكمة رائعة : « غلبتمونا وجهاتم اننا شئنا هذه الغلبة لكم » ولا عجب اذا انتهج الملك فيصل هذا المنهج ، بعد تلك الولىمة ، وهو متيقن انه سيرطم الانكايير برطمة المعاهدات التي تتابعت السنة بعد السنة ، فتزداد العقد تعقيداً ، ويقنطون اذ ذاك من الغلبات غير المفيدة

وقد كان . فقد بلغ فريق من السياسيين هذه المرحلة وقامت صحافتهم تندد بالحكومة — هي ذي الدعاية التي رحب فيصل بها — فقالت ان الحالة امست لا تطاق ، وانها « من انكر الحالات في العلاقات الدولية الحاضرة » . وعند ما يرفض المجلس النيابي العراقي المعاهدة غداً ، فاذا عساها ان تقول في « الحالة المنكرة ؟ »

اذن سنورد هذه المعاهدة حتفها ، سنشيعها الى القبر . وسيكون في الجنازة النصر الباهر للمعارضة — للبلاد ، ولكن الحكومة البريطانية اعدت كذلك العدة للعمل ، وجاء المفوض السامي السر هنري دويس ليكمل المعاهدة بالاقرار البرلماني . واحد يريد دفنها ، وآخر يريد تتويجها انتقل المسرح من لندن الى بغداد ، وجاء المتصارعون — الملك وجعفر والسر هنري — يستأثنون الصراع . من مدينة الضباب جاءوا الى مدينة الغبار — وفي الحالين حال الستار دون الابصار ما كان المندوب السامي ليظمئن الى وزارة جعفر ، فباشر لا بد لها بوزارة اخرى . ولو كان له ان يرى شيئاً من مناورة جعفر الاولى لكفى نفسه مؤونة المناصبه . جاء جعفر بالمعاهدة للعرض لا للتوليح ، واول ما كان من مناورته ، عند وصوله بغداد ، انه اذاع مضمونها ، فأثار عليها الرأي العام . حملت عليها الصحافة حملات شديدة ، وقامت المعارضة تندد بها وبالوزير حاملها . رمى جعفر بالمعاهدة الى الامة تمزقها قبل ان تصل الى المجلس ، وهو يضحك في سره ، ثم استقال . وقد عدت استقالته النصر الاول للسر هنري دويس . ثم دعي عبد المحسن السعدون لتأليف وزارة جديدة وعبد المحسن صديق الانكايير . كيف لا وهو الذي حمل المجلس منذ سنة على اقرار المعاهدة الاخيرة . لبي عبد المحسن الدعوة ، فعُدَّ ذلك نصراً ثانياً للسر هنري . وهذا البرلمان لا يعول عليه ، فينبغي ان يحل . وكان عبد المحسن يرى هذا الرأي ، فحل البرلمان ، وفاز السر هنري فوزه الثالث ثم جرت الانتخابات ، وكان لحزب التقدم (حزب السعدون) الاكثرية الساحقة في المجلس الذي اجتمع في ايار سنة ١٩٢٨ ، فتم النصر للسر هنري دويس

اما الملك فيصل فقد سار في الوقت ذاته سيره ، ودبر تدييره . افليس السعدون وزيره الاول ،

ح — اتاد عرب نجد الكرة مرتين بعد توقيع المعاهدة في شمدي ك ٢ وشباط من سنة ١٩٢٨ ط — اضعف الى ذلك ان فيصل الدويش شيخ مطير كان ثائراً كما برهنت الحوادث على ابن سعود لطامع شخصية سياسية وان ابن سعود في قمع ثورة الدويش والقضاء عليه لم يكن مدفوعاً بغير مصالحه ومصالح بلاده

وزيره لا وزير سواه ؟ أو ليس هو فضلاً عن ذلك من اشراف العرب ، ومن كبار الوطنيين في العراق ؟ والزعيم الاول المهيمن على حزبه ، المتمتع بثقة انصاره ؟
كان السر هنري عالماً بذلك ، وعالماً فوق ذلك بأمر كثيرة . ولكنما فاته الشيء الذي فيه العلم . وهو ان صديقه السعدون قد غير خطته السياسية ، فلا يرى من الآن حاجة الى الضغط على المجلس . بل لا يرى ان يعرض المعاهدة عليه قبل ان يتم تعديل الاتفاقين المالي والعسكري . وهو اذا اصرَّ على ذلك يكفي نفسه شر المعاهدة فتظل مدفونة في مكتبته . ذلك لان في الاتفاقين عقداً عصي حلها اسلافه وسلف السر هنري . وما كانت شروط الحكومة البريطانية هذه المرة اخف مما سبقها . فقد قيدت ملكية العراق لميناء البصرة ولسكة الحديد بقيود ثقيلة وتمحلت على عاتقها في مسألة التجنيد الاجباري

تلبد جو المفاوضات بالغيوم . فقد تمرت لجنة المجلس المعينة لدرس الاتفاقين ، فضربت باقتراحات المندوب السامي عرض الحائط . وتمردت الوزارة ، فأصرت على تعديل كلي جوهري ، وفرد المجلس الذي اصبح حزب التقدم فيه — حزب السعدون — اشد تطرفاً من المتطرفين انفسهم صُعقت المفاوضات . تبلبل السر هنري دويس . فلاذعان لارادة العراقيين مستحيل ، والرد لمطالب العراقيين خيبة له ، هو الطامح الآمل بإبرام المعاهدة . فعمل المكره عليه ، قبل بالخيبة . ثم استقال السعدون ، وكان النصر الاكبر ، في رفض المعاهدة والاتفاقين ، للامة وللبلاد ، فهتف الملك بشكر الله وحمده . ولكن الحساب لم ينته بينه وبين المندوب السامي . فلا يزال هناك دين صغير — تلك المذكرة في وزارة المستعمرات المكتوبة بخط يده . لم ينسها الملك فيصل ، وعندما سقطت وزارة السعدون (كانون الثاني ١٩٢٨) واخفقت المساعي المتكررة لتشكيل وزارة جديدة ، وأقبل السر هنري الى البلاط يطلب مقابلة الملك ، حان وقت الحساب

السر هنري : « البلاد بلا وزارة يا صاحب الجلالة ، وهي تنتظر ان تعينوا من يؤلفها »
الملك فيصل : « ولكني ملك دستوري ، وعلى الملك الدستوري ان يلزم الحياد »
وعندما جاء المرة الثانية بالمهمة نفسها ابرز تلك المذكرة وقال : « هذا تريده انت يا حضرة المندوب . يجب على الملك الدستوري ألا يتدخل بشؤون الدولة ^(١) اليس كذلك ، ان شؤونها الآن بيدك ولك ان تعين من تشاء » . ومرت ثلاثة اشهر ، والبلاد بلا وزارة ، والملك فيصل في موقفه لا يتحول عنه . انكسفت المفاوضات بعد انهزامها مرتين متواليتين ، واسترجعت المعاهدة التي كانت اصل الازمة ، وحانت ان تنتهي مدة السر هنري دويس كمندوب سام في العراق ، فأنهت قبل اوانها . وكان من الممكن ان تنتهي بأوانها وبسلام

(١) « بعد ان اعلن الدستور اخذ الملك فيصل يتجنب التدخل اكثر من اللازم بشؤون الدولة »
(السر هنري دويس . وفي رسائل غرترود بل ، الجزء الثاني ، صفحة ٥٥٤)

غيوم الخريف

جاء الخريف بغيمة يتهدى
 لما علت شمس الضحى خلعت على
 مدّت اشعتها حبّالاً فوقها
 فكسا بها الافق القصي مطارفاً
 شيبت سواد في البياض فشابهت
 ان الغيوم سرادقات نخمة
 او انها صحف النذير الى الورى
 او ان هذا الجو صدر واسع
 حان على بحر خضم هائج
 فاذا صفا وصفت تدرج وشيها
 رقت حواشي بردها وتباعدت
 كغلالة زرقاء جمّل لونها
 يا حسن الوية السلام خوفاً
 حارت بها هذي الطبيعة فاكتست
 والماء رق وراق مجري منسياً
 الارض جسم والمياه لها دم
 عادت الى الحقل العوامل بعدما
 وتنفس الحيوان في روحاته
 وتعرّت الاشجار من اوراقها
 وتداعت الاطيار من آفاقها
 وبدت طلائع الشتاء مغيرة
 ان الشتاء لكل حي راحة
 مترقباً عود الربيع وعودها
 سبحانهك اللهم كونك كله
 قد شدته للناس دار عبادة
 في كل خافية وظاهرة لك التسبيح ان همساً وان انشادا
 في الجو مطرداً عليه طرادا
 تلك الغيوم من النضار بجادا
 نشر الخريف غيومه ابرادا
 تذرو عليها الماطرات رمادا
 شيناً علا فوق الرؤس سوادا
 ركزت لها تلك الشمعاع عمادا
 بشتائم أن قد دنا ميعادا
 تغلي اشعة شمس احقادا
 يرغي بموج غيومه ازبادا
 يققاً مدارجهُ اتسقت صعادا
 فاذا السماء وراعاها تهادى
 وشى المخرم فوقها اسنادا
 خفق القلوب اذا خلصن ودادا
 بالظل مدّ ذيله وتمادى
 حرّ الهجير وجره الوقادا
 يغذو بها الاغوار والانجادا
 في الصيف كنّ فرغن منه حصادا
 وغدا يطيب له التراب وسادا
 وتبدلت اغصانها اعوادا
 تبني الوكون وتستحث الزادا
 جاءت بأول برده مرتادا
 تسليه من عنت الحياة جهادا
 بقوى الشباب كأنه قد عادا
 نظم قلبها هدى ورشادا
 وبه دعينا في الكتاب عبادا
 في كل خافية وظاهرة لك التسبيح ان همساً وان انشادا

آيَاتُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ

الطبيعة رائد المخترعين

﴿ السمك الذَّشَّاب والقسي والسهم ﴾ : لئن استوضحت امرًا تتوسم فيه الحصافة « أي اختراع تعتقد ان الانسان مخترعه من اصوله الى فروعه » لاجابك من فوره « القسي والذَّشَّاب » وما شاكلها كالبندقية وكل سلاح يقذف قذيفة نارية . والواقع ان من يتوهم ذلك لمخطئ . لان الطبيعة اخترعت تلك القاعدة ، قبلما عرف الانسان بعصور طويلة ، وسيلة قتل الطيور بقذفها بالحصى ويؤيد قولنا ان كثيراً من النباتات وبعض الحيوانات تتذرع بالقذائف الى الحصول على غذائها وافضل مثال لذلك « السمك الذَّشَّاب » الذي يعيش في مياه بحار الهند ، ويعرف عند العلماء باسم *Toxotes Jaculator* اي « السمكة ذات البندقية » ويتغذى غالباً بالحشرات التي تأوي الى النباتات التي تنمو على السواحل . ولما كانت تلك السمكة عاجزة عن الوثوب من الماء الى الحشرات حين تحوم حول تلك النباتات ، فانها تتوسل الى قنصها بقذفها ببندقيتها ، أسوة بالصائد الذي يصوب ببندقيته الى الطيور من بعيد . فترى السمكة تشتف الماء حتى ينتفخ شداها ، ثم تقبض فيها وتبع ما فيه من الماء بشدة على فريستها . وقلمّا تخطىء المرمى ، فتصرعها ثم تلتهمها

﴿ المحقنة وأنياب الافاعي ﴾ : لم يعرف الاطباء المحقن الذي يستعمل لحقن الادوية تحت الجلد الا في خلال النصف الاخير من القرن الماضي . فتوسلوا به الى حقن المرضى في الاناييب الدموية بالطفيف من العقاقير المخدرة ، مخفياً لآلام العمليات الجراحية وتمكيناً للمريض من احتمالها . مع ان الطبيعة اخترعت ذلك الاختراع قبل الانسان بملايين السنين ، بيد أنها تملأ محاقنها سمماً ، جاعلة اياه سلاحاً دفاعياً لبعض مخلوقاتنا . وما الاناييب السامة للافعى ذات الاجراس ، وللصل المصري ، — الناشر — وما اليها من الثعابين السامة ، الا محاقن طبيعية في اجسامها تماثل المحاقن الصناعية التي يستخدمها الاطباء سواء بسواء . والنحل والزناير والبعوض ، وما شاكلها من انواع النمل ، مجهزة بمحاقن مملوءة سمماً تقتل به غيرها من الحشرات وتكدر به صفو سيد المخلوقات . ولكن المحاقن التي في ابدان تلك الحشرات تختلف اختلافاً طفيفاً في تركيبها ، عنها في انياب الافاعي .

لان ابرة آية حشرة من هاتيك الانواع تخرق الجلد بمباضع دقيقة تتحرك حركة سريعة ، متصلة بالانبوب الذي يسري منه السم الى المسوع^(١)

✽ القصر البلوري والزنبق المائي ✽ : ومع ان الطبيعة سبقت ان اخترعت كثيراً جداً من المخترعات التي استطاع البشر تقليدها ، غير ان المخترعين قلما يقتبسون مخترعاتهم مباشرة من الطبيعة ولقد كان بدء احتذاء الطبيعة في اعمالها كل الاحتذاء ، موافقاً لتاريخ بناء القصر البلوري في لندن - وهو اول صرح بُني بالفولاذ والزجاج فقط . ويعتبر النموذج الاول الذي قلّده المهندسون فيما بعد في كل ما انشأوه وينشئونه من سقائف للمصانع ومحطات السكك الحديدية

وتفصيل ذلك الحادث انه في سنة ١٨٥١ احتاجت ادارة المعرض في لندن الى بناء فسيح للمعروضات ، فتبارى المهندسون في عرض الرسوم المختلفة ، فلم تحز القبول ، لان ذوي الشأن كانوا يعترضون على كل رسم منها لعدم استيعابه للشروط المطلوبة كافة

فجاءهم ذات يوم بستاني ، وهو يوسف بكستون وعرض عليهم بغتة رسماً غير متقن (مسودة) لبنانية تقام على قاعدة جديدة من كل الوجوه . وكان قد درس الزنبق المائي المسمى Victoria Regia وهو نبات مائي ذو اوراق ضخمة تستطيع الورقة الواحدة منها حمل طفل متوسط الجرم . وكان قد قد وقف على سر قوة احتمال الورقة الزنبقية فاقبّس باكتون اختراع الدطام الفولاذية من نظام اضلاع اوراق الزنبق المائي المستديرة العائمة الضخمة . و اضاف اليها الواحاً من الزجاج كاللواح التي تتركب في أطر مشاتل النباتات في بستانه . فكان ذلك اساس بناء القصر البلوري . واعترافاً بفضله ، أنعمت عليه حكومته بلقب سير ، فاصبح البستاني الخامل الذكر ، السير يوسف باكتون المهندس المشهور

✽ نبات الجرة والتلج الصناعي ✽ : ولا يخفى على كل منا كيفية صيرورة يوم صيهب^(٢) ، بارداً ، عقب انهمار بارقة^(٣) thunderstorm فجائية . ويعلم دارسو الطبيعيات ان الحرارة تستنفد في تبخير بعض الماء وتحويله مطراً يبرّد الجو . وان بعض المواد ، كالنشاير والحامض الكربونيك ، يستنفدان حرارة كثيرة في تبخيرها تفوق ما يستنفده الماء فينشأ من تبخيرها رطوبة اشد من رطوبة الماء وان هذا هو اساس صناعة التلج . ومع ذلك فقد سبقت الطبيعة الانسان بزمن بعيد فاستخدمت نتيجة تبخير الحامض الكربونيك والماء ، لنفع النبات المسمى « نبات الجرة » الذي ينمو في بلاد الهند . وهو يستهدف غالباً للعطش ازماناً طويلة ، فيحتاج بطبيعته الى الاستعانة بجهاز للتبريد لكي يحصل به على الماء من الهواء . وبعض اوراقه تشبه الجرة في شكلها ، ويمتد من ساقه جذر طويل مفرّع متصل بقعر الجرة . وسطح باطن الجرة يفرز ماء وحامضاً كربونيكاً فاذا ما تبخّر ذلك المزيج المرطب ،

(١) اللسع لذوات الابر واللدغ بالقم - فالعقرب تسلع والحية تلدغ

(٢) الصيهب - اليوم الحار ، او شدة الحر (٣) البرقة بوزن الغرفة - والبارق سحاب ذو برق والسحابة

بارقة - مختار الصحاح - المترجم . وهذه افضل ترجمة لفظ Thunderstorm الانكليزي

انخفضت درجة الحرارة في الجرة فيترتب على ذلك اجتماع رطوبة الهواء على جذر الشجرة من الداخل كاجتماع قطرات الماء على سطح جرة من ماء مثلوج ، فتسقط تلك الرطوبة الى الاسفل حتى تصل الى فم الجرة حيث يمتصها النبات وينتفع بها

✽ الحارود — كلب الماء — واخترع الخزانات ✽ : ولا يغرب على الكثيرين من القراء ان الحارود النشيط هو مخترع الحياض التي يخزن فيها الماء لادارة المصانع . وانه ايضا اول من قنسى القني لجر المياه واستخدمها للنقل والانتقال بالسفن . وكلب الماء يأتي ذلك في الغياط القريبة من الاشجار لكي يتمكن من قطع اغصانها وتعويمها في القناة ليستعملها في بناء الخزان او بمثابة كتل للطعام وطالما افتخر المهندسون بشريون بحفر قناة بناما ، وهم خليقون بالفخر ، بيد أنها ليست اغرب من بعض الترع التي يحفرها ذلك الحيوان البحري المهندس

وقد رأى المستر ارنست طمسون سيتون ترعة من ذلك النوع انشأها كلاب الماء في جبال ابروندك في نيويورك فاذا طولها ٦٥٤ قدماً وعرضها يتراوح بين قدمين وثلاث اقدام وعمقها قدماز ويمتاز الخزان الذي ينشئه كلب الماء بغرابة شكله اذ يبنيه من اغصان الاشجار المتينة والطين . وقد يبلغ عرضه ٢٠ قدماً وعمقه ١٢ قدماً وطوله ١٢٠٠ قدم . فلا شك ان ذلك الحيوان المهندس هو رائد المخترعين للخرسانة المسلحة لان مواد البناء التي يستخدمها في بناياته اي الطين والاغصان تقابل خليط الاسمنت والقضبان الحديدية المؤلفة ^(١) للابرق المسلح

✽ الارضة الافريقية ونواطح السحاب ✽ : تبني الارضة — وتعرف بالمثل الابيض وهي ليست مثلاً — بيوتها من الصلصال فيتصلب من الشمس تصلباً شديداً بحيث تستطيع زمرة من الناس الوقوف على سقفها دون ان تتصدع . وتجعل الارضة بيوتها مقببة ، ذات طبقات عدة من الخادع ، تملأ بعضها بعضاً لاغراض شتى . وتوصلها بعضها ببعض بمجازات تحفرها في جوف الارض فتصبح بمثابة مدينة يعلوها سقف واحد كأنها صرح من الصروح المكتظة بدوار الاعمال ، الحافلة بالسكان التي يطلق عليها اسم (ناطحات السحاب)

وقد يبلغ ارتفاع بيت الارضة ١٢ قدماً مع ان ارتفاع اشهدق مباني العالم اي الامبيرستيت ١٢٠٠ قدم . فان اردت المقارنة بين دينك البيتين باعتبار قامة بانيه ، اتضح لك البون الشاسع بين مجهود الارضة ، ومجهود الانسان . اذ عمارة « الامبيرستيت » لا يزيد ارتفاعها على ٢٠٠ ضعف قامة انسان طوله ست اقدام . على حين ان بيت الارضة يفوق ٥٠٠ ضعف قامة التي لاتعدو ربع بوصة !! اذن تكون ابذخ مباني البشر واشهرها شيئاً حقيراً بازاء بناية الارضة المهندسة البارعة !!

✽ الزناير وصناعة الورق ✽ : معظم الناس يعرف ان الورق الذي تطبع عليه صحفنا اليومية من

(١) الابرق كالبرق والجمع ابارق — غلط فيه حجارة ورمل وطين مختلطة — ولعل هذا افضل لفظ يسوغ استعماله بدلاً من الخرسانة المسلحة . وهو مقتبس من معجمي الفيروز ابادي ومختار الصحاح

عجينة الخشب او رُبِّه . بيد انهم لا يفقهون كوننا تتأسى في ذلك بأقدم صناعات الورق — ونعني بها الزناير — ! تلك الحشرات النشيطة التي حذقت صناعة الورق ، قبل ان يتعلم الصينيون صناعته بالايدي بدهور . وطريقة الزناير تقوم بمضغ اوراق الشجر او اليف الخشب حتى تصيره عجينة فتستعملها في بناء عشاها اما في حفير من الارض واما في غصن شجرة واما ملصقاً بعرق خشب بدار قديمة او هري عتيق

✽ مذنبه زهرة Venus, Flytrap : يدلنا التاريخ البشري ان الانسان حينما شرع يفكر في صيد الحيوان ليقنات بلحمه (اخترع الفخ) وكان ذلك الفخ بمثابة حفير في السبيل التي اعتادت الحيوانات الطريدة سلوكه ، ثم اخفاء الحفير عن عيونها بغطاء ركيك ، حتى اذا مرّت عليه ناء بها فتسقط فيه حيث لا تستطيع حراكاً فيفاجئها الصائد ويغتها . ثم تدرج العالم من ذلك الى اتقان الجبائل رويداً رويداً حتى اتيح لهم صنع الفخ القولاذي ذي النابض . الا ان الطبيعة قد سبقت الانسان الى صنع الفخاخ منذ ملايين السنين ممثلة في نبات ضئيل ينبت في ولايتي كارولينا الشمالية والجنوبية وفلوريدا بأمركا ويعرف باسم مذنبه زهرة . فاذا نصب ذلك الفخ رأيت شقي الورقة المستديرين فاغرين ، وثلاث شوكات متينة كالاسنان ناتئة في وسط كل من الشقين . وويحاً للحشرة التعسة التي تلمس الشوكة العليا فتكون كمن يبحث عن حتفه بظلفه إذ ينطبق الشقان عليها بفتة وتشتبك توتاً اسنان الشقين بعضها ببعض كما تشتبك اصابع الكفين اذا تداخلت بعضها ببعض فتستقر الحشرة في جوف النبات وحينئذ تفرز غدهه سائلاً هاضماً وتمتص المادة النيتروجينية التي في الحشرة وقد يقضي النبات عدة ايام في هضم ذبابة واحدة وكلما تتمكن الورقة الواحدة من هضم ذبابتين او ثلاثاً قبل موتها

✽ اجهزة تنفس الحشرات والكمات الواقعة من غبار الصناعات : وقد ترتب على الصناعات العصرية طائفة من الحرف التي يستهدف ذووها الى الذرات التي تتناثر منها . ومنها حرفة الحفر على الزجاج والمعدن بنسف الرمل ، التي تقتضي توجيه مجرى من الرمل الناعم بوساطة الهواء المضغوط على سطح من الزجاج من ثقب مقطع ^(١) فينجم عن ذلك طيران ذرات الرمل والزجاج ، فان تعرض الصانع على الدوام لاستنشاقها ، احدثت تهيجاً في رئتيه فرضاً وبيلاً . ولذلك يجهز الصانع بأقنعة او كمات للتنفس تنقي الهواء مما يشوبه من الذرات الصلبة وذلك بوساطة شبكة معدنية دقيقة لكي تحول دون دخولها (اي الذرات) في رئتي الصانع . وقد يخيل للمرء ان هذا الاختراع ليس من مستلزمات الطبيعة . والواقع ان الحشرات تكاد تكون كلها مجهزة بأمثال ذلك الجهاز ويجهل الكثيرون من الخلق كون الحشرات لا تنفس بأفواهها . والحاصل ان الهواء يدخل

(١) المقطع — جاء في اللسان والمقطع بكسر الميم ، مثال يقطع عليه الاديم والثوب وغيره (ارنيك) Stencil

اجسامها شبيهاً ويخرج منها زفيراً ، وذلك من جوانبها مباشرة بوساطة صف من المسام يسمى Spiracles مؤلفة من شعور دقيقة تقي تلك المسام من دخول الغبار . ولو حرمت الحشرات من تلك المصافي لصارت حالاً أجهزة التنفس كلها في اجسامها غير مجدية

﴿البقباق﴾^(١) المائي والزوارق ومقاذيفها Water—boatman * قبل ان يعرف العالم في العصور الاولى من التاريخ البشري طريقة تجويف كتل الخشب وجعلها زوارق ، وقبل ان يتعلموا كيفية تسيرها بمقذافين ، اخترعت الطبيعة مقاذيف متقنة لنفع حشرة مائية ضئيلة سميتها البقباق المائي وقد يتسنى لك رؤية تلك الحشرات في الماء الضحل على شواطئ البرك الصيفية . والبقباق يقطع سباحاً بمقاذيفه الطبيعية مسافة لا تزيد على نصف بوصة كلما حرك مقذافيه مرة واحدة — ولولا تاملته عن كسب لرأيت الشعور المتينة الناتمة من جوانبه تنقبض في الماء حينما يبغى التقدم . وتنبسط حين يبغى التقهقر . وعلى ذلك النمط ترى الطبيعة اتقنت صنع المجذاف على شكل الريشة قبل ان يحذق الناس ذلك بملايين السنين . والطبيعة تراعي دائماً الاقتصاد في مخترعاتها — فان ذنك المقدافين الذين جهزت بهما البقباق المائي هما ساقاه . وهذه هي خطة النشوء والارتقاء — اي انه اذا استجبت حاجة لمخلوق من المخلوقات لا يمكن ان يعيش من غير استيفائها ، عدلت الطبيعة اي عضو من اعضائه حتى يفي بتلك الحاجة . ولو عرف الناس مخترعات الطبيعة كنه المعرفة من قديم لكانوا استطاعوا اختراع بعض مخترعاتهم قبل تواريخ اختراعها بالوف السنين

ولما اخترع روبرت فلطون باخرته الاولى جعل رفاها بمثابة مجلتين على جانبيها . ثم حسن غيره من المخترعين تلك الطريقة فجعلوا البواخر التي تشق عباب المحيطات ذات رفاها مختلفة عن ذلك النوع فبدأوا باختراع الرفاس اللولبي وذلك النوع ما يزال مستخدماً لتسيير البواخر من اصغرها الى اكبرها . مع انه لم يكن معروفاً منذ مائة سنة . والحيوانات الدقيقة التي تؤلف اجسامها من خلية واحدة والتي تسمى ذات الذوائب او السياط flagellates تنطلق بسرعة في مياه البرك وتستخدم الرفاس اللولبي الذي في جسم كل منها وهو ذنبها منذ عصور لا حصر لها . فاذا ابصرتها سباحة في الماء خلفها طيارة يدور محركها فيشق الهواء فيدفعها الى الامام ساحباً جسمها وراءها . وعلى ذلك الاسلوب تسبح تلك الحيوانات الدقيقة ذات الاجسام اللولبية الاشكال في الماء بحركة ذوائبها الطويلة قدامها

﴿عظام الجمجمة والتعشيق في النجارة﴾ : يعرف كل نجار ان اوثق رباط لزوايا اي صندوق من الخشب هو التعشيق اي ادخال ألسنة من الخشب من جانب في تجاويف مطابقة لها في الجانب الآخر فتشترك الزوايا بعضها ببعض كما تشترك اصابع اليد بالآخرى اذا ضمت كفيك — ويعرف هذا الاشتباك في اللغة الفصحى بالاشتباك التدريزي وعند العامة والنجارين في مصر باسم (نقر لسان) اي انثى وذكر — وعاشق ومعشوق — والطبيعة اول من اخترع هذه الطريقة وغيرها من

(١) لم اعثر على ترجمة لذلك الاسم فاطلقت عليه البقباق المائي مقتبساً اياه من بقبق الكوز في الماء

القواعد الصالحة للبناء التي يستعملها الانسان . وحسب المرء ان يفحص الخطوط الموصلة بين العظام المكونة للجمجمة فيجدها كلها على مثال العاشق والمعشوق . فلا غرو اذا كان سميتون المهندس الاسكتلندي قد نهج هذا المنهج في ربط احجار اساس منارة اديستون Eddystone حيث تور عواصف البوغاز الانكليزي (بحر المانش) وامواجه الطاغية . وقد اقيمت تلك المنارة على انقاض منارة قديمة ، كانت مبنية بالاحجار فاكتسحتها الامواج والعواصف لضعف بنائها . فلما نيط بذلك المهندس تجديد البناء لم ير أفضل من طريقة تعشيق حجارة الاساس بعضها ببعض ثم تعشيقها هي ايضاً في سطح صخر اديستون المبنية عليه المنارة نفسها . وقد انقضى على بناء تلك المنارة مائة وخمسون سنة ولم تؤثر فيها العناصر تأثيراً يذكر

✽ النحل في فقيره واجهزة الهواء في المسارح والمصانع والمناجم ✽ : لا يخفى ان لكل مسرح من المسارح العصرية ، ولكل مصنع من المصانع الحديثة الطراز ، ولكل منجم من المناجم الجديدة جهاز لتجديد هوائه وذلك الجهاز يعد حديثاً في هندسة البناء البشرية اذا قسناه بقاعدة تجديد الهواء التي عرفها النحل واستخدمها منذ دهور . والغايات التي يتوخاها النحل من ذلك التجديد الهوائي في خلاياه ، لا تختلف عما يقصده الناس ، فالنحل يولد تياراً من الهواء بتحرك اجنحته . والانسان يجدده بالمرأوح الكهربائية ولذلك يؤلف النحل صفاً طويلاً من جنوده تقف عند مدخل فقيره فتأخذ في الدوي بلا انقطاع ، ضاربة الهواء باجنحتها فتحركه وتحث فيه تياراً يخفف وطأة الحرارة في الفقير أو يقلل ما يلحقه من الرطوبة

✽ اصحاب مزارع تربية المواشي وحبائل الصيد والحرابي ✽ : ومن قبل ان يتعلم رعاة المواشي بازمة طويلة كيفية القبض على العجل الهارب بقذف ربة حول قرنيه ، اخترعت الطبيعة مثل تلك الاحبولة التي تلتق من بعيد على الطريدة — ممثلة في الحربة — وهي اول مخلوق يستفيد بتلك الوسيلة وبها يتسنى لذلك الحيوان قنص الفراش وغيره من الحشرات من بعد يراوح بين ٦ بوصات و ٨ بوصات والواقع ان ربة الحربة انما هي لسانها ذو الطرف اللزج فبذلك اللسان يتيسر للحربة وهي جاثمة على اي غصن من اغصان الاشجار ان تقنص اية حشرة تراها على بعد مناسب لطول لسانها فتزحف اليها دون ان تزججها حيث تحتطقها بلسانها في طرفة عين ثم تقترسها . ومن ثم ترى الطبيعة قد جهزت الحربة بذلك اللسان العجيب لانها تأوي الى الاشجار حيث يتعذر عليها الوثوب من شجرة الى اخرى لصيد فريستها . فتستعين بلسانها على ادراك كل بعيد عنها ، فان خلت الانسان اول مخترع لاي اختراع تراه حديثاً في عرفك ، فانك تخطيء لان الطبيعة اخترعته قبل ذلك بالوف السنين . وهذا سبب كون العلم الآن يشير على المخترعين باستجلاء غوامض الوسائط الطبيعية الميكانيكية واستقراؤها حتى يقتبسوا منها ما يصلح لاستفادة المجتمع الانساني من الاختراعات الجليلة الشأن

قلبي... يا قلبي

قلبي ، أأنت نصيري في محبتها
كل الذي فيك من برّي وعافيتي
أم أنت يا قلبُ فيها بعضُ أعدائي ؟
هو الذي فيك من سُقَمي ومن دائي

* * *

يا رَحِمْتَكَ من قلبِ كَصَوْمِ مَعَةٍ
شيدت من الصخرِ لكن في طهارتها
في رأسِ شاهقةٍ في جوفِ صحراءِ
هي الغمامةُ قد شيدت من الماءِ
تطوي معاني هذي الأرض في كلمٍ
كالطَّفلِ عالمُهُ في بعضِ اسماءِ
فالموتُ فيها بلا معنى يُسميتُ كما . .
فيها الحياةُ بلا معنى لِأحياءِ

* * *

يا حَسْرَتَاكَ من قلبِ تَقَلَّبَ من . .
عند الأحياءِ لا يَلُو مُسَاوَاةً
جوعِ جوعٍ وإظاءٍ وإظاءٍ
وإن تكن رُوحُهُ عند الأحياءِ
لكن مُعَانِدُ من يهوى هو النَّائي
ذكرى ، وناسي حبٍّ غيرِ نَسَاءِ
يَظَلُّ ذَاكِرٌ حُبٍّ غيرِ مُخْتَفِلٍ

* * *

أوفى بك الحبُّ يا قلبي على زمنِ
سوداءَ شَعْنَاءَ مُغْبِرًا جوانبها
كالأرضِ بعد حَصَادِ الزَّرْعِ للرأيِ
من بعد لَمَسَاءِ رَبِّهَا النبتِ خَضِرَاءِ
قلبي ، أأين بيتٌ مطوَّبًا على حرقِ
ويكَّ اتِّعِدْ ، إن نيرانًا تُحَرِّقُنِي
من الصَّبَابَةِ تُطْفِئُهَا باطْفائي ؟
في حبها ، هي نيرانِي وأضوائي

* * *

يا بؤسَ للقلبِ من هجرِ عَرَفْتُ بِهِ
يمرُّ يومٌ فيومٌ في تَسْلُسُلِهِ
ثُقُلَ الزمانِ على قلبي وأحشائي
والحبُّ حَائِسُنِي في يومِ أخطائي
مِثْلُ الضبابِ على الأنوارِ يتركها
وشُقَّةُ الهجرِ تمضي لا انتهاء لها
مرضى من النورِ قد حُمِتْ بِظُلَامِ
إذا الدَّلَالُ مَشَى فيها بإِبطاءِ ! !

* * *

قلبي ، أأنت نصيري في محبتها
كل الذي فيك من برّي وعافيتي
أم أنت يا قلبُ فيها بعضُ أعدائي
هو الذي فيك من سُقَمي ومن دائي

النيل في العهد الفرعوني

مقاييسه . اعياده . مدحته

للدكتور حسن كمال

— ٢ —

سندكر للقارئ بياناً موجزاً لبعض مقاييس النيل التي كانت في عهد الفراعنة والتي لا تزال آثارها باقية للآن مبتدئين بأقصاها جنوباً ومنتهين بأقصاها شمالاً

(١) مقياس النيل في جهة سمحة : — في قلعة سمحة القديمة (بالسودان) نقوش غاية في الخطورة خاصة بمناسيب النيل وقت الفيضان . ويظهر ان مشروعات الري العظمى التي شادها امنمحتت الثالث (١٨٢٠ ق . م .) في الفيوم تطلبت معرفة حالة الفيضان قبل وصوله الى الفيوم بمدة كافية وكتابة هذه الاحوال بالضبط على الصخور وارسال اخبار الفيضان بواسطة اشارات من تل الى آخر حتى المركز الرئيسي . وهذه النصوص اوردها ليسيوس في مجلده الثاني من الدنكمار لوحة ١٣٩ وهي تقع على ارتفاع عشرين قدماً فوق سطح النيل الحالي . ومن هنا نشأ كثير من الارتباك والتخمين في تفسير هذا الفرق العظيم . ويستدل من طريقة نقش هذه النصوص انها حُفرت عند حد المياه الحقيقي وليست عند النهاية العليا لحبل طوله عشر اذرع او عشرون ذراعاً مثلاً بينما نهايته السفلى تمس سطح النهر وبرى الاستاذ پتري ان نصوص سمحة تشير الى انخفاض قاع النهر في بلاد النوبة العليا بخلاف الحالة في مصر وهذا ينشأ من امرين اولهما تأكل قاع النهر الحجري وثانيهما ارتفاع قاع النهر عند طرف النوبة الجنوبي (راجع تاريخ مصر للاستاذ پتري جزء ١ ص ١٩٥) . والنصوص التي في جهة سمحة هي خاصة بالفيضان سنوياً في عهد الملك سباك حوتب الاول (٢٤٦٠ ق . م .) الى الرابع (اسرة ١٣) — راجع پتري جزء ١ ص ٢٥٩) . والمعروف ان امنمحتت الثالث (١٨٢٠) كان اعظم ملوك اسرته اهتماماً بأمور الري فهو الذي اصدر امره لحماية قلعة سمحة بأن تقيس في جهتها اقصى ارتفاع لمياه النيل كل سنة فتأسس لذلك مقياس النيل المذكور اعلاه . ولما كانت اخبار هذه المقاسات ترسل على عجل الى موظفي مكتب الوزير بمصر السفلى فقد تمكن القوم وقتئذ من تقدير مقدار الحبوب الممكن انتاجها في البلاد في السنة التالية . وبناء على ذلك قدروا نسبة الضرائب والرسوم التي تطلبها الادارة المالية من ذوي الاملاك (برستد تاريخ مصر ١٢٣ ترجمة الدكتور حسن كمال)

(٢) مقياس النيل بمعبد كلايشة : — هذا المقياس في الجهة الغربية لممر المعبد الداخلي .

وهو محفوظ بحالة جيدة . ونكتفي الآن بالإشارة إليه تاركين التفصيل للمقاييس الأخرى التي تفوقه شأنًا (٣) في جزيرة انس الوجود (بلاق أو فيلة) مقياس للنيل وهو عبارة عن بئر في الجنوب الشرقي من اطلال الهيكل هناك وفيه سلم مستقيمة تحتوي أولاً على ٥٢ درجة وتنتهي ببسطة مربعة تنعطف منها على اليمين ١٢ درجة ممتدة إلى ماء النيل . أما الماء فيدخل في هذه البئر من باب مصنوع أسفلها ومن بعض فجوات في الحائط يعلو بعضها بعضاً بمقادير متفاوتة . وفي هذه البئر جهة الشمال في اتجاه الدرجة المربعة التقاسيم القديمة منقوشة في الحجر بكيفية غير متقنة ومجزأة إلى سبعة اقسام واحد يشمل ٤٢ درجة مقدرة بثلاث اذرع واربعة يحتوي كل منها على ٢٨ درجة وكل قسم مقدّر بذراعين . ثم يلي ذلك قسمان آخران كل منهما ١٤ درجة وكلاهما مقدّر بذراع . فعلى ذلك يكون مجموع الاذرع ١٣ ذراعاً . وقد اكتشف هذا المقياس المرحوم محمود باشا الفلكي عام ١٢٨٦ هجرية واصلاحه وابقى تقاسيمه القديمة وجعل فيه المقياس عربياً بحسب الطريقة المتبعة في مقياس الروضة وقد قدر الباشا المذكور الذراع القديمة المستعملة لمقياس النيل فوجدها ثلاثة وخمسين سنتيمتراً . ولم يعلم بالضبط حتى الآن تاريخ انشاء هذا المقياس (عن المرحوم كمال باشا في الحضارة القديمة ص ٧٤) (٤) وفي جزيرة اصوان (ويقال لها أيضاً الجزيرة وعند الافرنج الفانتين) مقياس للنيل في مقابل مدينة اصوان وهو عبارة عن سلم مدرّج ينتهي بالمقياس وهذا عبارة عن تقاسيم ونقوش على جدار البئر . والتقاسيم عبارة عن اذرع والذراع مقسمة إلى اقسام صغيرة كل منها يعادل اصبعين . وبعد ماضى على هذا المقياس حوالي الالف سنة بلا استعمال اصلح في عهد الخديو اسماعيل عام ١٨٧٠ ميلادية كما يستدل على ذلك من النقوش العربية والفرنسية هناك . وعلى جدران السلم تشهد نقوش يونانية يرجع تاريخها إلى العهد الروماني توضح مناسيب النيل . ومقاسات هذا المقياس رومانية العهد والاذرع مكتوب عليها بالخط اليوناني . أما المقياس الحديث فنقوش على الواح من الرخام قال استرابون ان هذا المقياس مصنوع من احجار منحوتة نحتاً متساوياً وهو واقع على ضفة النيل ومنقوش عليه مناسيب النيل القصوى والصغرى على حدّ سواء لان الماء في هذه البئر يعلو وينخفض مع ماء النهر . وعلى جانب البئر علامات تشير إلى ارتفاع الماء إلى العلو الكافي للري وغير ذلك . وهذه المناسيب تقرأ وتدوّن وتُنشر للعلم ولهذا شأنه عند الفلاحين اذ عليه تترتب مواعيد الري والحفاظة على الترع والجسور الخ . وله أيضاً شأن كبير عند الموظفين الماليين لان منسوب النيل وقت الفيضان له علاقة بالضرائب . فكلما علا المنسوب زادت الاموال

(٥) وفي معبد حوريس بأدفو دهليز مدرّج تحت الارض يبدأ من القسم الشرقي للسمرّ حول المعبد وهذا الدهليز ينتهي إلى مقياس قديم عبارة عن بئر دائري خارج المعبد ويحيط به سلم حلزوني وعلى حائط هذا السلم المقاييس والارقام الديموتيقية الخاصة بقياس النيل . وهذه البئر كانت متصلة بالنيل بطريق سفلي سدّ الآن ولم يعد على اتصال بالنهر

(٦) وفي الركن الشمالي الشرقي للصور الخارجي لمعبد مدينة هابو بالاقصر فوق البحيرة المقدسة وعلى بعد ٤٥ ياردة الى الشمال الغربي منها يوجد مقياس للنيل ويتوصل اليه بباب منقوش عليه اسم الملك نقتانب الاول وهذا الباب يوصل الى حجرة ثم الى دهليز ينتهي بسلم مدرج يصل الى عمق ٦٥ قدماً حيث توجد مقاييس الفيضان النيل

(٧) مقياس الكرنك : — على جدار مرسى السفن القديم لمعبد الكرنك نقوش تدل على مناسيب النيل في عهد عدة فراعنة . وقد نشر هذه النقوش وترجمها الاستاذ ليجران في مجلة السيتشرفت الالمانية عدد ٣٤ . وهذا المرسى مشاد باحجار ضخمة وعليه ٤٥ نصاً خاصة بمناسيب النيل ابتداءً من السنة السادسة لملك شيشاق الاول الى السنة التاسعة عشرة من عهد الملك بسامتيك الاول . اما النصوص فبسيطة ولا يجد الباحث صعوبة في ترجمتها وهي عبارة عن تكرار للعبارة الآتية : — « النيل في العام ... من حكم جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري ... » وبجانب هذه النصوص توجد نصوص اخرى تاريخية واخرى لها علاقة بالري . خذ مثلاً النص الخامس الخاص بالعام الثالث لحكم الملك اوسر كون الثاني فإنه يخبرنا عن فيضان عال جداً . وقد عثر الاستاذ دارسي في معبد الاقصر على نصوص هيروغليفية يرجع تاريخها الى ذلك الزمن شرحها امام المعهد العلمي المصري قائلاً ان الثمانية الاسطر الاولى تصف حالة طيبة في هذا الفيضان غير الاعتيادي من حيث وفرة حتى منع القيام بالاحتفالات الكبيرة المعتادة للمعبود امون حامي المدينة . يلي ذلك دعاء من الملك الى المعبود امون ليوقف هذا الفيضان عند حده « قال الاستاذ بيري في تاريخه عن مصر الجزء الثالث ص ٢٥١ ان هذا الفيضان حصل حوالي ١٠ اغسطس سنة ٨٧٦ ق. م . وهو ميعاد مبكر جداً لان اعلى الفيضان يبلغ اقصاه في طيبة حوالي ٢٥ اغسطس في الازمنة الحاضرة

وقبل الفراغ من هذا البحث يجدر بنا ان نذكر شيئاً عن مقياس الروضة ومقابلته بالمقاييس الفرعونية . فالمقاييس في العهد القديم كانت آباراً متصلة بالنيل ومنقوش على جدرانها المقاسات المصرية القديمة . ويظهر ان المقاييس تطورت بعد ذلك فجعلت التقسيمات على عمود خاص وسط البئر وقد سبق ان ذكرنا ان لعظم الفيضان النيل في نفس المصري القديم حتى اعتبره من عمل المعبودات فلما دخل العرب مصر تأثروا ايضاً بهذا الحادث السنوي العظيم وتذكروا قوة المولى جل وعلا فنقشوا الآيات القرآنية الشريفة عليه . وهذا المقياس شيّد في ايام سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي علي يد أسامة بن زيد التنوخي عام (٩٦ — ٩٧ هجرية) (ويقابله ٧١٤ — ٧١٦ ميلادية) . وهو مكوّن من بئر رباعية الشكل تصل اليها مياه النيل من ثلاثة سروب وفي وسطه عمود منمن الاضلاع نقشت عليه تقاسيم الاذرع التي تعرف بها ارتفاعات المياه . وكانت ابنية هذا المقياس اعظم كثيراً مما هي الآن فقد كان لها دار وفي جانب الدار فسقية عظيمة ذكرها ابن دقاق . وكان للمقياس قبة اما الآيات القرآنية التي نقشت عليه فهي : —

على الجانب الشرقي المقابل لمدخل المقياس : بسم الله الرحمن الرحيم : وانزلنا من السماء ماءً مباركاً
فأنبثنا به جنات وحب الحصيد

على الجانب الشمالي : وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج
على الجانب الغربي : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة أن الله لطيف خبير
على الجانب الجنوبي : وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد
وهذه الآيات الشريفة موجودة الآن في المواضع التي ذكرت في رواية ابن خلكان

اعياد النيل السنوية التي يحتفل بها الآن هي في الحقيقة تكرار لاعياد فرعونية قديمة فمن هذه
عيد ١١ بؤونة (١٨ يونيه) — المعروف بليلة النقطة — لاعتقاد العامة أنه في هذه الليلة تنزل
نقطة من السماء في النيل فتسبب فيضانه . والحقيقة أن هذه التسمية ناشئة من اعتقاد قدماء المصريين
بأن دمنة المعبودة اريس تنزل في النيل في تلك الليلة فتحدث فيضانه . وادعى علماء الفلك الاقدمون
أنهم تمكنوا من تحديد الساعة التي تنزل فيها هذه النقطة . واعتاد قدماء القبط أن يعمضوا هذه
الليلة على شاطئ النيل مؤدبين أنواع الخزعبلات — كأن يضع كل فرد من عائلة قطعة من العجين
على سطح منزله فمن تحمرت عجينه ساعد صاحبها . وفي ٢١ يونيه يرتفع منسوب النهر قليلاً وفي ٢٤
يوليو (٢٧ بؤونة) ينادي منادي النيل بأن الفيضان بلغ الحد المطلوب . ولا بد أن القارئ سمع
هذه المناداة مراراً ومن عدة أشخاص لأنها دارجة ومنتشرة في القطر . يلي ذلك عيد جبر
البحر أو يوم وفاء البحر ويقع هذا في منتصف شهر مسرى (منتصف اغسطس) . ويحتفل رسمياً بهذا
العيد بمهرجان العقبة وذلك جهة فم الخليج . وفي هذا اليوم يصل منسوب النيل حد ١٦ ذراعاً

قابل هذا بما كان يقوم به اجدادنا الاقدمون اذ يحين الانقلاب الصيفي ويأتي الماء لمقدس من
اصوان الى جبل السلسلة . فان القسوس المقيمين في هذا الجبل أو الملك الحاكم أو ابنه كانوا يتقربون
لنهر أو خيوان آخر ويلقون في الماء قرطاساً من البردي محتوماً يشتمل على امر فيه اطلاق الحرية
للنهر بالزيادة كي يضمن لمصر الخير بفيضان معتدل . فاذا كان المتقرب بالقربان هو نفس الملك نقشوار
على الصخر ما فيه تذكرة بهذا الاحتفال وكانوا يعتنون بهذا العيد سواء حضره الملك أو لم يحضره
لانهم كانوا يراعون الرواية القديمة القائلة « ان سعادة السنة وشقاءها متوقفان على ذلك المهرجان .
فان حصل في شأنه إهمال أو تواني رفض النيل الامر الصادر اليه واغرق الاهالي والجهات »

وفي هذا الموسم كان الفلاحون يأتون بالزاد ويأكلون معاً اياماً متوالية ويشربون حتى يشملوا
ولستمرون على ذلك حتى يأتي اليوم الكبير فتخرج حينئذ القسوس من المحراب ومعهم التمثال
فيفزونه على الشاطئ بالالخان والاصوات المطربة والترتيل والمدح والصلوات الموسيقية
وفي الجهة البحرية من جبل السلسلة معبد شيد في العام الاول لحكم الملك منفتاح مرسوم فيه

الملك يقدم القرابين للمعبودات (حراست) و (بتاح) ومعبود النيل (وذلك على يمين الداخل)
ويقدم ايضاً القرابين للمعبودات (امون) و (موت) و (خنسو) (وذلك على يسار الداخل) .
اسفل ذلك تشاهد نقوش لمدحة النيل الطويلة وقائمة بالهدايا التي تقدم لمعبود النيل

اما السبب في الاحتفال بفيضان النيل جهة جبل السلسلة فهو ان النيل اعتبر قدماً انه ينبع من
صخور ذلك الجبل . واستمر القوم يعملون المهرجان في تلك الجهة على توالي العصور بالرغم من تبهم
للنيل الى اقاصي السودان السابق ذكرها في المقال السالف

ويقال ان السبب في تسمية هذا الجبل بهذا الاسم هو ان وادي النيل كان موصداً في تلك الجهة
بسلسلة عظيمة مثبتة في جانبيه المقابلين لبعضهما

وللنيل مدحة كان القوم ينشدونها في اعياده وُجدت مدونة على عدة آثار منها درج ساليير الثاني
ودرج انسطاسي السابع (وهما محفوظان في دار التحف بلندن) ودرج تورين . وايضاً على قطعة حجرية
ostraca تعرف باسم الاستاذ جولنشييف الروسي وقد سبق ان معناها الى نقش هذه المدحة بجبل
السلسلة وذلك في ٢١ مايو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد في عهد الملك رمسيس الثاني ثم اعيد نقشها بنفس
الجهة في السنة السادسة من حكم رمسيس الثالث اي سنة ١١٩٦ قبل الميلاد (الذي حكم القطر من
سنة ١١٩٨ — سنة ١١٦٧ م) . واليك ترجمتها عن المرحوم كمال باشا (الحضارة القديمة) : —

السلام عليك أيها النيل يا من ظهرت على هذه الارض واتيت لاهياء مصر . انت الذي تخفي
جميعك في الغياهب الى يوم الترتيل بقدمك . انت البحر المفيض بمياهك على البساتين التي اوجدتها
الشمس لنا لتحيي جميع ما يكون . انت الذي تمتنع عن ريّ الضحراء حين نزولك من مياه السماء .
فمعبود الارض (سب) يتولع بايجاد العيش ومعبود الحبوب (نبرا) يقدم قرابينه . والمعبود (بتاح)
يصلح احوال العامل . انت صاحب الاسماك . متى تجاوزت الشلال لم يعد الطير ينزل الى الحقول .
انت صانع القمح وموجد الشعير ومطيل اجل المعابد . ان تعطيت اصابعك او اعتراك كساد اصبحت
الالوف من الناس في فاقة . وان نقصت وقت نزولك من السماء افنيت المعبودات والخلق وتكدرت
الحيوانات وصارت الارض كباراً وصغاراً في عذاب . واذا كانت الحال على عكس ذلك واستجيب
دعاء الناس حين تفيض وتكون لهم نيلاً مباركاً عند ارتفاعك حينئذ تصبح الارض مبهجة وتشرح
كل ذي بطن ويهتز كل ظهر من الضحك وتمضغ كل سنة . يا مجلب الارزاق ومكثر الماء كولات ومبدع
أحسن الاشياء . انت صاحب الجرائم . انت اللطيف بمجيعك حين تكون خليلاً لهم . نعم انت
الذي توجد علف الحيوانات وتعطي كل ما نرم لقرابين المعبودات . فالبخور الناتج عنك هو
الاجود . انت الذي تهتم بالقطرين فتمتلئ المخازن وتزداد خيرات الفقراء . انت الذي تستجيب دعاءهم
عند تقديم النذور فلا ينقصهم شيء . انت سند الفقراء لم تصور في حجر ولم تمثل بتمثال ذي التاج
المزدوج . ولم تبصرك العين ولم تدفع لك جزية . ولم يؤت اليك بقربان . ولم يؤثر فيك كلام السحر

الخطي ولم يعرف لك مكان . ولم يهتد الى مقرك بسرّ الطلاسم السحرية . لا بيت رحيباً يكفيك . ولا احد يطلع على ضميرك . ان ذراري اولادك تنشرح منك . لانك تحكم كملك او امره نافذة على جميع اهل الارض . يتجلى في مشهد من سكان اهل الجنوب وسكان اهل الشمال . وهو الذي يشفق فيجفف دموع الاعين ويفيض باحساناته . اينما وجدت حلت الافراح وانشرحت الصدور واخذ التمساح يثب سروراً لان طائفة المعبودات المصاحبة لك اعدت كل شيء واخذ الفيضان يروي الحقول ويجعل جميع الناس في تهامة . وكل يروي بدون نزاع . فاذا دخلت كنت محاطاً بالافاني . واذا خرجت صاحبك التهليل . واذا رقصوا فرحاً يوم ظهورك من غياهبك فما ذلك الا لكون عجزك اضمحلال لهم وفساد . ومتى تضرعوا اليك لينالوا الماء السنوي شوهد اهالي مصر الوسطى واهالي الوجه البحري مصطفين بعضهم بجانب بعض وشوهد كل امرئ حاملاً بعدد صنعتته ولا يزوي احد وراء جاره . ولا يلبس احد ملابس الاعياد . ولا يتحلى بحلي . وطائفة المعبودات التسعة تلبث في ظلمة . لكن متى منحت الزيارة تعطر كل انسان . انت منبت الارزاق الحقيقية التي هي رغبة الناس . هذا هو كلام الاتماس الذي يجعلك محبباً لدعائهم . اذا تكرمت بلجج المحيط السماوي على الانسانية قدم إله الحبوب (نبرا) قربانه وتهجدت لك كل المعبودات ولم تنزل الطيور فوق الجبال . ومتى عجنّت يدك شيئاً صار ذهباً او طوبة صارت فضة . نعم لا يؤكل الا لزورد . لكن القمح افضل من الاحجار الكريمة . لقد شرعوا ينشدون على الناس ويرتلون لك ويصفقون باستمرار لتبتهج من اجلك ذراري اولادك وليكثروا من اجلك اناشيد المديح كيف لا والنيل هو إله الثروة الذي يحسن الاراضي ويكثر السفن في عيون الناس . وهو الذي يحيي قلوب النساء الحبالى ويحب كثرة الحيوانات . اذا ما ارتفعت في عاصمة الامير شبع الغني وعفى الصغير اللوطس وصار كل شيء ثابتاً وجيداً للغاية ووجدت جميع الحشائش لاولادك ، ولو اغفلت عن اعطاء الغذاء زالت السعادة من المساكن وحلّ بالارض الضعف الشديد

ولعلّ اقدم رسم للنيل هو الوارد في لوح العاج للملك مينا اول ملوك الاسرة الاولى وجد بالعرابة يرجع تاريخه الى حوالي (٣٤٠٠ سنة ق . م .) تشاهد عليه نقوش تعتبر من اقدم النقوش الهيروغليفية المعروفة للآن . وهو مقسم الى اربعة اقسام . فالقسم العلوي يحوي في طرفه اليسر رسم الباز الملكي الخاص بالملك مينا وفي طرفه الايمن رسم معبد منصوب في حوشه رمز المعبودة (نيت) وتعلو هذا الرسم سفينة . اما القسم الثاني فيشاهد في طرفه اليسر الملك قابصاً على وعاء من « مزيج الذهب والفضة » ومقدماً القرابين اربع مرات . ويشاهد في الطرف الايمن رسم ثور داخل حوش يعملو احد اطرافه طائر (الفينكس) والقسم الثالث يحوي رسم النبل تخرفه السفن وتشرف عليه المدن وتعرض مجراه الجزر . والقسم الرابع ويحوي رسوماً هيروغليفية قديمة غير مفهومة

السفن والملاحة بمصر

من صلاح الدين الى نابليون

للكنور على مظهر

— ٢ —

عصر الايوبيين وسلاطين المماليك

ولما كان صلاح الدين وعصر الايوبيين عنى سلاطين هذه الاسرة بأمر الاساطيل دفاعاً عن البلاد التي كانت الفرنج تغير عليها او تطمع في ذلك . وقد افرد صلاح الدين للاسطول ديواناً وعين له عدة اقاليم وبلدان للاتفاق عليه وكانت لهم اساطيل في البحر الاحمر كما كانت لهم في البحر المتوسط الابيض

ويظهر مما ذكره المقرئ ان عناية صلاح الدين بالاسطول كانت اكثر من عناية خلفائه فقد كانوا لا يفكرون في امره الا عند الحاجة وقلت العناية بذلك حتى طمع الفرنج في بلادهم وهاجموها لما علموا بضعف البحرية الايوبية وسار الحال كذلك حتى ان كانت دولة المماليك الاتراك وعني الظاهر بيبرس البندقداري بأمر الاسطول (٦٥٨ هـ) وتقدم بعارة الشواني في الاسكندرية ودمياط وكان يقوم على ذلك بنفسه وقد كانت بعض مراكبه تسير للفتح والغزو كما كانت تدافع احياناً عن مصر وغيرها وعنايتهم . كانت ضرورية لان اساطيل الروم كانت تجيء الى النغور وتتعدى على الاهالي بالسلب والنهب كما كانت تتعرض لسفن التجارة في البحر

وفي سنة ٩٠٤ هـ — سنة ١٤٩٨ م كانت سفن البرتغال قد اكتشفت طريق الهند مارة برأس الرجاء الصالح يقودها فاسكو دو غاما ثم ارسل فرانسوى دالميدا وأخذت السفن البرتغالية تمخرين البصرة وعدن وتتعدى على سفن مصر والعرب التجارية وتنهبها وتستولى عليها وانقطع طريق الهند عن مصر

ولما طلب السلطان مظفر شاه ملك كجرات والسلطان حاصر ملك اليمن المساعدة من السلطان الغوري^(١) ارسل خمسين سفينة حربية وجيوشاً كثيرة يقودها الامير حسين بك الكردي (٩١٣ هـ)

(١) راجع مقالات (صفحة من تاريخ التجارة المصرية) لاجد زكي باشا بمجلة المقتطف سنة ١٩١٧ (من عدد سبتمبر الى عدد ديسمبر)

لمطاردة سفن البرتقال بقيادة فرانسوى دالميدا وقد حدثت وقائع عادت بعدها سفن مصر بعد ان فقدت بعض قطعها ثم عاد سنة ٩١٧ هـ قاصداً كجرات ثانية وقد ساعدت سفن البنادقة السفن المصرية في هذه الغزوة البحرية لان الضرر لحق بالفريقين من تحويل البرتقال لتجارة الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح وكان ذلك في ايديهم من قبل

ولم تكن سفن البحر الاحمر هي كل ما كان للغوري فقد كانت له اساطيل بالبحر الابيض وقد رأيناهُ يمد الامير كركور اخا السلطان سليم بعشرين سفينة حربية لتساعدهُ على ان يكون سلطاناً بدل اخيه وقد وقع اغلب هذه السفن في يد العثمانيين . وقيل بل اصابها زوبعة شديدة غرق كثير منها واستولى العثمانيون على باقىها . وفي سنة ٩١٩ هـ دخل اسطول برتقالي الى البحر الاحمر واخذ في اعمال النهب والتخريب فسار اليه الاسطول المصري بقيادة الامير حسين بك الكردي وقد تمكن من اجلاء السفن البرتقالية عن عدن فلما انتصر المصريون سار الاسطول البرتقالي طالباً عرض البحر

وعاد الاسطول المصري الى مياه اليمن فعاد البوركك Albuquerque البرتقالي باسطوله واراد الاستعانة بنجاشي الحبشة على المصريين وفأوضه في امر تحويل مصب النيل الى البحر الاحمر ليموت اهل مصر وبلادها عطشاً (؟!) وكان يظن هذا امراً يسيراً

وقد ضايقته الاساطيل المصرية واحتلت جزيرة قران كما استولت على كثير من بلاد اليمن واقطع الامير حسين الى عدن وهاجمها واستولى على زيلع وغيرها وجاءه مدد بقيادة الامير سلمان احمد امراء مصر فجعله يرافق سفن تجار عدن القاصدة بلاد الهند وكان سلمان هذا على خمسين غراباً^(١)

وما زالت سفن البرتقال تتعدى على سفن المسلمين في تلك المياه حتى استولت الدولة العثمانية على مصر وقامت اساطيلها بمحاربة البرتقال حتى منعت عدوانهم واطمانت ثغور بلاد العرب من شرهم

البحرية بمصر بعد ان صارت ولاية عثمانية

لما فتح سليم مصر وضع لها نظاماً تسير عليه في ادارتها وجعلت اساطيله تتردد على مياهها اما لحراستها او لاثهار قوة الدولة في نفوس من بقى من المماليك لاسيما على ثغور البحر الابيض وبعد ان عاد السلطان الى الاستانة كان خير الدين بك الوالي الفعلي الذي تركه سليم على مصر فاخذ في اصلاح المراكب الموجودة بالنيل يساعده في ذلك خير بك امير الامراء اما ما كان لمصر من اغربة (مراكب بحرية) بالبحر الاحمر حينئذ ايام قانسوه الغوري فقد كان معظمها قد ضاع وفقد وما بقى منها حيزه الامراء المصريون بجهات اليمن بقيادة سلمان رئيس الاسطول الذي ذكرنا اسمه

وجاءت الاخبار من مكة في سنة ٩٢٥ هـ انه يوجد للفرنج (البرتقال) ما يقرب من اربعين

(١) نوع من السفن ايامئذ ولمعرفة اسماء السفن راجع كتاب سفن الاسطول الاسلامي لعبد الفتاح عباده

مركباً في قبالة جده وان هاته المراكب بقيت بالبحر وتقوم باعمال القرصنة وتقطع على التجارة طرقها
فما وسع والي مصر الا ان ارسل جماعة من المماليك الشراكسة وغيرهم يبلغ عددهم ثلاثمائة مع الحجاج
وجعلهم يقيمون في جدة خشية ان يطرقها الفرنج ويفاجئونها وقد ساروا براً لانه لم تكن لديه
قوة بحرية يرسلها لهذا الغرض

ومن ذلك الحين اخذت العناية ببناء السفن تزداد واهتم بصناعتها خير الدين بك فأمر بذلك في
دار صناعة بولاق وقد جاء في تاريخ ابن اياس (ج ٣ ص ٢١٤) ان ملك الامراء عرض المراكب
الاغربة التي انشأها ولعبت قدامه في البحر والشرح من ذلك سنة ٩٢٦ هـ . هـ

وقد كان من جراء التعدي المتوالي من مراكب البرتقال على السواحل المصرية وغيرها بالبحر
الاحمر ان اهتم السلطان سليمان بأمر الثغور البحرية فجعل أنظمة خاصة لادارة السواحل المصرية
والامور البحرية فيها وعين ثلاثة امراء بحر لمصر كل امير لثغر من ثغورها دمياط والسويس
والاسكندرية وسُمي كل منهم قبودان بك وكان تعيينهم وابداهم بغيرهم راجعاً الى السلطان مباشرة
وكانت الدولة ترسل حاميتها رأساً من الاستانة تحت قيادة امراء البحر المذكورين وتقدم كل
سنة بما يلزم من الذخائر الحربية

ولم يكن هؤلاء الامراء البحريون يعتبرون من جيوش مصر الا لانهم يقيمون في ثغورها
وتصرف لهم مرتباتهم من خزائنها الا انهم كانوا مستقلين تمام الاستقلال عن حكومتها وكانوا
يتلقون الاوامر من دار الخلافة رأساً وكثيراً ما كانت توجد اغربة حربية تحت قيادة هؤلاء الامراء
البحريين ما عدا من كان بالسويس لما ذكرناه

ولما ازدادت العناية بصناعة السفن ارسلت بعضها وعليها بعض الملاحين العثمانيين والمغاربة
لمقاتلة البرتقال وكانوا يعبثون بالبحر الاحمر فقاتلوهم حتى تغلبوا على المراكب البرتقالية وقبضوا
عليهم واخذوا ما كان معهم بالمراكب وكان بها بضائع وجوخ واصناف فاخرة وكبلوا الفرنج وارسلوا
الى ملك الامراء وكان ذلك عام ٩٢٧ ثم جهزت مراكب اخرى في اواخر تلك السنة لما عاد البرتقال
الى العبث بالسواحل المصرية واعمال القرصنة وقد وجدوا سفن الفرنج وفيها ثمار ومعهم بضائع قدرت
قيمتها بخمسين الف دينار ودار القتال بينهما فدارت الدائرة على البرتقال وقبض عليهم وأخذت
بضاعتهم (ابن اياس ج ٣ ص ٢٧٤ - ٢٧٧) وزاد عبث البرتقال في البحر حتى كادت التجارة بين
مصر وغيرها من بلاد العرب وبلاد الهند تنقطع الى ان استغاث بهادر شاه حاكم كجرات من بلاد
الهند بالسلطان سليمان وكانت اساطيل البرتقاليين تتعدى على بلاده لتمنع التجارة بين الهند ومصر
فأصدر سليمان امره الى والي مصر اذ ذاك الخادم سليمان باشا (٩٤٤ هـ) بأن يسيّر اسطولاً في البحر
الاحمر لنقل الجنود العثمانية الى بحر الهند فجهز ستين غراباً وثلاثين سفينة بالمدافع والآلات الحربية
واسرع في عمل ذلك واقلع بها من السويس ومراً بعدن وقتل اميرها عامر بن داود وستة نفر من

اصحابه ونصب عليها احد ضباطه المسمى بهرام بك وزوده بالمدافع والجنود ثم اقلع الى الهند ومع ما بذله من الجهود بجهاث ديو فانه لم يتمكن من طرد البرتقال عن تلك الجهات فعاد الى عدن ثم الى مَحْضَا وأقلع من بلاد اليمن الى مصر

ومما يحسن ذكره ان الاخشاب اللازمة لبناء هاته السفن كانت تجلب من ايطاليا (بلاد الاناضول) وتنقل بواسطة السفن ثم تنقل على النيل الى القاهرة وتحمل من القاهرة على الجمال الى السويس حيث تبنى منها السفن المطلوبة

ومع ان سليمان باشا هذا لم يقض الوطر من حملته الى بلاد الهند الا انه طرد امير عدن وكان موالياً للبرتقال كما امكن ان ينشئ حكومة جديدة في بلاد اليمن وقد عادت تلك الحملة البحرية ببعض القوائد لرائدي البحار

وقد بنيت بعد ذلك سفن عديدة وجهزت بالمعدات اللازمة وسارت الى البحر الاحمر وبحار الهند وخليج العجم وكانت تقاثل اساطيل البرتقال في تلك البحار واستمر ولاية الدولة يصنعون السفن لتشارك اساطيل الدولة ولتحمي البلاد من عدوان الغير ولتجعل طريق المواصلات آمنة بينها وبين البلاد الحجازية وسواحل اليمن وتغور الدولة بالبحر الاحمر واستمرت هذه العناية بصناعة السفن حتى النصف الاخير من القرن الثاني عشر الهجري فأخذت القوة البحرية في مصر تتضاءل وتنحط لضعف الولاة ولضعف الدولة نفسها ولما كان بمصر من الاضطرابات والفتن والثورات واستمرت الثورات حتى اضطرت الدولة ان ترسل امير البحر (القبودان) حسن باشا الجزائري ببعض سفن حربية ونقلات للجنود ليوقع الرعب في قلوب الامراء المتمردين (مراد بك وابراهيم بك) وكان ذلك سنة ١٢٠٠ هـ. وقد جاء بسفنه وعساكره الى مصر صاعداً في النيل عن طريق فوة وغيرها رغم ما اظهره الامراء من الطاعة والخضوع لاوامر الخليفة واضطر العصاة ان يفروا الى الصعيد وتم اخيراً الصلح بينهم وبين امير البحر حسن باشا المذكور وهدأت الاحوال واقام حسن باشا بالصعيد اربع سنوات ثم عاد الى القاهرة وشرع في انشاء دار صناعة بالجيزة وصنعت فيها السفن وجعل بحارتها ورئيسهم من نصارى الاروام واصبح لرئيسهم نيقولا من النفوذ العظيم والسطوة ان اكثر من التعدي على سفن الاسلام والفرنج معاً. وقد ذكر العلامة جودت باشا في تاريخه انه كان من اسباب الحملة الفرنسية على مصر ما اتاه هذا الرئيس نيقولا من المظالم وما اوقعه بالتجار الفرنسيين وقد عاد حسن باشا امير البحر بأسطوله الى الاستانة وفي عهد سليم الثالث ازدادت اهمية البحرية العثمانية لما ادخل عليها من الاصلاحات وقد ارسل بعض السفن لحراسة البلاد المصرية

ثم جاء نابليون الى مصر وكانت معركة ابي قير الشهيرة وتم اخيراً الامر لمحمد علي وستري ذلك مفصلاً في مكانه في العدد التالي

الصناعة في العراق

لاديبين سمير

زار كاتب هذا المقال العراق في الحريف الماضي
ودرس شؤونته واحواله وخص المقتطف بهذه المقالة

معمل الجورخ — معامل السطير —

الصابون — المفسوجات الصوفية

كان العراق حتى نهضته الجديدة محروماً من الصناعات الحديثة قوام الحياة الاقتصادية وركنها
الركين فلما انشئت الدولة الجديدة في ربوعه واستقرت اموره ظهر النشاط في كل فرع من فروع
الحياة العامة وكان للصناعة من هذا النشاط الحظ الاوفى

ولعل معمل الجورخ العراقي في الكاظمية على شاطئ دجلة من اعظم دور الصناعة الحديثة في
العراق واكبرها شأناً فقد بدأ الوجيه فتاح باشا وابنه نوري بك بانشاءه في سنة ١٩٢٦ يساعدها
نسيب لهما درس فن الميكانيكا الصناعية واختص بها فتولي ادارة العمل الفني وفي سنة ١٩٢٧ تم
انشاء هذا المعمل ويضم اليوم ٣٠٠ عامل عراقي حذقوا عملهم واتقنوه . وهناك خبير الماني
يستخدمونه وقتياً ريثما يعود من اوربا الذين ارسلوا للتخصص في العلوم الصناعية

زرت هذا المعمل ابان رحلتي الاخيرة الى بغداد ، فأعجبني اتقانه ونظامه ، وسرني ان يكون
في البلاد العربية امثال هذه المعاهد الصناعية التي يرجى ان تكون نواة نهضتنا الاقتصادية تتلو
النهضتين السياسية والوطنية فما آخر الشرق سوى فقر شعوبه واهمالها الصناعات وأخذها بالسفاسف
والقشور . وتمتاز هذه الدار الصناعية عن امثالها في الشرق العربي بكونها مستكملة لجميع ما تحتاج
اليه من معدات وبكونها تغزل الصوف وتصبغه وتنسجه وتخرجه جوخاً للبس والاستعمال اي انها
حاوية لجميع المعدات اللازمة لهذه الصناعة الراقية

ولقد شاهدت نفس هذه العملية في ادوارها ورأيت الصوف تعلوه طبقات من الغبار والافانار
حينما يؤتى به من الارياض فتتسامه نسوة يعملن في (غنبر) قرب الباب فيبدأن بنفشه واعداده وبعد
الانتهاء من هذه العملية البسيطة ينقل الى احواض معدة لغسله ، فينقع باديء بدء في حوض خاص

مملوء بالماء الحار الممزوج بالصودا والصابون مدة ساعتين ثم ينقل الى حوض آخر فثاني وثالث ورابع اي انه يسير بنفسه مضغوطاً بقوة البخار من حوض الى حوض حتى الرابع وهو اكبرها فيستقر فيه قليلاً ثم يخرج منه وهنا تنتهي عملية الغسيل وتبدأ عملية جديدة هي عملية التجفيف تتولاها ما كينة خاصة في عنبر (الغسيل) فتجففه وتقصره وبعد ان يعرض لنور الشمس ينقل الى المصبغة فيصبغ في احواض خاصة معدة لذلك . ومنها ينقل الى قسم (الحليج) ثم الى ما كينات التمشيط فيخرج منها خيوطاً صوفية وتكرر « عملية » التمشيط مثنى وثلاث ورباع في ما كينات خاصة وفي كل مرة يزداد الصوف المحلوج الممشط نعومة ومن هنالك ينقل الى المغازل فتبدأ عملية الغزل وتكرر ايضاً في ادوار مختلفة حتى يخرج الخيط او « الفتلة » طبقاً للحاجة المطلوبة وبلغ طول الكيلوغرام الواحد من الصوف ٢٤ الف متراً اذا كان الخيط رقيقاً و ١٢ - ١٤ الفاً اذا كان ثخيناً

وبعد ان يصبح الصوف خيوطاً رفيعة ناعمة ينقل الى ما كينة « السدى » فتعده للانوال ثم ينقل الى المناسج ولها عنبر كبير وعددها عندهم ٨٤ نولاً او منسجاً وجميع آلات العمل تدار بالكهربائية وعندهم مولدان للقوة الكهربائية تديرها ما كينات بقوة ٢٥٠ حصاناً تقريباً وينقل الجوخ بعد انتهاء نسجه الى الغسيل فتغسله ما كينات خاصة في احواض مملوءة بالماء الساخن الممزوج بالصودا والصابون وتدقه وتدعكه وتقصره ثم ينشف في ما كينة اخرى اي ان العملية التي عملت قبل النسج تتكرر ولكن بطرق واساليب غير تلك . ثم ينقل الى فرن فيوضع فيه مدة ثم يوضع في ما كينة خاصة تنظفه وتزيل ما يعلوه من وبر وتكرر هذه العملية مثنى وثلاث ورباع على البخار ثم يرسل ثانية الى الفرن ثم يكوى بمكاوٍ خاصة ثم ينظف باليد ثم يكوى ثم يسلم الى ما كينة تطويه وتخرجه اثواباً جاهزة وتضع على كل ثوب رقمه وطول الثوب الواحد ١٠٠٠ متر ولما وقفت على العامل الذي يتولى هذه العملية كان يرقم بالعربية ٣٠١٣ على الثوب الموجود بيده ويخرج المعمل يومياً ٧٠٠ متر من الجوخ وفي استطاعته ان يزيد هذه الكمية عند الحاجة وتباع مصنوعاته في العراق باثمان بخسة فثمان المتر الواحد من الجيد لا يزيد عن ٢٥ قرشاً صاغاً ويصدر كميات الى سورية وفلسطين والخليج الفارسي وايران ومصر وتلقى رواجاً لخصها وجودة صنعها ولقد ذكر لي مدير المصنع انه كان في نيتهم استحضار صوف من استراليا وهو انعم من الصوف العراقي واصلح للنسج وكانوا يعتمدون في اتمام هذه العملية على مساعدة المغفور له الملك فيصل فقد وعدم بان يمدهم مالياً كما ساعدتهم في جميع ادوار العمل وشجعهم بيد ان وفاته قضت على هذا المشروع او ارجأته الى وقت آخر على الاقل . ويقدم المعمل للجيش العراقي ما يحتاج اليه من البسة شتوية ومن « بطانيات » ويخرج من هذه كميات كبيرة تلقى رواجاً عظيماً في اسواق العراق والشام لخصها وجودة صنعها كما يقدم للشرطة العراقية وطلاب المدارس ما يحتاجون اليه من البسة يصنعها طبقاً للتوصيات وفي المعمل ايضاً « مفاتل » لغزل الخيطان تخرج مقادير كبيرة منها وعندهم مغزل صغير لغزل

القطن او الحرير الصناعي ويحتاجون اليه في صناعاتهم . وكذلك فهم يخرجون مقادير كبيرة من خيطان الصوف يبيعونها للنساج في بادية العراق وفي مدنه فيحيكون منها العباءات ولا يزال عدد لابسها غير قليل في بغداد نفسها وهم يكثرون في الارياف فلا بد للاباس الملابس العربية من عباءة يضعها فوق ثوبه في جميع فصول السنة وتختلف بحسب اختلاف الفصول

وفي العراق ايضاً صناعات جديدة نشأت مع النهضة الجديدة ونمت في ظلها، وفي مقدمتها صناعة لفائف التبغ فقد كان العراقيين يعتمدون حتى الايام الاخيرة على ما يسمونه لفائف « الدك » وطريقة صنعها بسيطة جداً وهي انهم يأتون بالدخان فيكسرونه بايديهم حتى ينعم ثم يملأونه باليد في ورق خاص اعد له ويبيعونه على هذه الطريقة بثمن بخس ، ومخازن باعة التبغ في الارياف مملوءة باللفائف الفارغة ولا تملأ الا عند البيع . اما الخاصة فكانوا يعتمدون على التبغ التركي في عهد الترك ثم على التبغ الانكليزي في عهد الاحتلال

وفي بغداد اليوم ما لا يقل عن ١٠ معامل لفرم التبغ واعداده طبقاً للاساليب الحديثة يعمل فيها نحو ٣٠٠٠ عامل والتبغ الراجح عندهم هو التبغ العراقي وقد جاؤوا بتقاويه من تركيا وزرعوه في المناطق الشمالية الجبلية المجاورة للاناضول التركي وفي منطقة « السليمانية » فنجحوا نجاحاً كبيراً كما يقولون وولدوا تبغاً لذيذاً . والتبغ رخيص في العراق بالنسبة لما هو عليه في مصر والشام لعدم الاحتكار او رسوم جمركية باهظة كما يظهر فعندهم انواع عديدة منها غازي والرشيد وفيصل والملوكي وعبد المحسن السعدون وعلمه فاخرة وسعر العاية ذات العشرين لفافة من الصنف المتوسط ١٠ مليات ومن الجيد ١٦ ملياً

وكذلك فقد بدأوا بادخال صناعة طبخ الصابون وقد كانوا حتى الحرب العظمى يستوردون مقادير كبيرة من سورية وفرنسا . وفي بغداد اليوم ٣ معامل لطبخه ويستحضرون مواده الاولية من الخارج لعدم وجودها في العراق . ولا تزال هذه الصناعة في دور التكوين ولم تلق من النجاح ما اصابته صناعات نسج الجوخ ولفائف التبغ

وكذلك عندهم معمل للدباغة . وقد انشأه احد اغنياء بغداد سنة ١٩٢٨ ويديره نجله وقد درس هذه الصناعة في انكلترا ، ويخرج هذا المعمل ولا يزال صغيراً للعراق ما يحتاج اليه من جلد ونعل وتباع الاحذية من مصنوطاته باثمان رخيصة جداً في اسواق بغداد ويقبل عليها الناس وقد بدأوا حديثاً بانشاء معمل لغزل الصوف ونسج الاقمشة الصوفية ويرجى ان ينجز قريباً فيستغنى العراق عما يستورده من الاقمشة الصوفية

هذا بعض ما عرفته عن حالة الصناعة الجديدة في العراق ولا تزال في دور النشوء والتكوين والمأمول ان تنمو وتتقدم في ظل الدولة العربية الجديدة وبتأييد العرب كافة ومساعدتهم . فالشرق في أشد الحاجة الى ترقية صناعاته حفظاً لثروته ولايجاد اعمال العاطلين من ابناؤه وهم كثيرون

تشخيص النساء^(١)

وتعيين الجنس بالتفسرة^(٢) وجس النبض والطرائق الحيوية

للمكنور سوكوت موفو السطى

الاستاذ في المعهد الطبي العربي بدمشق

ان ما يتمتع به الذكر من الحقوق في الارث والملك وماله من الاثر في حماية المنزل واستمرار سؤده ومجده ورفع شأنه جعل الحوامل وبعولتهن وذوي قرباهن يسارعون الى التكهن بجنس (شق) الجنين فدفع ذلك العلماء والعرفان^(٣) الى التنقيب عن وسائل تشخيص الحمل منذ العصور الغابرة فكثرت عدد العرافين كان لهم في تاريخ هذا البحث شأن خطير . وكان عرافو المصريين ياجأون الى طريقة غريبة لتشخيص الحمل وتعيين الجنس وقد ظهرت رسالة حديثة تطرقت الى هذا الموضوع واثبتت ان قدماء المصريين كانوا يعرفون منذ اربعة آلاف سنة واسطة تساعد على التكهن بالحمل وجنسه

تستند هذه الطريقة الى تأثير بول الحوامل في القمح والشعير فكانوا يكلفون الحامل أن تروي بيولها يومياً كيسين في احدهما قمح وفي الثاني شعير فان نمت الحبوب دل ذلك على الحمل وان لم تنم استدل على عدم وقوعه واذا كان نمو القمح اكثر من نمو الشعير دل على ان الجنين ذكر وان وقع العكس كان الجنين انثى . ولعل القول الشائع في الديار الشامية حتى الآن الذي يسترشد به الى جودة الامر او تقيضه وولادة الصبي او البنت « اقح ام شعير » هي من راث ذلك العهد درس ليوليوس منجر Liolios Manger وزوندك Zondek درجة تأثير بول الحوامل في نمو النبات وأخذوا يقابلان بين النتائج التي حصلوا عليها وما هو مذكور في اوراق البردي . وقد تمكن شولر Schoeller وغوبل Gobel ان يعجلا نمو العيصلان « نبات زنبقي » والبصل العادي والذرة باروائها بالرسول^(٤) الجرابي ثم كررا التجربة في نباتات اخرى فنجحت ولما كان بول الحوامل

(١) النساء : مبدأ الحمل . نسئت المرأة تنسأ — بدأ حملها (الخصص) (٢) بول المريض يستدل به على حالته (٣) العراف : الذي يخبر عن الماضي والمستقبل (٤) رسول : ترجمة هرمون وهي كلمة اطلقت على افرازات داخلية تلبه افرازات اخرى ولها انواع كثيرة

محتوياً على هذه المادة وعلى رسول النمو المتولد في فص الغدة النخامية الامامي فلا غرابة في انبائه الحب وانماؤه . كرر ليوليوس طريقة المصريين القديمة فنجحت في تشخيص الجنس ولم تقدر في اظهار الحمل لان البول يعيق نمو النبات ممدداً كان او صافياً ولعل سبب خيبة تجربته استعمال حبوب القمح العادي لا النوع الفارسي المذكور في اوراق البردي

وجاء في قانون ابن سينا ان بول الحوامل صاف وربما كان على لون ماء الحمص وماء الاكارع اصفر فيه زرقة وعلى رأسه ضباب وفي وسطه كقطن منفوش وكثيراً ما يكون مثل الحب ينزل ويصعد وان كانت الزرقة شديدة الظهور فهو اول الحمل وان كان بدلها حمرة فهو آخره وخصوصاً اذا كان يتكدر بالتحريك . وجاء في كتاب شفاء الاسقام ودواء الآلام لنور الدين الشهيد ان ابوال الحبال صافية لاحتباس ما يغلظ البول ويكدره عليها ضباب في رأسها لطيف يطلب الاعالي من المائية ويقف هناك

وذكر اطباء العرب عن نبض الحوامل انه عظيم وسريع ومتواتر بسبب مشاركة الولد لأمه وكانوا يستطيعون تشخيص الحمل بحس النبض . ولا تزال هذه الفكرة سائدة في الازدهان حتى يومنا هذا وكثيراً ما تسأل النساء الاطباء ان يحسوا نبضهن وينبئوهن عن كونهن حوامل وعن نوع الحمل سعى العلماء لمعرفة الجنس فزعم ابقراط ان مدة اقامة الصبي في الرحم اقل من زمن اقامة الانثى ونقل ارسطاطاليس وجالينوس آراء وذكر اطباء العرب الجوسسي والرازي وابن سينا ان المرأة اذا كانت حاملاً بذكر تبكر معها حركات الجنين واذا كان الحمل انثى تأخرت الحركات قال الرازي الحبل بذكر ابسط واصح نوماً وشهوة واسكن اعراضاً تحس بالثقل في الجهة اليمنى ويعظم الثدي الايمن اولاً وتحمر حلمته ويكون اللبن غليظاً ابيض وتحرك الرجل اليمنى اذا مشت وتعتمد على اليد اليمنى اذا قامت وتكون عينها اليمنى اخف واسرع حركة والذكر يتحرك بعد ثلاثة اشهر والانثى بعد اربعة اشهر

وذكر غيره من اطباء العرب ان مما يدل على ذكورة الحمل كون النبض متواتراً قوياً والهضم سهلاً ووجود خط اسمر او اسود على الخط المتوسط للبطن وقالوا ان خص البول قد يرشد الى معرفة جنس الحمل فجاء في كتاب شفاء الاسقام « ان طفا على البول غمامة تغطي جميع وجه الماء دل على ان الولد ذكر وان كانت الغمامة في جانبه فالولد انثى وان كانت كالحبات فليست المرأة حبلى بل كان ذلك دليلاً على الرياح »

ليس من الحكمة بعد ان اوردنا ما تقدم عن طريقة المصريين وما عرفه اطباء العرب ان نهم القدماء بالغفلة لذكرهم اساطير كهذه ولا ان ننبذها قبل ان نبحت عنها بحثاً دقيقاً لان اكثرها وليد اختبارات حجة ومشاهدات عديدة . واكبر دليل على ذلك ما اثبتته العلم في الوقت الحاضر وهو

امكان تشخيص الحمل منذ بدأه وتعيين الجنس بواسطة البول واننا نذكر فيما يلي احدث ما وصل اليه الاحيائيون biologists في السنين الاخيرة والطرق المستعملة اليوم لم يتناول الاحيائيون سابقاً هذا البحث اعتقاداً منهم انه سرٌّ من اسرار الطبيعة الى ان كشف ايدر هالدن Abderhalden سنة ١٩١٢ القناع عن هذا السر وقال بنفاعة المثبت للحمل وقد أمل الاحيائيون ان يتوصلوا الى تعيين الجنس بتعميق البحث بعد ان وفقوا الى تشخيص الحمل بحث زوندك واشايم Asheim في ذلك وقالوا بوقوع وجوه من التغير في الدم خلال الحمل تساعد على تشخيص النساء والجنس اذ لا يخفى ان الحمل يؤثر في الغدد الصم فيضطرب توازن رسلها وتبديل الاخلات الدموية . نذكر فيما يلي نبذة عن تفاعل ايدر هالدن لما له من القيمة التاريخية فقط ثم نذكر التفاعلات المستعملة اليوم والمستندة الى بول الحوامل كما كان الامر قديماً

تفاعل ايدر هالدن ، يستند الى تبدل خواص الاخلات بتأثير اسباب معينة فيظهر في دم الحوامل مثلاً عناصر آحينية (زلالية) خاصة تقابلها الاخلات بمخمرات تصنعها الكبد والكريات البيض يستند التفاعل المذكور الى كشف هذه الحماز في مصل دم الحوامل . ولم تنتشر هذه الطريقة لانها دقيقة صعبة وليست نتائجها مع ذلك صحيحة فقد يبدو التفاعل سلبياً في الحمل وإيجابياً في غيره ثم عرفت في هذه السنوات الاخيرة طرائق متعددة اهمها طريقة اشايم وزوندك والتفاعلات المعدلة عنها اثبت هذان المؤلفان ان بول الحامل يحتوي على رسل القصر النخاعي الامامي الخاصة بالحمل فاذا حقنت به ادراص ^(١) نما مجراها التناسلي وضخمت رحمها واحتقنت ولتمت الاباضة (تكون البيضة الناضجة) ونزف المبيض . وقد استعملت هذه الطريقة في المانيا فكانت نتائجها صحيحة في ٩٩ حادثة من مائة

يظهر رسول القصر الامامي في البول بعد الالتحاق ببضعة ايام ولا يزول الا بعد الولادة ، تحقن الفأرة الصغيرة مرتين او ثلاث مرات بالبول في اليوم الواحد مدة ثلاثة ايام متتالية ثم تقتل وتفتح جنبها ويفحص مبيضها فان بدت فيه بقع زفية دل ذلك على الحمل

وقد استبدل بروها Brouha وسيمونه Simonet الحيوان المؤنت بذكر . يحقن البول مرة في اليوم مدة ٨ الى ١٠ ايام متعاقبة ثم يقتل الحيوان بعد يومين وتفتح جثته وتوزن خصيلاته ولا سيما الحويصلان المنويان فان ازداد حجمها بالنسبة الى حيوان شاهد لم يحقن دل ذلك على الحمل والعكس بالعكس . وقد بدت نتائج هذه الطريقة مشابهة لسابقتها

وقد ارتأى بروها Brouha وفريدمن Friedman ان يُسلجاً الى حيوانات كبيرة لان التفاعلات في الصغيرة منها قد لا تكون جلية فاتخذوا الارانب في اختبارها ولا يشترط في الارنب ان تكون دون

(١) ادراص : جمع درص وهو ولد الفأر

البلوغ بل يكفي ان تكون بعيدة عن الذكر لئلا تبيض (تكون البيضة الناضجة) بتأثير الجماع فيتشوش العمل

تبدو التبدلات الكاشفة لهذا التفاعل كالبقع الزقية في المبيض وتبيخ^(١) الدم في المجاري واضحة وضوحاً كبيراً كما ان وريد الارنب الهامشي كبير والحقن فيه سهل . فيحقن الوريد المذكور بـ ٥-١٠ سنتمترات مكعبة من البول . ولا بأس من تكرار الحقن مرة ثانية في اليوم الثاني ثم تقتل الارنب في اليوم التالي للحقنة الثانية وتفتح جثتها ويشاهد ما وقع من التغير في مجراها التناسلي واعضائه ينتخب بول الصبح عادة على ان يظهر بترشيحه من الشمعات وتكاف المرأة ان لا تتجرع دواء في اليوم السابق . وقد كانت نتائج هذه الطريقة صحيحة ايضاً في ٩٩ حالة من مائة بب^١ لذلك كان من اللازم الاعتماد عليها في التشخيص والاسترشاد بها في بعض الامور الشرعية والقانونية وقد عرفت حديثاً وسيلة لكشف الجنس تقوم بحقن وريد الارنب البالغ الهامشي ببول المرأة فاذا نمت خصيتها دل على ان المرأة حامل بانثى ولا يطرأ عليها اقل تبدل اذا كان الحمل ذكراً . توصل الى ذلك مؤلفان اميريكيان وهما ج . ه . دورن J H. Dorn وأدوار سوسو غرمان Edouard Sugarman بينما كانا يجربان طريقة زوندك واشايم في تشخيص الحمل . غير ان النتيجة لا تكون صحيحة الا اذا كان سن الحيوان مناسباً . ينتخب لذلك ارناب في دور البلوغ قد بدأت خصياتها بالنزول . وقد لاحظ هذان المؤلفان ان مدة هبوط الخصية واجتيازها الحلقة المغننية وبلوغها جدار الصفن تختلف من عشرة الى خمسة عشر يوماً . يراقب سير هبوط الخصية بالجنس البسيط ولا يصلح الارنب للاختبار المذكور الا في هذه المدة فقط . وطريقة العمل : يؤخذ ١٠ سنتمترات مكعبة من بول الحامل الصبحي ويحقن احد اوردة الارنب واحسنها الهامشي بها ثم يقتل الحيوان بعد ٤٨ ساعة وتفحص خصيتها عيناً ومجهرآ فاذا كان التفاعل ايجابياً اي دالا على كون الجنس انثى تتكاثر عروق الخصية ويبدأ تولد المني فيها واما اذا كان الجنين ذكراً فلا يظهر اقل تبدل في الخصية . وقد كانت نتائج هذا الاختبار صحيحة في ثمانين حالة من ٨٥ حالة^{٨٥} يستنتج مما تقدم ان البحوث القدماء واختباراتهم جديرة بالاعتناء والاهتمام وكثيراً ما اثبت العلم صحة ما دونوه وكما انه جاز للمؤرخين ان يقولوا بان التاريخ يعيد نفسه يجوز ان يقال ايضاً بان العلم يعيد نفسه في بعض الاحيان مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور طبعاً ودليل ذلك تأييد مؤلفي الالمان صحة اختبارات المصريين التي مضى عليها اكثر من ٤٠٠٠ سنة . لذلك كان علينا نحن معشر الشرقيين ان نقتبس من علوم الغربيين فقد سبقونا اشواطاً بعيدة في مضمار الرقي وان لا نهمل الماضي لعلنا ان ننقب في بطون الكتب لنبحث عما عني به اجدادنا ونقتطف ثمار ابحاثهم وعلومهم

(١) تبيخ الدم تهبج وتوقد حتى يظهر في العروق

الخبراء الأجانب

وتقاريرهم عن التعليم في مصر^(١)

في السنوات الخمس الأخيرة : انتدبت وزارة المعارف جماعة من الخبراء الأجانب ، لدراسة نظم التعليم العامة في مصر ، والنظر في السياسة التعليمية او لدراسة نظم مدارس معينة كمدرسة الهندسة الملكية . وما نلاحظه عما لهذه التقارير من الشأن ، ان النظر في السياسة التعليمية في بلاد ما ، لابد ان يراعى فيه دراسة مستفيضة لتطور نظم التعليم والاسباب التي ادت الى هذا التطور ، ودراسة سيكولوجية لمستوى التلاميذ العقلي وبحث اقتصادي واجتماعي للبيئات المختلفة . لهذا وجب ان تؤخذ تقارير هؤلاء الخبراء ، والنتائج التي وصلوا اليها بشيء من التحفظ ، لاسيما ما يختص منها بسياسة التعليم العامة . ولكن لا شك في ان آراء هؤلاء الخبراء فيها شيء كثير من الحقيقة . لاسيما ما كان منها خاصاً بالشؤون التي لا تعتمد على الاستعداد السيكلوجي او اعتبارات البيئة وان كان غير واحد من المشتغلين بالتعليم في مصر قد رد د جانباً كبيراً من هذه الملاحظات في فترات مختلفة . واهم هؤلاء الخبراء الذين درسوا نظم التعليم العامة ، كلاباريد السويسري ومان الانجليزي

❖ مهمة كلاباريد ❖ الدكتور كلاباريد ، مدير معهد البيداجوجيا (التربية) واستاذ علم النفس الخاص بالأطفال في جامعة جنيف في سويسرا وقد ندبته وزارة المعارف وعهدت اليه في وضع خطة عامة للإصلاح المدرسي تتناول النظام السائد حالياً في مصر وبوجه خاص مدرسة المعلمين . وقد جاء كلاباريد في اواخر شهر اكتوبر سنة ١٩٢٨ ، وبقي نحو ثمانية اشهر ، اصدر بعدها تقريراً عن آرائه ومباحثه ، طبعته وزارة المعارف فيما بعد . وقد اعتمد في دراسته على مصادر متعددة ، منها آراء المعلمين والمفتشين وخبراء الامتحانات ثم على الملاحظات التي غنت له في خلال زيارته للمدارس المختلفة ، كذلك على الاختبارات السيكلوجية التي اجراها على بعض تلاميذ المدارس في مختلف درجات الدراسة في المدن والارياف ، كما انه اعتمد على ملاحظات لفيف من طلاب مدرسة المعلمين العليا واهم المباحث التي عهد الى الاستاذ كلاباريد في درسها ما يأتي :

- (١) نظام مدارس المعلمين ، وهل تختلط فيها المواد العلمية البيداجوجية ، وهل تنضم مدرستا المعلمين الى كليتي العلوم والآداب بالجامعة المصرية . وما الخطة التي تسير عليها الوزارة في تخرج المعلمين .
- (٢) دراسة نظام التعليم العام : وهل النظام الدراسي في جميع مراحل التعليم يحتاج الى اصلاح او تغيير لاسيما من حيث مواد الدراسة وعددها ومقدارها ومن حيث التوحيد بين الدراسة في مدارس

البنين والبنات وعدد المدارس التي تخصص لكل مرحلة بالقياس الى عدد السكان. (٣) دراسة نظام التعليم الازامي - وهل الخطة المتبعة تتفق مع الانتقال من حالة الامية الى حالة المعرفة من الوجهتين الاجتماعية والتعليمية (٤) دراسة ميزانية التعليم بالقياس الى الميزانية العامة (٥) علاقة المدارس العليا بالجامعة يرى كلاياريدي ان المشتغلين بالتعليم يخلطون بين الغرض من التعليم والغرض من التربية وان كان لا يرى ان هذا الخطأ خاص بمصر وحدها غير ان مصر باستمدادها النماذج المدرسية من اوربا انما نقلت منها اسوأ النماذج وزادتها سوءاً من عندها. واكبر ظاهرة في هذا الاضطراب، اللغو في التعليم وبناءة على الفاظ يحفظها التلميذ دون فهم لمعانيها وهذا كله نتيجة لتحميل المناهج الدراسية ما لا يطيق وخوف الامتحانات وجهل اساتذة كثيرين بطبيعة عقل التلميذ وضرب مثلاً لذلك بدروس الديانة. ورأى أيضاً ان التفاوت في اعمار تلاميذ الفرق الواحدة كبير وعدد الاضرار الخلقية والفنية التي تنشأ عن هذا التفاوت. ثم انه لاحظ كثرة عدد التلاميذ في فرق مدارس الاطفال كثرة شاذة. وكذلك انتقد تخصيص المعلمين في المدارس الاولى والابتدائية. واخذ على نظار المدارس انصرافهم عن دراسة حالة تلاميذهم النفسية والصحية. ثم انه نقد الابنية المدرسية وقلة مدارس البنات

﴿ ماذا يقترح كلاياريدي ﴾ شخص كلاياريدي الداء ثم انه اقترح علاجاً له وأهم مقترحاته ما يلي :
نقص عدد التلاميذ في الفرق مع زيادة التجانس في السن والمستوي العقلي واختبار كل طفل على حدته اختباراً فردياً مع تعيين معلمي فرق في المدارس الاولى والابتدائية وجعل تعليم الاطفال الى التاسعة في ايدي المعلمات. ثم انه يرى تضيق نطاق المناهج وتعديل نظام الامتحانات وجعلها تعتمد على التفكير لا على الاستظهار. ثم انه يرى توسيع نطاق التعليم الابتدائي والثانوي للبنات والاثاد في نشر التعليم الازامي ريثما يتخرج المعلمون القادرون على القيام بابعائه. واقترح تعديل اسلوب اعداد المعلمين وانشاء فرق متنقلة لنشر الثقافة في الارياف والقاء محاضرات اسبوعية في التربية لتجويد المعلمين، وتعيين مفتشين سيكولوجيين لمواصلة البحث في المدارس ولارشاد المعلمين. ثم انه زدد بنظام المركزية في التعليم وأشار بوجوب منح مدى من الحرية للمعلمين ونظار المدارس

﴿ تقرير المستر مان ﴾ : نذبت وزارة المعارف المستر (مان) مفتش المدارس وكليات المعلمين بوزارة المعارف الانكليزية لدراسة سياسة التعليم في مصر فجاء في سبتمبر سنة ١٩٢٨ وامتدت زيارته الى ابريل سنة ١٩٢٩ واعد تقريراً قدمه إلى وزارة المعارف. وأهم المسائل التي طاب اليه بحها وابداء الرأي فيها نظام تخرج المعلمين ثم مناهج الدراسة المتبعة في مراحل التعليم العام والعلاقة بين مناهج مدارس البنات والبنين ثم دراسة نظام التعليم الاولي الازامي وعدد المدارس اللازمة لكل مرحلة من مراحل التعليم ثم ابداء رأيه فيما يجب تخصيصه للتعليم من ميزانية الدولة العامة.

يرى المستر مان أن ما أعد حتى الآن من وسائل التعليم الاولي ناقص نقصاً كبيراً كما ان تعليم الاطفال في المدارس بحسب الطرق الحديثة يكاد يكون معدوماً في جميع انحاء القطر حالة أن ما أعد للتعليم

العالي وما يتبعه من التعليم الابتدائي والثانوي يزيد زيادة فاحشة بالقياس الى ما أعد للتعليم الاولي . ثم ان ما اعد من الوسائل لتعليم البنات يسير اذا قيس بما أعد لتعليم البنين . أما فيما يختص بأجور التعليم ونظام المجانية وبالمرتبات المدرسية فيرى انها غير منظمة وناقصة من بعض الوجوه

وهو يستهجن التغالي في تركيز السيطرة على التعليم في الادارة الرئيسية ، هذا الذي ادى الى طبع المدارس وطرق التدريس ومواد الدراسة بطابع واحد . لهذا يقترح ان يعدل نظام اختصاص الموظفين في وزارة المعارف تعديلاً يمنع الخلط في الاعمال الادارية ، كما يرى ان يعهد في ادارة التعليم الاولي وما يتبعه من مدارس المعلمين والمعلمات الى سلطات محلية مع توزيع المفتشين على مناطق معينة ثم هو يقترح أن يخول نظار المدارس قسطاً من الحرية اوفر مما يخوّلونه الآن في ادارة مدارسهم وقد اهتم المستر مان بأمر الامتحانات اهتماماً كبيراً واقترح اقتراحات عديدة بشأن كل شهادة من الشهادات فهو يرى مثلاً الا يتمحن الطلبة في الشهادة الابتدائية الا في الرياضة واللغة العربية ولغة اوربية واحدة . اما في التعليم الثانوي فاقترح ان يباح للتلاميذ التخصص في الدراسة العلمية او الادبية ابتداء من السنة الاولي مع انقاص عدد المواد المقررة للامتحان . وعنده ان يبطل اعطاء شهادات للطلبة الناجحين في امتحان شهادة اتمام الدراسة الابتدائية ، وإلغاء نظام الملاحق وعدم اعتبار الشهادات الدراسية اساساً لتعيين موظفي الحكومة

وقد درس الخبير الانكليزي مسألة الحياة الاجتماعية الخاصة بالطلبة الغريب فأرى ان تتولى المدرسة التي هم فيها امر سكانهم وتدير شؤون معيشتهم ورياضتهم واعداد فنادق مدرسية موافقة لطلبة الكبار وتنقيح جداول اوقات الدروس بقصد ايجاد فترات كافية لتمكين المدرسين والطلبة من الاستراحة وتناول الغذاء . وقد عني في تقريره بأمر المدارس الفنية المتوسطة فهو يرى ان يؤخذ التلاميذ لهذه المدارس من المدارس الاولية مباشرة ويراعى في الاختيار صغر السن . اما عن نظام التعليم فهو يرى وجوب مقاومة تغلب الدراسة النظرية والعلمية على الدراسة العملية في التعليم الفني وذلك بتأليف مجلس استشاري في كل مدرسة وزيادة عدد معلمي الصناعات ممن سبق لهم ان مارسوا العمل في ميدان الصناعة الحرة

ويتبين مما تقدم ان هذين التقريرين يشيران الى ضرر نظام المركزية في التعليم والاهتمام الشاذ بأمر الامتحانات العامة وتشجيع التعليم الابتدائي والثانوي على حساب التعليم القومي . اما اصلاح نظام التعليم فلا يكون الا باعطاء حرية كافية للنظار والمعلمين وبصرف العناية عن التعليم التلقيني النظري . وما نلاحظه عن تقرير الخبير السويسري عنايته بالدراسة السيكولوجية الفردية للتلاميذ ، الا انه اخطأ في تطبيق الاختبارات الاوربية على التلاميذ المصريين لذلك كانت النتيجة التي وصل اليها غير صحيحة وهي انخفاض مستوى ذكاء الطفل المصري عن اي طفل اوروبي . اما آراء الخبير الانكليزي فمشبعة بنظام التعليم الانكليزي

واعظ المنصور

[من اهل الحق رجالٌ يجلوهم الحق كجلاء السيوف ، حتى يستوي عندهم هام الناس من الملوك بأذنانهم من السوق والعامة ، فاذا وقفوا بين يدي الملوك ارسلوا عليهم من مواعظهم شواظاً من نارٍ تحرق ضعاف الملوك ، فهم فيها كيابس الحطب ، وتنقي كرامهم ، فهم فيها كالذهب ، لا يزدادُ على النار الاً بهاءً وصفاءً . وهؤلاء الرجالُ من الحياة بمنزلة الملوك ، لانهم هم ساسة الحق والقائمون بأمره في هذه الدنيا . وواعظ المنصور هو امامٌ من أئمة هؤلاء الافذاذ]

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول :

اللهم أني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع
نخرج المنصور ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين واستلم
الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة

فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين
الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما ارمضني

قال : يا امير المؤمنين ان أمنتني على نفسي أنبأتك بالامور من اصولها ، والا احتجرت منك
واقصرت على نفسي ففيها لي شاغل ، فقال :

أنت (آمِنْ) على نفسك (فقل) ، فقال : إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر
من البغي والفساد لأنت

قال : ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضي والحلو والحامض عندي !

قال : وهل دخل احداً من الطمع ما دخلك ! إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنك نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكرع ، وأمرت بالآل يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير ولا احداً الا وله في هذا المال حق

فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت الا يحجبوا عنك ، تحجب الاموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه ! فاتمروا بالآل يصل اليك من علم اخبار الناس شيء الا ما ارادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف امرهم الا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وغنم ، اعظمهم الناس وهابوهم ، فكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك (خبره) سألوها صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته اليك ، فان المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفاً منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا اجهد وأخرج وظهرت ، صرخ بين يديك ، فضرب ضرباً مبرحاً ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر ، فما بقاء الاسلام على هذا !

وقد كنت يا امير المؤمنين (اسافر) الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه ، فبكي يوماً بكاءً شديداً فحنه جلساؤه على الصبر فقال : أما اني لست ابكي للبلية النازلة بي ، ولكني ابكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا اسمع صوته ثم قال : أما اذ ذهب سمعي فان بصري لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوباً احمر الا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرقي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوماً

فهذا يا امير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من اهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ، فان كنت انما تجمع المال لولدك ، فقد اراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن امه وماله على الارض مال ، وما من مال الا ودونه يد شجيعة تحويه فما زال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولست بالذي تعطي بل الله يعطي من يشاء ما يشاء ، وان قلت انما اجمع المال لتشديد السلطان فقد اراك الله عبراً في بني امية : ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى اراد الله بكم ما اراد ، وان قلت انما اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بخلاف ما انت عليه يا امير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل

قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ! ولكن بالخلود في العذاب الاليم ، قد رأى ما قد عقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه رجلاك ، هل يغني عنك ما شجحت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب

فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أخلق ! ويحك ! فكيف احتال لنفسي

قال . يا امير المؤمنين إن للناس اعلاماً يفرعون اليهم في دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في امرك يسددوك

قال : قد بعثت اليهم فهربوا مني

قال : خافوا ان تململهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهّل حجابك وانصر المظلوم وانعم الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على اهله وأنا الضامن عنهم ان يأتوك ويسعدوك على صلاح الامة . وجاء المؤذنون فساموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه وطُلب الرجل فلم يوجد



معاهدات الصلح

هو الحرب في المؤتمر

انقضى شهران على عقد الهدنة (١١ نوفمبر ١٩١٨) قبلما اجتمع مؤتمر الصلح في باريس . وكان بعضهم قد اقترح ان يعقد المؤتمر في مدينة جنيف ، حيث يكون بعيداً جهداً الطاقة عن روح الحرب التي تسود جو العواصم الكبرى . ولكن الحكومة الفرنسية اصررت على رغبتها في ان يوقع الالمان معاهدة الصلح في ردهة المرايا في قصر فرساي ، حيث اعترفت فرنسا بهزيمتها سنة ١٨٧٠ . فلما اجتمع المؤتمر كان خلواً من ممثلي الدول المركزية ، لأن القرار كان قد تم على ان تمنع المانيا وحلفاؤها من الاشتراك في وضع معاهدة الصلح ، وان تمل شروطه عليها إملاءً . ولكن المانيا كان قد وثقت بالرئيس ولسن ، وولسن كان قد جاء باريس ليحضر المؤتمر ويشترك في وضع المعاهدة . وليس ثمة شك في انه قابض على مفتاح الصلح بكليتي يديه . ذلك ان دول الحلفاء كانت مدينة للولايات المتحدة ومعظم دول اوربا المركزية كانت تعتمد على جمعيات الاغاثة الاميركية في انقاذها من الموت جوعاً . ولذلك توقعت المانيا صلحاً قائماً على النصفة والعدل ، وفصلاً سريعاً في المشكلات التي تحتاج الى فض . غير أن المانيا لم تحسب حساباً لجو باريس . ذلك ان كل دولة ودويلة من الدول المتحالفة والمشاركة في الحرب ، كانت قد بعثت بمندوبيها الى باريس ، وكان كل ممثل مصمماً ألا يغادر باريس الا وقد اصاب نصيباً من الغنائم والاسلاب . فكان الامل في سرعة الوصول الى اتفاق املاً خلباً . اما من حيث النصفة والعدل ، فابن السبيل اليهما ، وباريس ما تزال تغلي بحمى الحرب واحقادها وضغائنها . كان زعيم الوفد الفرنسي المسيو جورج كلنصو ، قد صرح بان غرضه سحق المانيا . وكان زعيم الوفد البريطاني المستر لويد جورج ، قد فاز — قبيل ذلك — في انتخاب بريطاني عام وشعاره فيه «احملوا المانيا على الدفع» و«يجب ان نشنق القيصر» . ثم كيف تحبو الضغينة على المانيا في بضعة اسابيع او بضعة شهور وهي التي ولدتها في النفوس دعاية قوية منظمة خلال اربع سنوات ؟ طغت هذه الضغينة على النفوس كأنها الآتي لا حيلة لك في صدّه فوقف ازاءها الرئيس ولسن حائراً عاجزاً

وكذلك اجتمع في باريس ممثلو الارمن الذين نجوا من الذبح ، ووفود الفرس ، ومندوبو العرب

الذي وعدتهم بريطانيا وقطعت لهم عهداً بالاستقلال على يد الكولونل لورنس وزنوج من افريقية وصينيون ويابانيون وروسيون (لا يملكون الحكومة القائمة حينئذ) وتشكيّتون وكرواتيون وسلوفينيون ولتقيّتون واستونيون واقرانيون ، علاوة على ممثلي الدول الكبرى الظافرة . جاء جميع هؤلاء الى باريس ، ولكلّ مطلب عزيز ، يؤيده بالادلة التاريخية او التوزيع الجغرافي او حجة العدل الهابط من العلى . وكان في كثير من هذه المطالب ، جور على العدل وتعدّي على التوزيع الجغرافي . ذلك ان كل امة كانت في الغالب ترمي الى ضمّ قطعة من بلاد مجاورة يقطنها شعب غير شعبها ، ولكن المندوبين قاموا على جهل ولسن ولويد جورج بهذه الحقائق الجغرافية الدقيقة . ثم انهم حسبوا حساباً للمساومة فطلبوا اكثر مما يتوقعون الحصول عليه

مجلس الاربعة

كيف يستطيع مؤتمر مؤلف من ممثلي اثنتين وثلاثين دولة ان يقبل على معالجة هذه المشكلات من دون ان يسرف في الخطابة والجدل العقيم . لذلك تقرر في بدء المؤتمر ان يعهد الى مجلس مؤلف من عشرة رجال في وضع معاهدة الصلح . ثم تبين ان العشرة عدد كبير ، اذا كانت الامم ترغب في الحصول على معاهدة صلح في بضعة شهور . لذلك عيّن مجلس ، مؤلف من ولسن وكننصو ولويد جورج واورلندو ، لوضع المعاهدة . وعرف هذا المجلس بمجلس الاربعة . وقد وصف المستر كاينز الكاتب والاقتصادي البريطاني هؤلاء الرجال وصفاً بديعاً في كتابه «نتائج الصلح الاقتصادية» قال: جلس كننصو لابساً قفازيه الرماديين على كرسي مغطى بالحرير المطرّز وكانه جالس على عرش . جاني الروح خالياً من الامل شيخاً متعباً — ... كان ينظر الى فرنسا ، نظر بركليس الى اثينا هي الخير الاعلى في الدنيا ، وليس ثمة غيرها شيء يؤبه له اما مبدأه في معاهدة السلام فيمكن ان يلخص في انه كان يعتقد ان الالماني لا يفهم الا البطش ، وفي المفاوضات لا يدرك معنى السخاء او تأنيب الضمير ، وانه في سبيل مغنم ما لا يقف عن آية خسة ، فهو لاشرف له ولا كرامة ولا رحمة . ويقابل كننصو الرئيس ولسن . قال فيه كاينز : « كان الرئيس اشبه بقسيس لم يكن عنده خطة يريد ان يجري عليها ، ولا مقترحات عملية تبعث الحياة ، في الوصايا التي اذاعها من البيت الابيض ... كان في استطاعته ان يلقي عظة بليغة او يرفع دماء حاراً الى العزة الالهية ، في كل موضوع من موضوعاتها ولكنه كان عاجزاً عن تطبيقها تطبيقاً عملياً ، على حالة اوربا الراهنة ... وعلاوة على ذلك كان ما يعرفه عن احوال اوربا خاطئاً في الغالب . ومع ذلك كان يسمح لنفسه ، ان ينفرد كل يوم ، برجال اربع منه واوسع حيلة فتأثر بالجوّ الذي يحيط به واصبح يتحدث في شؤون الصلح ، على اساس الحقائق التي يقدمونها والخطط التي يقترحونها عليه ، وكذلك سار معهم في الطريق الذي اختاروه » . وكان لويد جورج في الغالب ، يوافق كننصو ، الذي ما برح طوال المؤتمر

بذكره بالعهد الذي قطعه امام الناهبين البريطانيين « احموا المانيا على الدفع ». وقد قال كلنصو في لويدي جورج : — « اظن ان هذا الرجل يستطيع ان يقرأ ولكنني اشك في انه يفعل » وقال كذلك في لويدي جورج وولسن : « الاول بحسب نفسه نبوليون بونابرت اما الثاني فيظن انه السيد المسيح ». وماذا تقول في اورلندو ؟ كان اورلندو لا يعرف الانكليزية وكان ولسن ولويدي جورج يجهلان الفرنسية فالتخاطب بينهم كان متعذراً . اما كلنصو فكان يجيد اللغتين ويعرف الهدف الذي يرمي اليه ، فكان الصلة بين الفريقين فسيطر على المؤتمر

وكذلك تبدد كل امل بتحقيق حلم الرئيس ولسن . كان الثلاثة وبوجه خاص كلنصو ، ابرع منه في المناورات السياسية ، فتعلبوا عليه في معظم المسائل وهو لا يدري انهم تغلبوا عليه . بيد ان كلنصو ، كان داهية في استرضائه حيث لا يكلفه الاسترضاء شيئاً . خذ مثلاً على ذلك موضوع « ميثاق جمعية الامم » فان ولسن اصرّ على جعله في مستهل كل معاهدة من معاهدات الصلح . فاعترض على ذلك لويدي جورج واورلندو ، بحجة ان العالم لا يستطيع ان ينتظر حتى يوضع دستور الجمعية وينتقح ، ولكن كلنصو انحاز الى ولسن ، ودافع عن رأيه ، حتى اقره مجلس الاربعة وخرج ولسن من هذا الجدل باكليل الغار

عقاب المانيا

ولما هم المؤتمر بعقد معاهدة الصلح مع المانيا ، عرضت له ثلاث مشكلات كانت المشكلة الاولى ما يعرف بدولة الرين . ذلك ان الوزارة الفرنسية كانت قد طلبت انشاء دولة مستقلة على نهر الرين ، تقوم بين المانيا وفرنسا مقام الجن بين الجندي وخصمه ، على ان تنشأ من ارض كانت المانية قبل الحرب ، وتكون خاضعة للتنفيذ الفرنسي بعد الصلح . فاعترض ولسن على ذلك فتنازل كلنصو ، بعد اخذ وردٍ طويلين عن « دولة الرين » المقترحة ولكنه اشترط ان تحتفظ فرنسا بمقاطعتي الاراس واللورين وان يعهد اليها في السيطرة على مناجم الفحم الغنية في وادي السار . اما ولسن فما كان ينوي قط ان يسلب المانيا وادي السار ، ولكن ما العمل وقد تنازل كلنصو عن جانب كبير من مطالبه ؟ والواقع ان المطالبة « بدولة الرين » لم تكن من ناحية كلنصو الا من قبيل المساومة

وكانت المشكلة الثانية خاصة بمال التعويض . ففي الشروط الاربعة عشرة التي اذاعها ولسن اساساً للصلح قبل عقد الهدنة ، ببضعة أشهر ، صرح انه يجب على المانيا . ان تدفع ثمن الدمار الذي أحدثته وتصلح الاراضي التي عبثت بها الجيوش في كرّها وفرّها وتقدمها وتأخرها . واصرّ كلنصو على ان التعويض يجب ان يشمل التعويض الادبي وان المانيا يجب ان تدفع المعاشات التي تصرفها الحكومة الفرنسية وغيرها من حكومات الحلفاء ، للارامل ، اذ من السخرية ان تعويض الفلاحين

مما خسروه من الدجاج والماشية ، ولا تعوض الامهات ما خسرنه من الابناء والازواج . ووافق لويدي جورج على اقتراح كلنصو واضطرّ ولسن ان يسلم بما وافق عليه الاثنان ولكن كيف يقدر الخراب الذي احدثته الحرب ؟ عهد الى لجان مختلفة في ذلك فتضاربت آراؤها ، لان عمل هذا التقدير العظيم ، كان اكبر واعقد من ان يتم في بضعة اسابيع . فاكثفتي مجلس المؤتمر بفرض الف مليون جنيه على المانيا تسدها في خلال سنتين ، وعهد الى لجنة التعويضات في تقدير المبلغ النهائي الذي يُطلب منها . وقد نظن الآن ، ان هذا العمل ، كان من اختصاص جمعية الامم ، وكان يجب ان يعهد اليها فيه ، ولكن جمعية الامم لم تذكر حينئذ ، وانشئت لجنة التعويضات على ان تكون مستقلة عن اي مجلس او جمعية

وكانت المشكلة الثالثة خاصة بمصير بولونيا . ففي شروط ولسن قطع عهد لبولونيا باستقلال الأراضي التي يقطنها اقوام بولونيون وان يكون لها منفذ حر الى البحر . وكان كلنصو يعني ان يكون هذا المنفذ على بحر البلطيق ، فتنفصل به وبالطريق اليه ، بروسيا الشرقية عن سائر الرّيح الالماني ، وان يجعل ان دانترغ مدينة بولونية . فاعترض لويدي جورج ، على هذا التقطيع في اوصال المانيا ، قائلاً أنه ينطوي على حقد ورغبة في الاخذ بالثأر . ولكن اللجنة التي عينت للبحث في الموضوع قررت ما رجّح رأي كلنصو ، فانشىء المجاز البولوني . على ان كلنصو كان سخياً ! فسلم لولسن بجعل مدينة دانترغ وما يجاورها مقاطعة دولية يحكمها مندوب او لجنة من قبل جمعية الامم ، بدلاً من ان نجزم جعلها بولونية على ما جاء في اقتراحه الاول

وبعد ما انقضت ثلاثة اشهر او نحوها ، على المناقشة والبحث والمساومة ، اعدت المعاهدة وقدمت لالمانيا . فكانت اكثر المعاهدات التي عقدت في العصر الحديث ، تضيقاً على امة مغلوبه . كانت المانيا امة صناعية ، تعتمد في معيشتها على مصادر ثروتها المعدنية ، وعلى تجارتها الخارجية في اسواق مستعمراتها والاسواق العالمية بوجه عام . فحكم عليها في المعاهدة بان تفقد جانباً كبيراً من خُمها وحديدتها ، فنحت مناجم الازراس لورين والساار لفرنسا ، ومناجم سيليزيا العليا لبولونيا . وصودر اسطولها التجاري (الا السفن التي يزيد حمول السفينة منها على الف طن) وزعت منها مستعمراتها ، واخضعت انهارها — وهي بمثابة عروق التجارة الداخلية فيها — لسيطرة ادارة دولية ، ثم حكم عليها علاوة على غرامة الحرب ، وتقطيع اوصالها الاقتصادية ، بان تحمل تبعة لشوب الحرب . ففي المادة ٢٣١ من معاهدة فرساي النص الآتي : —

« ان الحكومات المتحالفة والمشاركة ، تؤكد ، والمانيا تقبل ، تبعة المانيا وحلفائها في احدث كل الخسارة والدمار اللذين تعرضت لهما الحكومات المتحالفة والمشاركة وابناؤها ، نتيجة للحرب ، التي فرضها عليهم تعدّي المانيا وحلفائها »

وفي اليوم السابع من شهر مايو جيء بالوفد الألماني يحيط به حرس شاكى السلاح ، الى فندق زيانون ، وقدم نص المعاهدة اليه . وفي الثالث عشر من مايو ، ردَّ الكونت بروكدورف رانتزو على المعاهدة مصرحاً بأنه مضطر الى رفضها لأنها تناقض الشروط الاربعة عشرة التي اذاعها ولسن ولان موادها لا يمكن تطبيقها تطبيقاً عملياً . قال : اننا لسنا واهمين بل ندرك مدى خذلاننا وضعفنا .. ونحن لاننوي ان نبرىء المانيا من تبعه الحرب كلها ، وانما نبغي ان لاتتحمل المانيا — التي كان شعبها يعتقد انه يحارب حرباً دفاعية — كل التبعة دون غيرها » ثم قال : « ان من يوقع هذه المعاهدة ، كمن يوقع الامر بالاعدام لملايين من الرجال والنساء والاطفال الالمان » . ونحن اذا راجعنا تاريخ الفترة التي انقضت على توقيع معاهدة فرساي ندرك ان ما قاله الكونت بروكدورف رانتزو كان صحيحاً

اما المانيا ، فرددت قول بروكدورف رانتزو من اقصاها الى اقصاها . ذلك ان المعاهدة انقضت على الامة الالمانية كالصاعقة ، فجعلت تسأل « اين السلام الولسني ؟ اين الشروط الاربعة عشرة ؟ » ونحن الآن نسأل الاسئلة نفسها ؟

ذلك ان ولسن لم يدرك ان كلنصو كان ابرع منه في الكر والفر ، وانه لبراعته حقق ما يطلبه ولسن مقتنع ان ما انطوت عليه المعاهدة هو الحق كل الحق . فلما قدم بروكدورف رانتزو اعتراضات المانيا على المعاهدة ، ومقترحات جديدة ، أيده لويد جورج بعض التأييد ، ولكن واسن رفض ان يتزحزح قيد انملة عن نص المعاهدة الاصلي ، اذ لا سبيل عنده الى التنازل عما هو « حق » . فرفضت مقترحات الالمان ولم يسلم لهم الا بجعل مصير سيليزيا العليا ، رهن استفتاء يجري فيها بدلاً من ان تمنح لبولونيا بلا اي استفتاء . ثم اندرت المانيا بأنها تمنح حتى الساعة السابعة من مساء ٢٣ يونيو لتقبل المعاهدة او ترفضها

وقعت المانيا في مأزق حرج ، لأنها اذا قبلت المعاهدة ووقعها ، ارهقت نفسها باعباء لا قبل لها بها . واذا رفضت سارت جيوش الحلفاء الى برلين . فضلت وزارة شيديمان ان تستقيل على ان توقع . ولكن المانيا اضطرت اضطراراً الى القبول فوصل جوابها الى المؤتمر ساعة ونصف ساعة قبل نقاد الميعاد المضروب . وفي يوم ٢٨ يونيو — اي بعد انقضاء خمسة اعوام على مصرع الارشيدوق النمساوي في سرايشو — وقعت المانيا معاهدة الصلح ، في ردهة المرايا بقصر فرساي حيث وضعت اركان الامبراطورية الالمانية سنة ١٨٧١ على يدي بسمارك

المفاوضات مع الدول الاخرى

على ان عمل المؤتمر لم ينتهِ بتوقيع معاهدة فرساي . ماذا يفعل بالامبراطورية النمساوية ؟

سوف نعود الى موضوع اوربا الوسطى في فصل تال ، فنكتفي الآن بأن نقول ان معاهدة الصلح مع النمسا ، حوّلتها من دولة في الطبقة الاولى بين دول اوربا الى دولة في الطبقة الخامسة . نزعتمها الولايات الشمالية — وهي الولايات الصناعية — وانشأت منها جمهورية تشكوسلوفاكيا . وضمت ولاياتها الجنوبية وشواطئ دلماتيا الى مملكة سربيا فأصبحت بعد اتحادها بمملكة الجبل الاسود مملكة يوغوسلافيا ، واستقلت بلاد المجر ، وضمت مقاطعة الى بولونيا من ناحية ، ومقاطعة اخرى من ناحية اخرى — في التيرول — الى ايطاليا . وما بقي من الامبراطورية القديمة المترامية الاطراف وعاصمتها فيينا ، جعلت جمهورية لها الحق في ان تدافع عن استقلالها بثلاثة مراكب بوليس على نهر الدانوب ، وجيش مؤلف من ٣٠ الف جندي ! ووقعت المعاهدة مع النمسا في سان جرمان في سبتمبر ، وتعرف بمعاهدة سان جرمان

وبعد انقضاء شهر على عقد معاهدة سان جرمان عقدت معاهدة نويي Neuilly مع بلغاريا ، فأصبحت من دول البلقان الصغيرة وفرضت عليها غرامة حربية قدرها ١٢٠ مليوناً من الجنيهات . اما عقد المعاهدة مع المجر فتأجل . ذلك ان بيلاكون ، كان قد اكتسح العاصمة بودابست ، بفريق من الشيوعيين ، ولم يغلب على امره الا في يوليو ، فتأخر عقد معاهدة تريانون مع بلاد المجر حتى شهر يونيو سنة ١٩٢٠

وكان الحلفاء قد وضعوا معاهدة مع تركيا ، بنوا موادها على الاركان التي بنوا عليها المعاهدات الاخرى مع المانيا وحلفائها ، ولكن قبل ان توقع تركيا هذه المعاهدة ، تحدى مصطفى كمال الحكومة العثمانية في الاستانة وحكومات الحلفاء جميعاً ، فتغلب على الارمن سنة ١٩٢٠ وطرد اليونان من آسيا الصغرى في سنة ١٩٢١ ولما سلمت تركيا الكيالية بعقد مؤتمر الصلح في لوزان سنة ١٩٢٣ اصرّت على تحقيق مطالبها القومية ، فخرجت من لوزان وقد غنمت مقدونيا والاستانة

اما الدول القائمة على الشاطئ الشرقي من بحر بلطيق — لتوانيا ولتقيا واستونيا وفنلندا — فاعترفت باستقلالها . ووضعت الحكومات المتحالفة والمشاركة معاهدات لحماية الاقليات في بولونيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ورومانيا واليونان ، معترفة للقوميات المختلفة بحق احتفاظها بشرائعها وعاداتها . وكذلك نرى ان مؤتمر الصلح لم يحافظ الا على مبدأ حقوق الاقليات ، من مبادئ الرئيس ولسن ، ومع ذلك سلم باخضاع نحو مليونين ونصف مليون من الالمان لبولونيا (في سيليزيا) ونحو ثلاثة ملايين ونصف مليون لتشكوسلوفاكيا ، وحكم بتوزيع نحو ثلث الشعب المجري في اوربا بين رومانيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا

وقد صدرت كل معاهدة من المعاهدات المذكورة بميثاق جمعية الامم ولهذا حديث تال

اقطاب العالم

في العصر الحديث

بين محنة الازمة والامل بانفر اجها يتطلّع العالم المتحير ، إلى ما قد تسفر عنه المحادثات السياسية والمؤتمرات الدولية المختلفة. يسأل بعضنا بعضاً هل نشهد بأمر العين ما تغني به الشاعر الانكليزي لورد تينسون على أنه من الاحلام إذ قال : « ونفذت بنظري الى المستقبل ، الى أبعد ما يصل اليه النظر البشري . . في برلمان الانسان واتحاد العالم » ؟ ولكن رجل الشارع ، أياً كان هذا الشارع وأين كان يسأل : — « على من تلتقى التبعة في خيبة هذه المؤتمرات . ان فيها ميداناً واسعاً للإبداع ، فكيف نعلل خيبة الآمال ؟ كيف نفسر التردد وعدم الحزم حيث لا ينجينا إلا الحزم والاقدام ؟ »

وقد أعرب الدكتور بطر ، رئيس جامعة كولومبيا ، عن رأي رجل الشارع اذ اسند هذا النقص في حياة العالم العامة الى عوز في الزعماء وصفات الزعامة . فالمعرفة واسعة النطاق ، والآمال والنيات تنطوي على الخير في الغالب والبواعث تستدعي العمل . ولكن يعوزنا الزعماء . ويؤيده رجل الشارع فيقول : « فاذا أخفق الزعماء فعلاً لهم عذراً في ذلك . انهم غير الزعماء في العصور الماضية . أين تشام وبرك ودانيال وبستر وتاليران وبسارك وذرأيلي ؟ »

وليس الغرض من هذا المقال المقابلة بين زعماء هذا العصر وزعماء العصر الماضي أو العصور الماضية ، بقصد الحكم لهؤلاء أو لهؤلاء . وانما القصد أن نبين ما طرأ من التغيير على احوال الزعامة والحكم في العصر الحديث مما جعل الزعماء في حال لا يحسدون عليها

فالتغيير الاول هو من الثبات والاستقرار الى التقلب في مناصب الحكم ، فالزعماء اليوم ، ينقلدون الحكم في الغالب بفعل المشيئة القومية المعبر عنها في المجالس النيابية ، وهذه تتقاذفها الآراء والاهواء ، فتتقلب وتنقلب غداً على زعيم اليوم ، او بعد غد على زعيم الغد . والتغيير الثاني من البساطة في المشكلات التي يعالجها الزعماء الى التعقيد . ولو أن احد اقطاب الماضي ، عاد اليوم الى مناصب الحكم ، لوجد امامه طائفة متنوعة معقدة من المشكلات الجنسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، يتعذر علاجها وحلّها باللسان الذرب والنطق الخلاب . علينا ان نذكر هذين الوجهين من وجوه التغيير اذا شئنا أن نصل الى حكم منصف في مقام اقطاب العالم اليوم من مشكلات عصرهم

في القرن الثامن عشر والقرن التاسع كان الزعماء يحسون انهم ليسوا باطيان عابرة على مسرح السياسة . فوشنطن وادمز وجفرسن وهملتن وفرنكلن وغيرهم من مؤسسي الجمهورية الاميركية ظلوا ذوي أثر عظيم في حياة أمتهم طوال حياتهم . وفي بريطانيا ظل بت Pitt الصغير حاكماً لبريطانيا خلال عشرين سنة من سني الحرب والسلم . ثم ان حياة ولنغتن وبامرستون وغلادستون العامة

انبطحت على نصف قرن من التاريخ البريطاني. وذررائي ظلّ زعيماً لحزب المحافظين البريطانيين بضعة عقود من السنين. كذلك كان شأن مترنيخ في فيينا وتاليران في باريس وبسمارك في برلين وقد انقضى حتى الآن، من القرن العشرين، ثلث حافل بأهمّات الحوادث، ومع ذلك نستطيع ان نتبين فيه، اربعة ادوار من الزعامة، خلف احدها الآخر ولكل دور رجال وزعماء يختلفون في الغالب، عن رجال الدور الآخر وزعمائه. فالدور الاول يشتمل على ١٤ سنة سابقة لنشوب الحرب الكبرى. ثم تليها ست سنوات هي سنو الحرب وعقد معاهدات السلام. ثم ثماني سنوات كانت سنوات الرخاء الموهوم. وتلتها سنو الازمة التي مازلنا نعانيها حتى الساعة

ان نشوب الحرب الكبرى، يجعل ما يعرف عن زعماء الامم قبلها وكأنه خاص بعصر آخر. فالجرب كانت حدّاً فاصلاً في كيان بعض الامم كألمانيا وروسيا والدولة العثمانية وامبراطورية النمسا والمجر. بل اننا نتذكر بجان هلفج الوزير الألماني صاحب القول بأن المعاهدة «قصاصة من الورق» وفيفياني بفصاحته الخلابه في باريس، واسكوت وجرابي بأساليهما السياسية المداورة في انكثرا وكأننا نتذكر رجال عهد بائد. كانت الزعامة حينئذ خاصة بطبقة من الطبقات، فلما وقعت الحرب أصبحت الزعامة فوضى لا ضابط لها ولا رابط. فنشأ خلال الحرب وبعيدها، رجال امثال كرنسكي في روسيا، ونورثكليف في بريطانيا، ودانونزيو في ايطاليا، وبيلاكون في المجر، كأنهم نيازك ظهرت فجأة في الفضاء ثم توارت بعد حين قصير

وفي الدور الثاني طلع علينا رجال وكأنهم افرغوا في قوالب الابطال، نذكر منهم ولسن وكليانصو واورلندو وقد ذهبوا جميعاً الى خالقهم. اما لويد جورج فقد انقضت عليه نحو عشر سنوات وهو منزوي، يظنه بعضهم امل الاحرار البريطانيين الوحيد، ويظنه البعض الآخر حجر الرجي في اعناقهم. وقل من يذكر ملتر — الا قليلاً في مصر — وبونارلو في انكثرا، وبوردن في كندا، وهيوز في استراليا فكأنهم كانوا اشباحاً عبرت ولم تترك وراءها أثراً. ثم اننا اذا نظرنا الى القواد وزعماء الحرب، رأينا انهم لم يتركوا وراءهم في الغالب الا مذكرات يحاولون ان يسوغوا بها اعمالهم وينقدوا اعمال خصومهم. كان عهد وكانت كلمة من جوفر وفوش وملتيكي الثاني ولودندورف وهيج وبرشنج تهز الدنيا، فأصبحنا اليوم واذا الحرب نفسها، صناعة هؤلاء الزعماء عمل غير شرعي في العرف الدولي — النظري على الاقل ! وليس بين قواد الحرب، من كان له اثر بعدها، الا بلسودسكي في بولونيا، ومصطفى كمال في تركيا، وهندنبرج في المانيا

وفي الدور الثالث، اتجهت العناية الى الترميم والاصلاح. فحاولت بعض الامم ان تحتفظ بزعمائها، فلم تتخل بريطانيا عن لويد جورج بعد الحرب رأساً بل ظلّ في الحكم حتى سنة ١٩٢٢ واصغت فرنسا الى بريان وبوانكاره، وظلت اليابان تقدس العرش والفتة الحاكمة من حوله ولكن الشعور العالمي — وكان في الغالب شعوراً باطنياً ومن هنا قوته وعنفه — كان ينطوي

على ان «العصر الجديد يقتضي رجالاً جديداً» فنشأ في كل بلاد زعماء ، ما كان احد يحلم قبيل ذلك بأنه يتاح لهم يوماً أن يصلوا الى مقدمة الصفوف ... من سمع بهاردنغ وكولدج في اميركا قبل سنة ١٩٢٠ وكيف تغلب ستانلي بلدين ، على الماركيز كرزون السياسي والمؤلف ، وأذكي من تولى منصب نائب الملك في الهند ، على ما يقولون ؟ كذلك منحت روسيا السلطة المطلقة لرجلين ، كانا مجهولين الا في دوائر الثورة ، هالنين وتروتسكي ، وتقلد رأسه الجمهورية في بولونيا موسيقي عالمي الشهرة هو بادروسكي ، وفي تشكوسلوا كيا استاذ جامعة هوماساريك ، وفي المانيا سروجي هو إيرت ، وعهد في مصر ايطاليا الى موسوليني وهو ابن حداد . كذلك اكتشفت الهند غاندي ، وارتفع الستار في مصر عن عظمة زغول ، ولمع في سهول الجزيرة وفوق صحاريها نجم ابن سعود ، وخرج رضاخان من صفوف الجيش الى عرش الاكسرة في ايران ، ومنخفضت الامة الالمانية الكليمة النفس — لشد ما بلتها به معاهدة فرساي — عن هتلر والحركة الاشتراكية الوطنية

ولقد احتفظ بعض هؤلاء بمكانتهم ولكن آية السياسة العالمية اليوم هي التقلب . فما تخلصت اسبانيا من قبضة بريمو ده ريفيرا ، حتى طردت الفونس وأنشأت جمهورية . ثم ان رومانيا استدعت ملكها المتنازل عن العرش — كارول — واقامته شبه دكتاتور

والغالب ان تتجه الامم الى الافعال دون الاقوال الآن . فما اخرج تروتسكي من روسيا حتى حوّل ستالين الحكم الروسي الى بيوروقراطية (طبقة حاكمة معينة) والمانيا بزعامه هتلر تقتفي خطوات ايطاليا الفاشستية ولكن على منوالها الخاص ، وبريطانيا اشركت زعيمها الاشتراكي مع المحافظين لانشاء حكومة فعّالة ، وانتخب الرئيس روزفلت لكي يخرج أميركا من الوهدة التي سقطت فيها ، وقد عهد اليه الكونغرس بسلطان واسع النطاق لم يعهد بمثله لرئيس اميري آخر من قبل في زمن السلم والتحول من دور الحكم الطويل الى دور الحكم القصير ، كان له اثر في احكام الزعماء أنفسهم . فبسمارك اذ كان يفاوض ، لم يجبل في خاطره شبهة ما في انه معرض للسقوط ، وانه قد يطرد من منصبه باكثرية يسيرة او كبيرة . لذلك كان يوجه كل عنايته الى الخطة السياسية التي يتبعها . فكان ينكح في مجامع الدول كمن له سلطان . ما أقل الزعماء في هذا العصر الذين يستطيعون ان يفعلوا هذا ! فارجع ولسن من اوربا . حتى رفضت أمته توقيع معاهدة فرساي والانتظام في جمعية الامم ، وكذلك في البلدان الاخرى . كانت الوزارات تؤلف وحل في مدى نهار وليلة . فاضطر الزعماء وهم يفاوضون ان يحسبوا حساباً للمنازعات السياسية كل في بلاده فأفضى هذا الى العقم والتردد في السياسة الدولية ثم اذا نظرنا الى المشكلات التي يعالجها الزعماء رأيناها معقدة كل التعقيد . فتعين الحدود ، يرتبط بالتاريخ الجغرافي والسلالة . وله كذلك صلة بالاقتصاد والتبادل والحوازج الجركية ، والشؤون الاقتصادية لا يمكن فصلها عن مسائل التسليح والحرب . والتسليح يتصل كل الصلة ، بأحوال

النفس والعقل، اتصاله بالمصلحة والتاريخ. كل هذه مشكلات ليست بالمشكلات السهلة. أنها تلخص في قولنا « ترميم الحضارة واعادة بنائها جديداً ». فالذكاء والالمية والشجاعة ليست الصفات الوحيدة التي يجب ان يتصف بها الزعماء، وبعض زعماء العالم الآن متصف بها في سعيه، وراء تحقيق هذه الاغراض العليا، بل يجب ان تواتيهم احوال العصر المضطربة لكي يصيبوا شيئاً من النجاح. ونحن اذا صبرنا قليلاً فقد نرى او قد يرى ابناءؤنا ان مساعيهم قد اسفرت عن شيء مما يرغبون

مشكلة الساعة

المانيا ونزع السلاح

ان خروج المانيا المفاجيء من مؤتمر نزع السلاح في ١٤ اكتوبر (١٩٣٣) وجه الافكار الى الاخطار العظيمة التي تنطوي عليها الحالة الاوربية الآن. ففرنسا تظل مسالمة راضية اذا هي استطاعت ان تحافظ على موقفها الراهن من ناحيته الجغرافية والسياسية. ولكن المانيا متبرمة وتبرمها يغذي فيها نزع الكفاح في سبيل ما تراه حقاً لها. وهذه النزعة مكبوحة الآن لان المانيا تدرك عجزها عن تحقيق اغراضها بالقوة. فالحالة اليوم تقتضي اتفاقاً على خفض السلاح، اكثر مما كانت تقتضيه في اي دور سابق من ادوار مؤتمر نزع السلاح وخروج المانيا من المؤتمر اقنع ولاية الامر بان الاتفاق على المسائل الفنية وحدها لا يكفي بل يجب ان يشمل العوامل الاساسية التي تبعث على القلق السائد لبر اوروبا

لما انقضى مؤتمر نزع السلاح في يوليو ١٩٣٣ ادرك المطلعون على سير الامور فيه انه لا يستطيع المضي في عمله الا اذا وصل الى نتائج عملية قبل فوات الاوان. وكان قد انقضى عليه سنة ونصف سنة، تخللتهما فترات من الراحة، ما زالت تطول كلما قامت العقبات السياسية في وجهه، حتى أصبحت تحصى بالشهور. وها هو ذا المؤتمر لم يجتمع بعد انقضاؤه في الصيف الماضي يقول بعضهم ان في الامكان المحافظة على السلم الاوربي بابقاء المفاوضات دائرة بين الدول في جنيف. وقد يكون في هذا القول نصيب من الصحة. والواقع انه ما زالت، المسائل التي يدور عليها البحث مسائل فنية مجردة، فالمضي في المفاوضات مستطاع، لا يخشى معه اي اصطدام خطير في الخطط الاساسية. ولكن لما تحولت المناقشة الى مسائل معينة، مثل عدد المدافع والطائرات والدبابات الذي يسمح به لاية دولة من الدول واطرزة هذه الاسلحة، بلغ المتفاوضون مأزقاً، لم يروا حتى الساعة سبيلاً الى الخروج منه. خذ مثلاً على ذلك الطائرات الحربية. فقد قضى الخبراء بضعة اسابيع يتناقشون في افضل السبل لتعيين درجات الطائرات. ايكون ذلك بقوة محركتها، او

بوزنها ، او بمساحة اجنتحتها ، او بجميع هؤلاء معاً ؟ وبدت في الحال طلائع الخلاف بين الآراء المتقابلة ، ولكن المتباحثين اجتنبوا الخوض في الشؤون السياسية ، فحى المؤتمر من مباحثاتهم حقائق فنية مفيدة . واذا كان الخبراء قد توصلوا الى شيء من الاتفاق على تعيين درجات الطيارات فالتباحثون الذي فوض اليهم تعيين عدد الطيارات لكل دولة من الدول لم يوفقوا مثل هذا التوفيق وكذلك ترى ان الناحية الفنية من الموضوع نالت نصيباً وافياً من البحث . ولكن الحكومات يعوزها الحزم في تعيين الخطط الاساسية التي تبغي ان تحتفظها

ولما اجتمع المؤتمر الاقتصادي العالمي في لندن (يونيو ١٩٣٣) تنفس الناس الصعداء قليلاً ، لان الافكار انصرفت عن العقبات التي اصطدم بها مؤتمر نزع السلاح ، الى البحث في شؤون العالم الاقتصادية . فلما اخفق مؤتمر لندن ادرك الناس ، ان الوصول الى اتفاق على نزع السلاح او خفضه ، اصبح ابعد منالاً مما كان . ففضى المستر هندرسن رئيس مؤتمر نزع السلاح عطلة الصيف متجولاً بين عواصم الدول الاوربية ، يسبر غور اصحاب الرأي فيها ، من دون ان يتوصل الى قاعدة ، يصح ان تجعل اساساً للاتفاق . وكان يوم ١٦ اكتوبر المعين ، لعودة المؤتمر الى الاجتماع ، قد اصبح على الابواب ، وبرنامج الموضوعات التي يتناولها المؤتمر لم يرتب بعد

في هذا الجو الملبّد ، بدأت المفاوضات تدور في اواخر سبتمبر واول اكتوبر (سنة ١٩٣٣) والحالة ما ذكرنا . دارت مباحثات في باريس وجنيف اشترك فيها الفرنسيون والبريطانيون والاميركيون اولاً ثم انضم اليهم الايطاليون والالمان ، واسفرت عن ان يعهد الى « لجنة تسيير المؤتمر » في وضع برنامج للعمل على اساس مشروع مكدونلد ، فكان ثم هذه اللجنة ، قبل كل شيء ، ان تحاول تقريب الشقة بين موقفي فرنسا والمانيا

وقد اشارت حكومة فرنسا ، بانها رغماً عن تطوّر الحال في المانيا تطوّر أيضاً يبعث على القلق ، مستعدة لان تخفض سلاحها . ذلك ان الميسو دالاديه رئيس وزراء فرنسا حينئذ ، ادرك الخطر الذي يسفر عنه حبوط مؤتمر نزع السلاح ، فحاول ان يسهل لوزير خارجية بريطانيا ، مهمته ، بكل ما يملكه من الوسائل . وكأنه فهم حينئذ ، ان اقامة « ضمان السلامة » على الاساس الذي تطلبه فرنسا ، وهو انشاء جيش دولي ومعاهدات التعاون المتبادل متعذر ، فوافق على ان ينصّ اتفاق نزع السلاح على تعيين لجان مهمتها ان تزور البلدان المختلفة وتشرف على مدى صنع الاسلحة فيها — وهذا يعرف الآن بمبدأ الرقابة الدولية — لانه اذا كانت فرنسا تستطيع ان تطمئن الى ان المانيا لا تتسلّح وراء ستار ، فقد تجد الحكومة الفرنسية المسوّغ الذي يمكنها من نقص سلاحها نقصاً تدريجياً في خلال مدة معينة . اما ان يطلب منها ان تنقص سلاحها فوراً فذلك متعذر . بل هي تشترط ان لا تبدأ نقص سلاحها ، الا بعد انشاء لجان الرقابة والتثبت من حسن قيامها بعملها وتحويل الجيوش الاوربية ،

الى جيوش رديف Militia وهذا يعني ان جيش الريخسفير الالماني — عدده ١٠٠٠٠٠ جندي — المدرب تدريباً عسكرياً يجعل كل جندي فيه بمثابة ضابط ، يجب ان يحول الى جيش مؤلف من ٢٠٠٠٠٠ جندي رديف تكون مدة خدمته العسكرية قصيرة . وكذلك اتفق على انه يحق لالمانيا في خلال مدة الاتفاق ، ان تبني عدداً — يعين فيما بعد — من اطرزة الاسلحة المختلفة التي لا تتفق الدول على الغائها قبل انتهاء مدة الاتفاق . وذهب الفرنسيون الى انه لا يحق للامان ان يشرعوا في صنع هذه الاسلحة ، الا بعد فترة تجربة طولها اربع سنوات ، تقوم في خلالها لجان المراقبة بعملها ، وتحول الجيوش على الاساس المتقدم ذكره

طلبت المانيا في بدء المفاوضات ان يعترف لها بحقوقها في ان تملك حلاً نماذج من اصناف الاسلحة التي لا تتفق الدول على الغائها ، ومن هذه الاسلحة ما كان محظوراً على المانيا بمقتضى معاهدة فرساي ، كالتطارات الحربية . فكان هذا الطلب عقبة خطيرة ، ولكن تخطيها بالمفاوضة لم يكن مستحيلاً لان الدول المتفاوضة كانت قد سلمت بالاعتراف لالمانيا بمبدأ المساواة في اصناف الاسلحة المختلفة في خلال مدة «معاهدة السلاح» وعلى كل حال لا بد ان يستغرق صنع هذه الاسلحة فترة من الزمن اذا كانت المانيا لم تتسلح سرّاً كما كان يقال

كان المندوبون البريطانيون والايطياليون معنيين في اوائل اكتوبر بالبحث عن قاعدة تقرب بين المانيا وفرنسا . فدفعوا الى الوفد الالماني بملخص بيان كانوا يحاولون استيفاء تفصيلاته ، ووجهوا الى الوفد الالماني ، بعض اسئلة شفوية ، فعاد البارون فون نويراث الى برلين ليرى رأي حكومته في الامر ، وبعد بضعة ايام ارسل الالمان مذكرة مفصلة الى روما ولندن بسط فيها موقف المانيا . وهذه المذكرة لم تنشر ، ولكن جريدة « الايكوده پاري » نشرت ملخصاً للمذكرة ليس ثمة ما يدعو الى الشك في دقته . واهم ما فيه ان الحكومة الالمانية ، ترفض ان تسلم بفترة التجربة وانها مستعدة لتحويل الريخسفير الى جيش قصير الخدمة . ثم ان المذكرة تشير الى ان المشروع البريطاني يذكر ثلاثة اصناف من الاسلحة هي الاسلحة التي تمنع او تلغى في المستقبل . والاسلحة التي تقيّد بقيود . والاسلحة التي لا تقيّد بقيود ما . اما المانيا فتسلم بالغاء اي صنف من الاسلحة اذا كان الالغاء عامّاً شاملاً . بل هي تتنازل عن طلب التسلح باسلحة تملكها الدول الاخرى الآن اذا تعهدت تلك الدول بتدميرها في خلال فترة لا تتعدى مدى المعاهدة ، وتشترط ان تمنع هذه الاسلحة في المستقبل . اما الصنف الثاني من الاسلحة ، وهو الصنف الذي ينتظر تقييده من حيث النوع والمقدار فطلبت المانيا في مذكرتها ان تعرف في اول فرصة المقترحات الخاصة بهذا التقييد ، ثم قالت انه يحق لها ان تملك الاسلحة التي تملكها الدول الاخرى ، وهي مستعدة ان تخضع للقيود التي يتفق عليها . اما الاسلحة التي لا تقيّد بقيود ما ، فلما نيا ترى انه ما زالت الامم الاخرى غير خاضعة لقيود ما في هذا

الصف من الاسلحة ، فلما نيا يجب ان تكون كذلك مطلقة من اي قيد . فاذا اريد في المستقبل نقص هذه الاسلحة المقيدة بقيود ، فلما نيا مستعدة لنقصها على اساس من المساواة مع الدول الاخرى

هذا الموقف الذي وقفته المانيا لم يحز قبولا من حكومتى فرنسا وانكلترا لاصرار المانيا فيه على زيادة سلاحها . ولهذا السبب عينه لم يحز قبولا عند حكومة الولايات المتحدة الاميركية . ولكن باب المفاوضات لم يقفل ، فضى المندوبون في بحثهم ومحاولتهم اعداد البرنامج لعرضه على جلسة المؤتمر العامة في ١٦ اكتوبر ، رغم سفر المندوب الالماني من جنيف بدعوة من حكومته للتفاوض معه . وبذل كل سعي ، للوصول الى قاعدة ساعية ، لا يسلم بها بطلب المانيا ان تزيد سلاحها ، ولكنها تمهد السبيل لتحقيق مبدأ المساواة الذي تصر عليه المانيا ، مع ابقاء الباب مفتوحا لمفاوضات تالية ، ينظر فيها في بعض النقاط الاخرى التي في البيان الالماني . هذا هو البرنامج الذي عرضه السرجون سيمون على « لجنة تسيير المؤتمر » يوم ١٤ اكتوبر . ولما كان المستر نورمن دايش معارضا من البدء ، في تسليح المانيا (كان رأيه ان ينقص سلاح الدول الاخرى رويدا رويدا حتى تتحقق المساواة) وافق على البيان الذي قدمه السرجون سيمون ، وكذلك وافق عليه پول بونكور - وزير خارجية فرنسا - ورئيس الوفد الايطالي

في الساعة التي كان السرجون سيمون يلقي بيانه هذا على « لجنة تسيير المؤتمر » في جنيف كانت المانيا ، تستعد لاذاعة بيانها بخروجها من مؤتمر نزع السلاح وهجرها لجمعية الامم . والواقع ان الصحف العالمية التي صدرت يوم السبت في ١٤ اكتوبر ، نشرت في اعمدة متحاذية ، نبأ بيان السرجون سيمون ، ونبأ خروج المانيا من المؤتمر والجمعية

يتعذر على من تتبع سير الحوادث ان يصدق ان بيان السرجون سيمون كان الباعث على خروج المانيا من المؤتمر فانه لم تمض الا دقائق معدودات على وصول نبأ الاجتماع الذي القى فيه السرجون سيمون بيانه الى برلين ، حتى اذاعت حكومة الرنخ قرار انسحابها من المؤتمر . واذن يضطر الباحث ان يذهب الى ان المانيا ، كانت قد اقرت الخطوة التي جرت عليها ، قبل ذلك ، لانها رأت في المباحثات والمخادعات التمهيدية ، ان الدول لن تسلم بموقفها او بمطالبها جميعا . والواقع ان البرقية الرسمية التي بعثت بها الحكومة الالمانية الى المؤتمر تعلنه بانسحابها ، مبنية على نظرة عامة لعمل المؤتمر ، وعجزه عن تحقيق غرضه وان الدول المسلحة ترفض ان تنزع سلاحها ، وان مطالبة المانيا بالمساواة لن يسلم بها وليس لنا الا ان نتخيل ما وقع في المانيا قبل اتخاذها هذا القرار . ذلك ان تغييرا كان قد طرأ على موقف المانيا ، في بضعة الاسابيع السابقة لانسحابها من المؤتمر ، فتبدلت رغبتها في المفاوضات بمحاولتها ان تتلمس المعاذير التي تسوغ لها الانسحاب منه . فما الباعث على ذلك ؟ لما ارسل الرئيس

روزقلت رسالته المشهورة الى المؤتمر الاقتصادي العالمي ، في ٣ يوليو ١٩٣٣ ، وصدم بها المؤتمر ، قال بعضهم ان هذه الرسالة تنفي بتحول او انقلاب في سياسة الرئيس . والراجح انها لم تمن ذلك على الاطلاق . ذلك ان الرئيس ، عبر في رسالته عن النتائج الدولية ، لخطط القومية التي يسير عليها في بلاده . وما فعله الرئيس ، هو ما فعلته المانيا في اكتوبر ، على ما نظن ، اوها من قبيل واحد

كان الحزب الاشتراكي الوطني ، وحكومة هتلر ، قد بنوا نداءهم الى الشعب الالماني ، على وعدم يبذل كل ما يبذل لانتقاذ الشعب الالماني من اعباء معاهدة فرساي ، واستعادة مكانة المانيا بين الامم ، فتصير هي وغيرها سواء بسواء . وليس بعيداً عن المعقول ، ان هتلر رأى ، ان عقد اتفاق لنزع السلاح ، لا بد ان يعني بقاء المانيا ، في حالتها الراهنة السياسية والجغرافية مدة ذلك الاتفاق ولو سلم لالمانيا ببعض التبدل في جيشها وسلاحها . وعقد اتفاق من هذا القبيل يسلب المانيا السلاح الذي تكافح به في سبيل احداث التغيير الذي تطلبه — وهو سلاح التهديد بالسلح . وقد رأت ألمانيا انه ليس من الحكمة ، التخلي عن هذا السلاح القوي الذي بيدها ، لقاء نقص يسير في سلاح الدول الاخرى وزيادة يسيرة في سلاحها . فاذا سلمنا بصحة هذا الرأي فالراجح ان ما قاله السر جون سيمون في جنيف يوم ١٤ اكتوبر لا قدّم ولا أخر في موقف المانيا وقرارها

ان خروج المانيا من مؤتمر نزع السلاح وجمعية الامم يشير الى تقمّتها على معاهدة فرساي ، ويعني رفضها ان تفاوض في جنيف مندوبي خمسين امة ، في مسائل ترى انها تهمها وتهم جاراتها بوجه خاص ، وهي مسائل لا يمكن حلّها الا بالمفاوضة في دائرة خاصة من الدول التي يعينها هذا الامر ومن العبث ان نحاول توزيع اللوم على هذه النتيجة التي وصلت اليها مفاوضات نزع السلاح . فلو ان البيان الذي اعدّه السر جون سيمون بعد مفاوضات طويلة ، والقاه في جنيف في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٣ اعدّ قبل ذلك ، وقدم الى الحكومة الالمانية التي يرئسها الدكتور بروينغ ، لكانت المانيا قبلته وحسبته نصراً لها . ولو ان مؤتمر نزع السلاح وصل قبل سنتين الى النتائج التي وصل اليها في اكتوبر سنة ١٩٣٣ لكان تاريخ السنتين الاخيرتين في السياسة الاوربية غير ما هو . ولكن الذي وقع وقع ، ورجال السياسة ، في الغالب ، بطيئون متمهلون ، لا يماشون التحول السريع في سير الزمان

فاذا وقع المحذور ، دهش له حتى اكثر الناس اتصالاً بسير الامور . ان معاهدة فرساي زرعت بزور الخصاص والمرارة في اوربا المتوسطة . ثم جاء التضخم المالي في المانيا ، فقضى على الطبقة المتوسطة من الشعب ، التي تؤيد في الغالب النهج المعتدل . ولكن الثورة في المانيا جمعت زخماً اذ كانت فرنسا ، لا تزال مترددة في الخطوة التي تنهجها ، فاما اشتدت الازمة العالمية ، استفحل الميل الى

الانقلاب ، في نواحي الحياة السياسية والاقتصادية ، في المانيا وغيرها من الامم كانت المانيا قد انتظرت اربع عشرة سنة ، لتحقيق العهد الذي قطع في معاهدة فرساي ، وهو ان نزع سلاح المانيا ليس الا توطئة لنزع سلاح الدول الظافرة . ومن العبث ان نبحت الآن ، في هل هذا العهد كان عهداً اديبياً او عهداً قانونياً يجب تنفيذه . حتى اذا سلمنا بان العهد كان اديبياً لا غير ، فليس ثمة ريب في ان احترامه كان واجباً . ومما يرتاب فيه ان خفض السلاح الذي تم بعد الحرب الكبرى حقق هذا العهد . نعم ان الدول البحرية الكبرى قد خفضت اساطيلها ، وان فرنسا حوّلت مدة الخدمة في جيشها من ثلاث سنوات الى سنة واحدة ، وذلك من تلقاء نفسها . ومع ذلك فلا سبيل الى انكار ان جارات المانيا ، متفوقة عليها تفوقاً كبيراً في قواها الحربية . وقد قيل للشعب الالمانى ، ان هذا التفوق ترك المانيا ، في حالة لا تستطيع معها الدفاع عن نفسها . فكان لهذا القول اقوى الأثر ، في احداث ثورة النفس الالمانية التي افضت الى سلسلة الحوادث التي بسطناها . والالمان الآن اذ يشيرون الى عدم مساواتهم بالدول الاخرى ، يعنون في الغالب ، تخلفهم عن تلك الامم في قوتهم الحربية

ضع نفسك ايها القارئ مكان الالمانى او مكان الفرنسي ، تجد انك تستطيع ان تقيم الحجة لموقف الاثنين . فالفرنسي يرى ان نزع سلاحه ، وحالة المانيا النفسية ما هي الآن ، مخاطرة كبيرة . اما الالمانى ، فلن يستقر ما زال يحس أنه لا يملك القوة اللازمة للدفاع عن نفسه ، اذا هوجم . والموقفان سليمان من الناحية المنطقية ، مع ان كلتا فرنسا و المانيا ، تعترف بان المسائل المتعلقة بين البلدين ، اذا استثنينا مسائل نزع السلاح ، لا تبعث على القلق ، اذا نظر الى العلاقة بينهما ، مجردة عن اشتباك المصالح الاوروبية الاخرى . ولكن هذه النظرة المجردة غير مستطاعة ، لان لالمانيا حدوداً غير المحدود بينها وبين فرنسا ، وفرنسا وايطاليا تريان ان لهما عند هذه الحدود مصالح حيوية استطاعت اوربا ان تحتفظ بمواد معاهدة فرساي حتى الآن ، لان الدول الظافرة التي املت هذه المعاهدة ، متفوقة تفوقاً حريصاً كبيراً على الدول المغلوبة . والاحتفاظ بها يظل ممكناً اذا ظلت الدول الظافرة متفوقة من الناحية الحربية . فكل اتفاق على نزع السلاح ، يقضي على هذا التفوق ، يكون في نظر فرنسا ، خطوة نحو الغاء معاهدة فرساي ، واذاً يكون اتفاقاً لا تقبله فرنسا وحلفاؤها - ولعل ايطاليا وانكلترا لا تقبلانه كذلك . وكل اتفاق على نزع السلاح ، يترك المانيا في مقام ثانوي من ناحية التسليح لا يقبله الالمان . فاذا شاعت اوربا ان تحل مشكلاتها القائمة الآن فهي تحتاج الى مؤتمر سلام جديد تكون فيه مسألة نزع السلاح احد الموضوعات التي يعالجها . واذا كانت المانيا مقتنعة بان حل المشكلات السياسية والجغرافية القائمة بينها وبين جاراتها يجب ان يكون بالفاوضة السامية ، لا بالقوة ، وكانت الدول الظافرة مستعدة ان تلاقها عند منتصف الطريق ،

فالوصول الى اتفاق على نزع السلاح لا يزال ممكناً. ولكن الاوان لم يثن بعد ، اذ تستطيع الدول التي تعنيها هذه الامور ، ان تواجه الحالة بحزم واخلاص . وقد لا تستطيع ان تواجهها كذلك الا وقد سبق السيف العذل . فاذا لم تُحل المشكلة قبل ان تتسلح المانيا ، فاوربا سائرة لا ريب ، على الطريق المفضي الى حرب طاحنة ، الا اذا قررت جارات المانيا ، ان تحارب المانيا قبل تسليحها ، وتبش بها قبل ان تشدد وعندئذ تكون قد اجلت الحل المعقول عشرين سنة الى ثلاثين

وقد كان لخروج المانيا من مؤتمر نزع السلاح ، اثر خطير ، في الخطة التي جرت عليها الحكومة الاميركية في نزع السلاح . كانت حكومة الولايات المتحدة ، حتى منتصف اكتوبر الماضي ، قد تعاونت مع سائر الامم ، في البحث ، عن اساس فني technical للوصول الى قاعدة تصلح ان تكون اساساً لخفض السلاح وكذلك قدمت المسائل الفنية على المشكلات السياسية . فكان نزع السلاح ، غرضاً يطلب لذاته . وكان المستر نورمن دايفس قد سار شوطاً بعيداً في تحقيق خطة المستر روزفلت والمستر هوفر من قبله ، وهي خفض المتبادل في الاسلحة والجيوش ، وبوجه خاص الغاء المدافع الضخمة والدبابات الثقيلة الوزن وما من قبيلها مما يطلق عليه اسم « اسلحة الهجوم » . وارتبط ذلك التقدم بابتداع ، مبدأ الرقابة الدولية . لكي تحس الامم المحلصة في تنفيذ عهودها ان الدول الاخرى لا تتسلح سراً . فكان لكل ذلك اثر في احداث تعديل يسير في موقف فرنسا ، التي كانت لا ترضى من قبل ان تخفض سلاحها ، الا اذا ضمنت سلامتها ، بمحالفات دفاعية ، وهو ما لم ترض به الولايات المتحدة ولا الامبراطورية البريطانية

وكان الامل كبيراً في الوصول الى اتفاق معقول على هذا الاساس ، ما زالت المانيا راضية ، بأن تحقق طلب المساواة تحقيقاً متدرجاً عن طريق خفض سلاح الدول المتسلحة رويداً رويداً . اما بعد انسحابها من المؤتمر لانها لا ترضى بفترة التجربة ، وتطالب بحيازتها في الحال نماذج من الاسلحة التي لا يتم الاتفاق على الغائها شاملاً (وهو مطلب منطقي معقول) — فقد تحول موضوع نزع السلاح ، وصار يتعين على جارات المانيا ان تنظر في النهج الذي تسير عليه ، لا من حيث علاقته ، باتفاق عالمي على خفض السلاح او نزع ، بل من حيث علاقته ، بموضوع تسليح المانيا خاصة . وهذا ما لا تستطيع حكومة الولايات المتحدة الاميركية ان تشترك في بحثه ، لان على الدول الاوربية ان تقرر اولاً ، هل تترك موضوع التسليح للمقادير ، او تشهر على المانيا حرباً واقية ، او تقترح على المانيا مقترحات جديدة غرضها الوصول الى اتفاق . فاذا كان الامر الثالث ، فعندئذ تستطيع حكومة الولايات المتحدة الاميركية ان تستأنف اشتراكها مع حكومات الامم الاخرى في البحث عن افضل السبل الى وضع الاتفاق المنشود

[بتصرف قليل عن مجلة الشؤون الخارجية للمستر دوليس العضو الاميركي في اللجنة التهديدية

لمؤتمر نزع السلاح ١٩٢٦]

الانذار الثالث

لارثر شنتزل الكاتب النمساوي

« وعندهُ مفاتيحُ الغيب لا يعلمُها إلا هو ويعلمُ ما في
البرِّ والبحرِ وما تسقطُ من رفته إلا يعلمُها ولا حَبَّةٌ في
ظلماتِ الأرض ولا رطبٍ ولا يابس إلا في كتابٍ مبين »
سورة الانعام : ٥٩

خرج الفتى والضباب يحجب وجه النهار إلا فتوقاً تنفذ معها اللمحات الى عنان السماء
الزرقاء، وسار يطوي الأرض الى الجبال وقد خُيِّلَ اليه أنها تناديه ، وكان قلبه كأنما
يرقص بين جنبيه على نغم الطبيعة المنسجم، فسار في السهول خليلاً لا يكبو به همٌ فيما مضى
او فكر فيما يستقبل ، فلما اشرف على طرف الغابة ابتدر سمعه دويٌّ صوت فيه خفاء
البعيد ومسُّ القريب فسمع نبأ خافتة توحى اليه
— لا تخترق الغابة ، يا فتى ، إلا اذا سرَّك ان تكون قاتلاً

فوقفت الفتى ذاهلاً يتلفت ، فلما لم يجد حياً ولا ناطقاً ذهب به الظنُّ الى ان الجن
كانت تحدُّه وتهتف به ، ولكنه لم يعبأ بذلك لما جُسِّلَ عليه من الجرأة والثبات فضى
لا يلوي على شيء الا انه وضع من سرعة سيره — اذ استيقظت فيه غزيرة الاحتراس
فكان يستعدُّ للقاء ذلك العدو المجهول الذي اندره لم يلق الفتى احداً في سيره ، ولا
سمع صوتاً يقذف في روعه بالريبة حتى نفذ من ظلال الاشجار الى الفضاء الرحب وهناك
في برد الظلال ألقى العصا وجلس يستجم ويستريح واستقرَّ ببصره على المروج الفيحاء
الممتدة الى سفوح الجبال ، وقد نهدت بين هذه السفوح قمة شاذة جرداء ناتئة الاضراس
وكانت هي الهدف الذي يرمي باشواقه اليه

لبث هنالك ما شاء ، وما كاد ينهض حتى سمع نائمة صوت كأنه قريب بعيد معاً يوحى
اليه في جدِّ وحرارة

— لا تخترق المروج ، يا فتى ، الا اذا سرَّك ان تجلب الدمار على وطنك
وكان ما بين جنبه من الكبرياء والتعجُّم أبى عليه ان يعبأ بهذا النذير ، فابتسم لهذه
الترهات الباطلة التي يوحى اليه بها الهوا ، وكأنها تنطوي على أمر ذي بال ، واسرع

الفتى يتدفق في سيره ، وما يدري أيستحقه القلق أم يستغزّه الجزع ، فلما بلغ مواطىء ذلك العملاق الصخري الذي رمى اليه بنفسه كان الليل قد أرخى ستوره على المرج . وما كاد الفتى يطأ الصخر حتى راعه ذلك الصوت القريب البعيد ، يقول في تهديد غامض

— على رسلك ايها الفتى والا لقيت الحتف

فقهقه الفتى ثم مضى مسرعاً لا يتردد ، وكان كلما استوعرت مسالكه ومطالعه امتلاء صدره بهواء الجبل اللطيف ، فلما بلغ القمة كان نور الشفق يتلألأ على هامته

« ها أنذا » يرسلها بصوت الظافر « ان يكن هذا امتحاناً منك ايها الروح الصالحة

— او ايها الروح الشريرة — فها أنا قد فزت وبلغت لم ارتكب جريمة قتل تلوث قلبي

اوضميري ، وها هو وطني ينام في ظلال الامن والعزة ، واما انا ايها الروح — فما زلت حياً

ينبض قلبي بالحياة ... فكن لمن تشاء ايها الصوت فأنا اقوى ممن ارسلك اذ لم أومن بك

ولقد احسنت . واذا بصوت كقاصف الرعد يجلجل من جوانب السماء ، وكأن قصفه في اذنيه

— اخطأت يا فتى اخطأت

وقعت هذه الكلمات ثقيلة عليه فلم يطق حملها ، واستلقى على حافة الجبل ليجد مس

الراحة واخذ يجمعهم بهذه الكلمات ، وقد لوى شفته ساخراً

— أتراني قد اقترفت جريمة قتل ولا علم لي بما جنيت !! فدوى الصوت

— ان قدمك الغافلة قد ازهقت روح دودة من دود الارض

فأجاب الفتى مستخففاً ساخراً — الآن فهمت ، فليس النذير من الارواح الصالحة او

الشريرة وانما هي روح متهمكة ساخرة تستروح الهزل ، وما كنت اعلم ان مثلها ممن يطوف

بنا نحن ابناء الموت فدوى الصوت اخرى على مزق الشفق المتهدلة على الافق

— ألسنت انت ذلك الفتى الذي كان يطوي الارض هذا الصباح ؟ ألم يكن قلبك يرقص

بين جنبيك على نغم الطبيعة المنسجم ؟ ، فالآن أترى قلبك استحجر فلم يعد يهزه حزن

شيء او فرحه . . ، وان كان دودة من دود الارض

— « أهنا غُرّت ؟ » يقولها وقد تغصن جبينه . « ان يكن ذلك فأنا مجرم بل مجرم

يحمل اوزار الف جرم ، ومثلي في ذلك مثل سائر البشر أبناء الموت الذين يطؤون باقدامهم

الغافلة احياء لا تعد فيزهقون بذلك ارواحها

— وأنت قد حذرت عاقبة ما اجترحت من الخطيئة ، فهل تدري ماذا تقع هذه

الدودة التي قتلت من نظام الكون . خفى الفتى رأسه وقال

— لما كنت لا اعلم موقعها من نظام الكون ، ولا استطيع ان اعلم ذلك ، كانت

الجريمة واقعة ولا شك . فأنا في تجوالي قد اقترفت هذه الجريمة وهي واحدة من عدة جرائم اجترحتها... كنت تستطيع ان تحذرنى عاقبتها ، ولكن كيف يكون اجتيازي ذلك المرج ، كما تقول ، سبباً في جلب الدمار على وطني . هذا ما أريد ان تخبرني بأمره فقال الهاتف — هل تذكر تلك الفراشة الزاهية الالوان التي رفرت بأجنحتها من عن يمينك . فقال الفتى — رأيت فراشاً كثيراً غير التي ذكرت

— أجل ! فراشاً كثيراً ، ان أنفاسك حدث بهذا الفراش عن طريقه ، غير ان الفراشة التي أعني ، ذهبت ناحية الشرق ، وحملتها الريح حتى بلغت سياجاً ذهبياً يحيط بالحديقة الملكية في وطنك ، فستلك تلك الفراشة ويخرج من ولدها أسروع^(١) ، في يوم من ايام الصيف المقبل ، يزحف هذا الاسروع حتى يقع على عنق الملكة البض فيوقظها من نومها مذعورة تنتفض حتى يسكت قلبها عن النبض ، وتموت وفي احشائها ثمرة الحياة من الولد . وكذلك يا فتى ، يرث اخو الملك العرش وقد فقد الوارث من الولد الذي ازهقت انت روحه قبل ان يولد ، وأخو الملك هذا ظالم مستبد جائر... فسيحكم بحجوره حتى يحل بشعبه البؤس والشقاء ، ثم يحاول بعد ذلك ان يخلص نفسه فيخوض بالبلاد غمرة حرب آكلة تجلب على الوطن الدمار.... وما من ملوم غيرك ، أنت وحدك ، يا من ذهبت انفاسه بالفراشة الى المشرق فطارت فوق المرج حتى اجتازت ذلك السياج الذهبي الى حديقة الملك فهز الفتى كتفيه استخفافاً وسخرية ثم قال :

— ايها الهاتف الخفي ، كيف لي ان انكر كل ما تنبأ به . لا ، ما زالت الاحداث يستتبع بعضها بعضاً في هذه الدنيا ، .. ومن ادنا الاسباب تخرج أجل الاحداث ، ومن أجل الاسباب تخرج اهون الاحداث !! كيف اصدق هذه النبوءة وما زالت ثالثة نبوءاتك لم تتحقق ، وهي التي توعدني بالموت إذا أنا ركب هذا الجبل

فدوى الهاتف النذير « ان من ركب الجبل وجب عليه ان يهبط منه من حيث صعد فيه اذا ابتغى ان يعود الى الحياة الانسانية مرة اخرى ، فهل فكرت في ذلك يا فتى ؟

فوقف الفتى ساعة وكاد يستقر رأيه على ان يسلك السبيل الذي ينجيه الى سفح الجبل ولكنه خشى الليل المكفهر الذي يكتنفه وادرك ان الاخطار التي تحف به في التصويب من الجبل لا يكشفها عنه الا ضوء النهار وذلك لكي يحشد قوة فكره في تصويبه ولا يبعثرها في ظلام الليل... لم يجد الفتى بداً من ان يستلقي على الحافة الضيقة فاستلقى لا يهم بحراك ، يستجلب بذلك النوم الذي ينشئ في بدنه القوة ، الا ان الفكر فيما هو فيه كان

(١) واحد الاساريع وهي دود حر الرؤوس بيض الاجساد تنسلخ فتصير فراشة

يطرد عنه النوم. ففتح الفتى جفونه المتعبة ، وأحس بقشعريرة تمشي في عروقه ورعدة تدب في ظهره . وكانت الهوة ماثلة بين عينيه ، وطريقها هو الطريق الفرد الى الحياة . كان هذا الفتى قبل هذه الساعة ، فتى رابط الجأش راسخ القدم جريئاً ، اما الآن فقد انقلبت رابطة الجأش الى رمية تنسل الى قلبه فتفت من جرأته وتزول من قدميه فكان ذلك سبباً في آلام لم يستطع تحملها ، فعزم لساعته ان يحاول ما لا بد له منه ، فلا يبقى في عذاب من القلق والحيرة والاضطراب منتظراً اضواء النهار . نهض الفتى وهو يعد نفسه للمغامرة غير منتظر نجدة ضوء النهار ، نهض متحفزاً ليغلب خطر السبيل ويظهر عليه .. نهض ولكن كانت خطواته متزلزلة تتمتع !! فما كاد ينقل قدمه في ظلمة الليل حتى توثق من ان حقه حتم لا يرد ، وان منيته قضاء مبهم . فصاح مغيضاً محنقاً

— ايها الهاتف الخفي ، يا من انذرتني ثلاثاً ولكنني كذبتة وأبيت ان اسمع له ، ايها الهاتف الذي اخشع له كما يخشع الضرع لمن هو اقوى منه ، حدثني قبل ان انكب على موارد الهلاك ... وخبرني من انت ؟

فدوى الصوت وما يدري الفتى اهو يدوي في اذنيه ام في جنبات الفضاء المترامية — لم يعرفني الى يومي هذا أحد من ابناء الموت ، والاسماء متعددة فمن آمن بالغيب سماني « القدر » ، ومن آمن بحماقاته سماني « الحظ » ، والمؤمنون يقولون « هو الله » ، اما الحكماء فيقولون « هو القوة التي كانت في البدء وسوف تكون سرمداً بلا نهاية الى الابد » فصاح الفتى وقد قذف الموت في قلبه جنون الحياة

اذاً فأنا ابرأ منك في ساعة النفس الاخير من الحياة ... اذا كنت كما يقولون — القوة التي كانت في البدء وسوف تكون سرمداً بلا نهاية الى الابد ، فقد كان من قدرتي ان يقع ما وقع ان اخترق الغابة فاجترم خطيئة القتل ، وان اجتاز المرج فأجلب الدمار على وطني ، وان اصعد في هذا الجبل الشامخ لاستقبل الموت ، وكل هذا بعد تحذيرك اياي وانذارك فإمسا كنت تعلم ان انذارك لن يردني عما كنت فيه ، فلماذا اسمعتني كلامك وكلمتي ثلاثاً .. لماذا لماذا .. يا للسخرية. ألا فأخبرني في هذه الساعة المتصصرة

الاخيرة وانا مضطرب ان لا التي سؤالي الا اليك ! لماذا .. لماذا ... !!

فكان الجواب الساخر القاسي ، قهقهة قاصفة تُطيف بمعانها الاسرار ، ودوت اصداؤها في جنبات السموات التي لا ترى . وحاول الفتى ان يتلقف الكلمات في قصف الضحك الا ان الارض غالت به وكان قد انخسفت من تحت قدميه ، فهوى كما يهوى في اعماق لا غور لها الى ليل الزمان الذي كان وسوف يظل ابداً في مبدأ الاحداث ونهايتها

[افرغها في القلب العربي محمود محمد شاكر]

الابحان

قصيدة لالفونس دي لامرتين

ايها العدم ! ايها الهاوية الصامتة الي خرجت منها ، وسأعود اليها ! لماذا تركت
المرء يفلت منك ؟ فقد كنت انام في احضانك نوماً عميقاً ، لا تُزعجه أحلام ، ولا
تخيفه يقظة ، نوماً هنيئاً وانا ملتحفٌ بالنسيان الابدي في ازلية اللانهاية ، دون ان ترى
عيناى هذا النهار الزائف الذي امقُتته ، وهذه الحياة التي لا أجد فيها غير شقاء
يتكدس فوق شقاء ، والتعاسة تزحم التعاسة

لقد شئت الاقدار ان آتي الى هذا الوجود ، ولو خُيرتُ لآثرتُ البقاء في
غياهب العدم ، ولكن أنى للانسان أن يُؤبه رأيه ، فقد حُكم عليه ان يرى
الحياة ، ولا مردَّ لحكم القضاء

فما ذلك الشفق البادي لأول مرة ؟ وتلك الليقظة المضطربة ، يقظة المخلوق الذي
يجهل نفسه ، وهذا القضاء الممتد امامه ، وهذه النظرات العميقة ، التي يُلقىها الانسان
مسائلاً السماوات ، وهذا الافتتان المُبهم ، والأمل الذي يملأ الجوانح ؟ . . . كل
هذا يبهرُ بصره ، وهو لم يزلْ بعد على عتبة الوجود ، وفي فجر الحياة
سلاماً ايها المقرُّ الجديد حيث ألقاني الزمن ، سلاماً ايها الكثرة الشاهدة ما ينبغي
لي المقدورُ بين طبيّات الغيب ، سلاماً ايها المصباح المقدس المغذي للطبيعة ، وايها
الشمس الحبيبة الاولى لكل كائن حي ، سلاماً ايها السماء الحاجبة وجه الخالق العظيم ،
وانت ايها الارض مهد الانسان ، لانت قصر مُنـيـف يقضي فيه الانسان حياته الفانية
ثم ينحلُّ غلافه الى ذرّات تندمج في ذراتك

سلاماً ايها الانسان الآتي الى هذا العالم الفاني على كرهٍ منك ، انك خدّيتني واخي
وانت ايها الكائنات ، يا اداة سعادي وهنائي ، اذا كان ثم هناء وسعادة في هذا الوجود
سيُري في الطريق الذي خُطَّ لك ، غير عابئة بقلب يتألم ، وآمال تتحطّم ، فقد اضفت
بمجيئي اليك ، فوئاداً الى تلك الافئدة الكسيرة ، وقلباً الى تلك القلوب المنسحقة

انه لحُلمٌ لذيذ ، يستأثر اللب ، ويستهوِي المشاعر . ولكنه واسفاه ! لم يخرج عن
كونه حلماً ، فقد بدأ قريباً وانتهى وشيكاً ، لان الآلام المُبرّحة فتحت لي قبل الاوان
ابواب القبر الذي يتطلّع اليّ ويدعوني ، فسلاماً يا يومي الاخير ، كن لي أجلاً يوم
اكتحلّت به عيناى في رحلتى الارضية

لقد عشتُ ، لقد قطعتُ مفازةَ هذه الحياة ، حيث تذبل دائماً تحت قدمي ، كل زهرة من أزاهير الهناءة ، حيث دائماً الأمل يُخدع الأملاني ، مظهرآ لي السعادة في أفق خافق مضطرب ، حيث انقاس الموت الحارّة تجفف تحت شفتي ، كل ينباع العذبة الباردة أرى غيري يذوب حسرة على ما ولى من حياته ، فيلتمس من الماضي عوداً ، باكياً على فجر ربيع الآفل ، نادباً الآ و يَنَقَات التي اقتطعها الزمن من حياته ، كأن العيش بهجة وصفاء ، لا تعسا وشقاء . اما انا ، فلو ان القدر بلغني مئى النفس وامانيها ، وحباني بالثراء والسؤدد والمجد واعطاني كل مفاخر العالم ، ومنحني الحكمة والجمال والصيت الخالد ، لاعرضت عن هذه المنح غير آسف ، لاني لا أصبو الى العيش في دنيا زائلة فانية ، تذبل ذبول وردة عند لفح السموم ، دنيا كل ما فيها مشوش مبتهم ، فالد كرى الخالدة تبلى فيها ويعفو أثرها ويوم الهناء لا تبرز فيه شمس ، ولا يعقبه غد

ايها اللهيب الذي يفترسني ، ايها الروح ، اي شيء انت ؟ هل ستحيا بعدي ، هل ستتألم اذا تركتك ؟ ايها الضعيف الخفي ، ماذا سيحل بك بعد هجري ؟ هل ستنضم الى مشعل النار وتندغم فيه ؟ اذ قد تكون شرارة ضئيلة من ناره ، او شعاعاً تأهياً يرتد اليه ويعود الى مصدره ، او عصارة نقية كوّنّها الارض ، او طيناً نفخت فيه نسمة الحياة ، او صلصالاً حياً مفكراً . ولكن ماذا أرى ؟ لم ترتعد فرقاً ؟ أنخس العدم وأنت تعب من الآلام ؟ أنخاف الحياة ثم ترتعد من الموت ؟

ايها اللغز الخفي ، من حملك ويفسر أحاسيك ؟ عبثاً أصغي الى اصوات حكماء العالم فالشك قد تطرق ايضاً الى هذه العقول الجبارة ، اذ لم تخرج عن كونها مجبولة من صلصال كغيرها ، منذ التي سنة ونيمة أفنى سقراط عمره باحثاً منقباً ، واحتذى افلاطون حذوه ، ولكن دون جدوى ، وها أنذا اليوم ، أسعى والبحث ، ومع ذلك لن افوز بضالتي ، وستمضي الوف السنين ، وبنو آدم يتخبطون في الظلام الذي نحن فيه ، والحقيقة الشاردة بمنجاة من قبضة ايدينا ، والله وحده يجمع كل اشعثها المتفرقة

والآن وقد اوشكت ان اغمض عيني عن نور هذه الحياة ، فلا اجد اقل أمل يؤاسيني في ساعتي الاخيرة ، فستسير رُوحِي دون دليل ولا ضياء ، من ليل هذه الحياة الداجي ، الى ليل القبر الخالك ، حاملة الى العالم المجهول ، فضائي دون أمل . وآلامي دون ثواب أجيبني ايها القضاء الظالم الغشوم ، اذا كان ثم شيء يسمى قضاء ، اذلي الحق المشؤوم ان ألعن شرائعك ، فبعد كدّ النهار وتعبه ، يحق للاجير ان يأوي الى ظلال الراحة والهدوء ويتناول كراءه لكنني بعد ما أنوء تحت حمل القدر ، لا يكون

جزائي ، بعد مشقة الحياة وآلامها ، سوى الموت

ولكن بينما في يتنفس نتن الشك والتجديف ، وعينا تنظران الى قبري
وتبكيان على نفسي ، استيقظ في الايمان كأنه ذكرى لطيفة ، وألقى شعاعاً من الامل
على مستقبل الكالح ، فاعشني تحت ظل الموت ، وألهب قواي ، واعاد الى ايامي العتيقة ،
شباب النفس ورعانها ، فصعدت تحت ضوء هذا المشعل المقدس ، من مغرب حياتي الى
صباحها الضاحك ، وتجلت امامي حظ الانسانية جمعاء ، وتبدى لناظري نظام الكون
البديع ، وتسلسل اشياؤه المنسجم ، وقرأت في صفحة المستقبل صواب الحاضر ، فأغلق
الامل ورائي ابواب العدم ، فاتحاً الأفق لروحي النشوي ، ومفسراً بالموت لغز الحياة
وهذا الايمان الذي ينتظري على حافة القبر ، .. وافرحته ! لقد تذكرته : فقد حام
فوق مهدي ، وهو الارث الخالد لارض المعاد ، يتركه الآباء للابناء من جيل الى جيل ،
ويتقبله عقلنا منذ يقظته الاولى ، عطية إلهية ، كما يتقبل الحياة ونور الشمس ، فهو اللبن
المغذي للروح ، ينسكب من فم الأم فيملاً جوانحنا ثقة ، وقلوبنا املاً ، يتغلغل
الى الانسان في فصله الغض ، فيشع نبراسه في الفؤاد قبل ان يتفتق الذهن ويسعي العقل ،
والطفل في مهده لا يكاد يتلفظ بمخارج الكلام حتى يتم قانونه السامي ، فينمو في قلبه تحت رعاية
الام الحنون ، جنباً الى جنب مع الفضيلة ، ولا يشعر به حتى تتأصل جذوره فيؤرق ويشمر
حبذا لو جعلت الحقيقة لهذه الارض ، فقد عرّضت على انظارنا منذ طفولتنا ،
وتسللت الى نفوسنا من كل جهة عن طريق الحواس ، كما يتسلل الشعاع الطاهر من الالهيب
الساوي ، فقد احاطت بنفوسنا منذ إنشاق فجرها ، وانحدرت الى قلوبنا من مداركنا ،
فالضمت الى تذكاراتنا ، وذابت في اخلاقنا ، ككبة مخضبة يدثرها الشتاء ، فتنبت في
افئدتنا طويلاً قبل ان تظهر ، حتى اذا جاوز الانسان صيفه المملوء اعصاراً ، برزت اغصانها
وتفتحت اكمامها ، وأينعت ثمارها الإلهية للخلود

ايها الشمس السرية ، مصباح العالم الآخر أعيري عيني المطفأتين نورك الرمزي ،
إنبعث من احضان العلي ايها الشعاع المعزي ، أشرق في قلبي ايها الكوكب المحي ..
لهف نفسي ! ليس لي غيرك في ساعاتي العصبية ، فهذا العقل الانساني سراج ضئيل ، يخبو
كالحياة على اعتاب القبر ، فتعال لتحجل محله ايها النور السماوي ، تعال لتفيض على
جفوني يوماً لا سحب فيه ، أعرضني من الشمس التي لن اراها فيما بعد ، وأز الأفق
كما ينير كوكب المساء ، لا حظي بحياة سرمدية خالدة ، برهتها آجال وهنيئتها اجيال

[نقلها جورج نيقولاوس]

عواصف

وليم هنري دايفز
في عقلي عواصف ، تنور ساعات متواصلة
فتظل افكاري ، حتى تمطرني العواصف بالكلمات
ازهاراً ذابلة او طيوراً واجمة حردة
فاعصني يا عواصف وانشري ظلالك القائمة
لانك اذا امطرتني بالكلمات ، تصبح افكاري
ازهاراً رواقص وطيوراً غردة مرحة

المرأة والبركة

وله ايضا
اذا نظرت في المرأة ، انحصر همي في نفسي
اما اذا نظرت الى البركة فلا جل ما فيها من العجائب
اذا نظرت الى المرأة رأيت رجلاً احق
ولكنني ارى حكيماً اذ أنظر الى البركة

النار والجحيم

روبرت فرست
يقول بعضهم ان العالم سوف ينتهي بالنار
ويقول البعض الآخر ، بالجمد
اما فيما عرفته من الشهوة
فأنا من مذهب القائلين بالنار
ولكن اذا فني العالم مرتين
فاظنني اعرف في البغضاء ما يكفي
للقول بان الجمد كافٍ لتدمير الارض

الدين

جسي رتنهوس
ديني لك ايتها الحبيبة دين لا استطيع
ان اوفيه بنقد اية مملكة في يوم الحساب
فمن ذا الذي يستطيع ان يقدر دينك
لمن يجعلك تحلم حين الاحلام كلها ذاوية
او يدفعك الى الانشاد اذ الاناشيد جميعها صامته ؟

الشقاء في الزواج

اسبابه وتلافيها

انشئت في مدينة نيويورك جمعية ، جعلت غرضها البحث في شؤون الزواج في الولايات المتحدة الاميركية ، وتقصى خفاياها وتبويب ما تجمعه من الحقائق المتصلة بها ، واسداء النصيحة والمشورة للازواج الذين لا قبل لهم باستخدام محام يدافع عنهم او يهديهم سواء السبيل في المسائل القانونية . وقد كتب احد مديري هذه الجمعية مقالاً مختصاً فيه ، ما عرفه عن بواعث الشقاء بين المتزوجين كما استخلصها من حوادث الطلاق التي أخذ رأياً فيها

وعنده ان اهم اسباب الشقاء في الزواج تسعة وهي كما يلي : — تنافر الذوقين . تدخل الاقارب في شؤون الزوجين . الغيرة . يتلوها الاخلال بالشرف الزوجي . الاسراف والتقتير . وقلة ترتيب الزوجة . وفقد الشعور بالتبعية من احد الجانبين . والاختلاف في المعتقد الديني ... قال الكاتب جاء مكتب شركتنا في احد الايام فتاة بهية الطلعة ، رشيقة حسنة الهندام ، وبعد تردد وتلعثم سردت لي حكايتها وطلبت مني ان اخبرها هل في امكانها الحصول على تصريح قانوني بالطلاق فسألتها ولكن لماذا تريدن ان تطلقي زوجك ؟ ألا يقوم بنفقاتك ؟

فقلت بل يقوم بنفقتي ، ولكننا لا نستطيع ان نتفق في امر من الامور . فهو لا يفهمني فيجبني من المتظاهرين بالعلم لاني احب المطالعة والقراءة ، وانا اراه كثير التردد على الملاهي ولذلك فلما تجتمع معاً . واذا اجتمعنا فلا نستطيع ان نتحدث لان ما يلذ لي لا يلذ له وما يلذ له لا يلذ لي . وعلمت بعد ذلك ان لزوجها دخلاً سنوياً كبيراً فكان يعطيها منه ما يكفي نفقاتها ولا يعاملها معاملة فظة في حال من الاحوال وكان لهما ابن كان واسطة الاتصال بينهما الى زمن لكن حتى محبته لم تقوَ على ما بينهما من نفور فجاءت امه تطلب الطلاق

ان خير الوسائل لاجتناب الشقاء في الزواج ان يتأكد الزوجان انهما متلائمان في ذوقيهما وان هناك جامعة تجمع بينهما ويجب ان يعرفا ان الفرق كبير بين مقابلة الناس بعضهم لبعض في المجتمعات والاندية والحفلات وبين المعيشة البيتية الدائمة حيث يكشف عن حقيقة الاخلاق التي قد تسترها تقاليد الاجتماع وآداب السلوك

واذا كانت للمرأة عقيدة دينية تختلف عن عقيدة الرجل فالراجح انهما يختلفان يوماً ما وتتسع شقة الخلاف بينهما اذا لم يتسع صدر احدهما ويحل التساهل فيه محل التعصب . فالغاية من الدين اسعاد

الناس ولكنني عرفت اناساً بلغ منهم التعصب لعقائدهم مبلغاً استحلوا معه هدم العائلة واشقاء اعضائها . وقد اتصلت بي قصة جرت حديثاً تبين العاقبة الويلة التي تنجم عن التعصب وتدخّل الاقارب في شؤون الزوجين وذلك ان فتاة اسكتلندية تزوجت رجلاً من مذهب ديني غير مذهبها فمضت عليهما بضعة سنوات وملاك السعادة برُفرف فوقهما وولد لهما ابنتان . لكن والدي الزوج كان شديد التعصب لمذهبهما وساءها جداً ان يتزوج ابنتها فتاة من غير مذهبها وما زالا ينقران على هذا الوتر امامه حتى استملاه قليلاً عنها ثم جعلاً يهزآن بها لانها لا تصلي كما يصليان وجرياً على المقابلة امامها ، بينها وبين كسنتهما الاخريات وبالطبع كانا يفضلان اولئك عليها وكان زوجها ضعيف الارادة فلم يحام عنها كما كان يجب عاينه واخيراً تخاصمت عائلتها مع عائلة زوجها فالتفت شقة الخلف بين الزوجين وتلا ذلك انفصالهما فاخذت الزوجة ابنتها وجعلت تشتغل لكي تعولهما

اما الغيرة فمن اصعب ما يلاقيه الزوجان وهي لا تدخل بيتاً الاّ هدمته لانه من اعسر الامور ان تتكلم كلاماً معقولاً مع من اوغرت صدره الغيرة وزد على ذلك فقد تدفع الغيرة الرجل او المرأة الى اعمال لا يتصورها العقل السليم

من ذلك اني كنت اعرف فتاتين من بيتين مشهورين كلفتا بحب شاب فخطب احدهما . وفي اليوم السابق ليوم العرس جاءت صديقات العروس الى بيتها يزرنها ويرين جهازها وكانت بينهن الفتاة مزاحمتها على خطيبها فجلسن يتحدثن ، ثم انصرفنا وبقيت هذه الفتاة مع الخطيبة واذا بالخدام يدعو الخطيبة من الغرفة فغابت عنها نحو ثلث ساعة ولما عادت اليها وجدت صديقها قد مزقت كثيراً من اجل اثوابها واغلاها وفي جملتها ثوب حفلة الاكليل غيرة منها . وقد بلغتني حادثة اخرى تدل على تأثير الغيرة وذلك ان امرأة كان لها زوج مصور كانت تقلقه بما يبدو عليها من مظاهر الغيرة لانه يصور فتيات ونساء بارعات الجمال وبلغت الغيرة منها انها ذهبت الى مكتبه فرأت فيه صورة بديعة لفتاة جميلة فاخذت دبوس قبعتها وجعلت تنقبها انتقاماً منها

وليس النساء وحدهن اللواتي يقعن فريسة الغيرة بل الرجال مثلهن معرضون لذلك . ومن اسباب الشقاء في الزواج اختلاف العمر لان ذلك ينشأ عنه اختلاف في الازواق والاميال . ففتى تزوج رجلاً طاعن في السن بفتاة لا تزال في ميعة الصبا فقل ان الشقاء على الغالب سائر في اثرهما ولكن قلما جاءنا شاب تزوج من امرأة كبيرة السن يشكو منها وذلك لانه في الغالب يكون قد تزوجها لانها غنية فيقبل كل ما يقسم له في سبيل ذلك

ولا شك في ان الاسراف من جانب الزوج او من جانب الزوجة اكبر اسباب الشقاء في العائلة . جاءني شاب في احد الايام وقال « امرأتي تنفق اكثر مما اكسب وفي كل يوم يزداد الدين عليّ »

جربنا ان نساعدهُ وبحمنا عن نفقات امرأته فوجدنا ان لها معارف على جانب وافر من الثروة وانها كانت تحب ان تقتصد في اثوابها ما زالت في دائرتهم الاجتماعية . فجمعنا بين الرجل وامرأته في مكتبتنا كما نفعل في امثال هذه الحوادث وبحمنا في الموضوع بصراحة تامة فقال الشاب لامرأته « انت تعلمين انك تنفقين فوق طاقتي وان عندك من الاثواب ما يزيد على حاجتك ولكنك تمضين في شراء اثواب جديدة » فانسبها ضميرها وشعرت انها اذا استمرت على تلك الحال خسرت زوجاً فاضلاً فقبلت كلامه بسعة صدر وعادا الى بيتهم بعد ان عازمت ان تقتصد طاقتها

كذلك البخل والتقتير كالاسراف من اكبر اسباب الشقاء في العائلات . حدثتنا امرأة مسكينة لها سبعة اولاد ان لها زوجاً يتناول راتباً اسبوعياً قدره ٣٠ ريالاً ويلزمها الا تنفق اكثر من ريال واحد في اليوم على اعادة العائلة . وكان يعيرها اذناً صمماً حينما كانت تجتهد ان تقنعه بان ريالاً لا يكفي ثمن الخبز لثمانية أنفار . فجمعنا بين الرجل وامرأته في مكتبتنا واجتهدنا ان تقنعه بانهُ مخطيء في عمله فقال « ان النساء يطلبن نقوداً اكثر مما يلزم لهن . وقد عازمت عزماً قاطعاً ان لا أزيد قرشاً واحداً على ما اعطيها اياه فلا تراجعوني في ذلك » . لكننا رفعنا عليه قضية وحكمت عليه المحكمة بدفع معظم راتبه الاسبوعي الى امرأته لكي تعول تلك العائلة الكبيرة

لا شك ان الزواج من اعظم الامور شأناً في الحياة والذي يقدم عليه يجب ان يعرف ما يلحق عليه من تبعه في القيام بواجباته . مع هذا لا يندر ان ترى من ينظر اليه نظره الى وسيلة هو او تسليه . عرفت امرأة قبل زواجها من ابهى الفتيات طلعة كثيرة الطلاب . ولكن ما لبثت بعد زواجها ان اخذ زوجها في طريق الكسل والحوّل فعجز دخله عن القيام بنفقاتها وكانت ولدت ابناً فاضطرت امها ان تساعدوا اولاً . لكن زوجها لم يهتم بها وبابنه على الاطلاق وفسدت اخلاقه من معاشره الفاسدين . وفي احد الايام ترك بلده وسافر الى بلد آخر . ثم جاءت منه رسائل بانهُ بدأ عملاً هناك ولكنه لم يرسل نقوداً لامرأته ثم انقطعت اخباره فجعلت المرأة تشتغل لتعول ابنها وتكسوه وتعلمه ولا تزال تشتغل الى الآن . كل شاب كهذا يقدم على الزواج قبل ان يدرك ما فيه من التبعه والشأن الخطير يشقي امرأته واولاده شقاءً مرّاً

ويجب على كل امرأة ان تكون لبقه مرتبة في لبسها وفي بيتها لأن الرجل الذي يعمل طول النهار يتوق ان يعود الى بيته في المساء فيراه نظيفاً مرتباً فيه وسائل الراحة فيلذ له البقاء فيه . واذا كانت المرأة عكس ذلك كره البقاء في البيت فيتولد النفور بينهما

قال الكاتب ولا اريد القارىء ان يفهم مما رويته ان الزواج كله شقاء بشقاء انما الغاية منه تمثيل العبرة من اختبار الناس بأمثال واضحة . واذا كانت امثال هذه الحوادث تعد بالالوف فالعائلات السعيدة تعد بالملايين

بناء الجسم وتقديته

يحسُّ كل إنسان أنه يعرف الفرق بين الحيّ وغير الحيّ أو الجماد . ولا ريب في أننا لا نلقى صعوبة ما في التفريق بين الكلاب والحجارة . أو بين الطيور والورق الذي نكتب عليه من هذه الناحية . ولكن كيف نستطيع أن نعلم أن حبة الفول الجافة : حية أو غير حية ؟ قد نعرف ذلك إذا زرناها فإذا انتشت عرفنا أنها كانت حية ، ولكننا لانستطيع أن نفصل في ذلك من مجرد النظر فيها وفي الغالب نعتمد على تحليل الكيماوي لأن الكيماويين ما يرحوا يحاولون من أقدم الأزمات ، أن يخلّصوا المواد إلى عناصرها الأولى . وقد وجدوا أنها اثنان وتسعون عنصراً وإن بعضها نادر جداً . أما العناصر التي تدخل في تركيب الأشياء المألوفة ، فقد لا تزيد على عشرين عنصراً فالسكر الذي نذيقه في الشاي ، والكحول الذي نشربه في الوسكي ، والغليسيرين الذي نطري به اليدين والنشا الذي نطبخه في النشوية (البالوظة) والدهن الذي نخلو به البيض ، كل هذه مركبة من ثلاثة عناصر ، هي الكربون والاييدروجين والاكسجين . أما البنزين وما إليه فتركب من الكربون والاييدروجين . وهذه المواد مركبة من اجزاء مختلفة من عناصر واحدة . أما من حيث العناصر التي تدخل في تركيب الاجسام فلست تجد فرقاً بين الحيّ والجماد أو غير الحيّ . فغالب من العصارة المعدنية الهاضمة حامض ايدروكلوريك . وهذا الحامض فيها هو مثل الحامض الذي يصنع في المعامل من حيث تركيبه . وفي الدم حديد يحمّر أو يصبح قرمزيّاً . اذ يتحد بالاكسجين . وكذلك الحديد في الطبيعة يحمّر اذ يتحد بالاكسجين ، وهو الصدأ . والملح الذي يفرز في الدموع والعرق المتصّب من الجسم ، هو مثل الملح الذي نذره على الطعام

والمادة الحيّة ، مركبة من طائفة يسيرة من العناصر التي كشفها العلم وأهمها ، الكربون ، والاييدروجين والاكسجين والنيتروجين والكالسيوم والفوسفور والكبريت والصوديوم والكلور والفلور والبوتاسيوم والحديد . وفي الجدول التالي نسبة ما في الجسم

من كل عنصر منها	النسبة
الاكسجين	٧٢ في المائة
الكربون	١٣٫٢ »

النسبة	من كل عنبر منها
٩١ في المائة	الايدروجين
» ٢٥	النتروجين
» ٢٥	الكالسيوم
» ١٥	الفسفور
» ٢	الكبريت
» ٣٠	الصوديوم
» ٨	الكلور
» ٨	الفلور
» ٢٦	البوتاسيوم
» ١	الحديد

أما المغنسيوم والسليكون والنحاس والرصاص والالومنيوم فتقاديرها اقل من ذلك كثيراً

وهذه هي نفس العناصر التي نجدها عند حل الهواء والماء والصخور وما شاكل . فالجسم الحي مبني من نفس العناصر التي تتركب منها الجوامد . ولكن لا بد من فرق بين الفريقين ، فما هو ؟

المركبات الرئيسية في الجسم

إذا حلت المواد ، التي تبني منها عمارة خفية ، وجدنا عناصرها نفس العناصر التي في الجسم الحي . ولكننا إذا تكلمنا عن بناء عمارة ، لا نذكر العناصر ، بل المواد التي تتركب من تلك العناصر ، كاللحجارة والاشخاب ، وغيرها . كذلك إذا تكلمنا عن بناء الجسم ، فقلما نشير الى العناصر نفسها بل الى المواد او المركبات المبنية من تلك العناصر . وهذه المركبات الرئيسية اربعة هي الزلايات (بروتينات) والنشويات (كربوهيدرات) والادهان والحيويات (فيتامينات) وعلاوة على ذلك لا بد من الماء والملح

الزلايات مركبة من الكربون والاكسجين والايدروجين والنتروجين ، ويدخلها في الغالب مقادير يسيرة من الكبريت والفسفور ولا تخلو منها اجسام النباتات والحيوانات . ففي عدسة عين الانسان منها ٣٨٦٣ في المائة وزناً ، و١٦ في المائة من العضلات و١٢ في المائة من الكبد و٩ في المائة من الدم . وليست هذه المقادير باليسيرة كما يبدو لاول وهلة ، لان الجانب الاكبر من جسم الانسان ماء . فاذا اخذت جسم الانسان جملة واحدة ، كان الماء فيه ٦٧ في المائة

الزلاليات وبناء النسيج

لا بدّ للجسم من المواد الزلالية . فاما ان يبنيا بنفسه او ان يستمدّها من الاطعمة التي يتغذّى بها . والمعروف ان الاول ، اي بناءها بنفسه متعذّر عليه ، واذن فلا بدّ منها في غذائنا . وعليه لا بدّ ان نتناول في طعامنا مقداراً كافياً من الزلاليات والأمتنا جوعاً بلع ما بلغ مقدار ما نتناوله من الاصناف الأخرى . والجسم يحتاج الى الزلاليات في القيام بعمله ، وبوجه خاص العضلات والدم . فالعضلات والدم تفقد في قيامها بافعال الحياة ، جانباً كبيراً من المواد التي تتركب منها . فاذا لم نعوضها ما تفقده ضعفت وخارت . فالطعام المحتوي على المواد الزلالية ، لامندوحة عنه للجسم الحي وقد نحصل على هذه المواد في اشكال مختلفة ، من الاغذية النباتية والحيوانية . فهي في اللحوم تدعى (ميوسين) وفي البيض (البومين : زلال البيض) وفي اللبن الحليب (كاسين) وفي الخنطة (غلوتين) وفي الفول والعدس وما اشبه (لغيومين) ومع ان هذه المواد مختلفة الاسماء باختلاف مصادرها ، الاّ انها متشابهة في تجهيزها الجسم بما يحتاج اليه من الزلاليات لبناء النسيج وتعويضها بما تفقده منها . وقد يُظنّ ان « الزلاليات » المستمدة من مصادر حيوانية اشبه بزلاليات الجسم ، التي تحلّ محلّها ، من زلاليات المصادر النباتية . وهذا صحيح الى حدّ بعيد

المرأة بين الغيرة والحب

وقف الرجل والمرأة في تاريخ الماضي وحوادث الحاضر والحكايات والروايات مواقف لا يشتهها احد لعدوّ فضلاً عن صديق — وفقاً بين طاملين قوين تنازاعهما وتجاوزهما كقطعة حديد بين مغنطيسين متساويين في القوة لا يقوى احدهما على جذبها اليه الاّ اذا قلت قوة الآخر او صارت اقرب اليه منها الى الآخر

ففي تاريخ الماضي وقف بطرس الاكبر بين عاطفتين شديديتين حبّ بلاده وحبّ ولي عهده فقدم الاول على الثاني لما رأى ان حبّ ولي عهده على ما كان به من السفه والطيش والعناد يجرّ على البلاد الخراب والدمار فامر بقتله برّاً بوطنه

وفي تاريخ الحاضر ذكروا ان امرأة يابانية كانت متزوجة بروسيّ فلما نشبت الحرب بين الروس واليابانيين باتت كمن بين نارين فاما حب الوطن واما حب الزوج فقدمت الاول قائلة الزوج والاولاد فداءً للبلاد وهجرت بيتها برّاً بشعبها

وفي الحكايات ان ملكاً حكم على ولي عهده بقطع عينيه فاما ان يعفو عن ابنه فيسخط العبد

وبرضى الرحمة او ان ينفذ الحكم فيه فيرضى العدل ويسخط الرحمة ويحرم ابنه لذة بصرم فاختر
الثاني ولكنه فقاً عيناً من عيني ابنه وعيناً من عينه فوقف بين العدل والرحمة بما يرضيهما كليهما
وفي الرواية المعروفة باسم « غرام وانتقام » وقف بطل الرواية بين حب معشوقته والانتقام
من ايها قاتل ابيه فاختر الثاني دون الاول ولم يمنعه هوى حبيبته عن الاخذ بالنار ازالة للعار

ومن اجل ما ذكر من امثال هذه النوادر ما ورد في بعض المجلات من ان فتاة اوقفت موقفاً
حرجاً بين حب حبيبها وبين الغيرة عليه من بنات جنسها . ومتى عرفت ان الغيرة اظهر صفات المرأة
واقوى العواطف المتسلطة عليها ادركت حرج موقفها وشدة حيرتها . وتحرر الخبر ان اميرة حبشية
احبت فتى من رعايا ايها فلما درى الملك بذلك استشاط غيظاً وحكم على محبوب ابنه بان يقاد الى
مشهد له بابان مقفلان داخل احدهما وحش كاسر وداخل الآخر فتاة جميلة . ثم امره بان يفتح الباب
الذي يختاره فاذا كان وراءه الوحش مزقه ارباً او كان وراءه الفتاة زوجه اياها حالاً واطلق سبيله
وعفا عنه

فكار الفتى في امره وادار نظره في جمهور المشاهدين حوله فوقع عينه على عين الاميرة حبيبته
وكانت هي وحدها تعلم ما في كل من الغرفتين فأشارت اليه ذات اليمين ففتح الباب الذي هناك وماذا لتي —

هذه هي الحكاية وقد طلبت المجلة من قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في المسألة — هل دلت الحبيبة
على الباب الذي كان الوحش وراءه فلقي حتفه او دلته على الباب الذي كانت الفتاة الجميلة وراءه
فتزوج بها . وبعبارة اخرى هل تغلب حب الاميرة لحبيبها على غيرها من الفتاة الجميلة التي اختارها
ابوها ليزوجه اياها فدلته على الغرفة التي كانت الفتاة فيها فتزوجها . او تغلبت غيرها على حبها فدلته
على الغرفة الاخرى حيث افترسه الوحش الضاري مفضلة موته على تزوجه بفتاة اخرى غيرها

فلبى الكتّاب دعوتها رجالاً ونساءً وتباروا في هذا الميدان فانقسموا فريقين فمن ذاهب الى ان
الاميرة دلت حبيبها على باب نجاته ومن ذاهب الى انها دلته على باب حتفه . واكثر الكاتبين من
الاول وحجتهن في ذلك انه وان تكن الاميرة حبشية وليست على درجة سامية من التمدن والحضارة
فانه لا يهون عليها ان ترى حبيبها يمزق ارباً امام عينها . وهالك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب
الاول . قالت احدى السيدات : —

في رأيي ان الاميرة دلت حبيبها على الباب الذي خرجت الفتاة منه لانها اذا كانت مخلصه في
جها له ضحت بكل شيء لتفتديته وتنقذه
وقالت اخرى انه وان كان اقتران حبيب الاميرة بغيرها مما يهيج كوامن غيرها الى حد الجنون

الآن أنها لا بد أن تكون قد قالت في نفسها ما دمت على قيد الحياة ففسحة الامل واسعة امامي . ولا يبعد ان تفعل كل ما في وسعها بعد ذلك للفصل بين حبيبها ومناظرتها اما بابعادها الى خارج البلاد او بواسطة اخرى

وقال كاتب ارى ان الاميرة عقدت نيّتها على انقاذ حبيبها فلا تفقده بوقوعه بين برائن الوحش المفترس وان كان انقاذها له يعد خسارة لها من جهة اخرى باقترانه بفتاة غيرها . والسبب في عقدتها النية على انقاذها علمها انه وان تزوج غيرها لم يفتأ العمر عن ان يحلها المحل الاول من قلبه وهذا مما يعزها لانه ما من شيء تطمح المرأة اليه في هذا العالم الفاني اعظم من ان يكون لها المقام الاول في قلب رجل قوي الارادة كريم الاخلاق . وهي لا تخشى ان تفقد مكانتها عنده علماً منها بميل الرجل ميلاً فطرياً الى الارتقاء في المناصب . ثم انها تؤمل ان تموت زوجته فتزوجه بعد موت ايها وهذا الامل يوسع مجال العيش في عينها ويمكّنها من احتمال الحنة بالصبر والسكينة وقال آخر ان الغيرة قد تكون اشد من الحب ثورة ولكن الحب يتغلب عليها اخيراً فلو كانت الفتاة قد اجتذبت حبيب الاميرة اليها بمحاسنها وفتنته عنها بدهائها وحيلها لتغلبت الغيرة على الحب وهو لم يسيء اليها وانما اساء اليها ابوها بالحكم الذي حكم به على الشاب

وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الثاني . قالت احدى السيدات لارب عندي ان الاميرة دأبت الشاب على باب الهلاك لانها حبشية نزقة الطبع فأثرة الدم لا تطيق ان ترى ضرة لها شأن الاميرات غير المتمدّنات ولو كانت متمدنة لكان الامر على خلاف ذلك وقال كاتب لقد علمت باختبار احوال الناس وسبر قلوبهم وخصوصاً قلوب النساء ان الحب والغيرة اسمان لمسمّى واحد . وكثيرات من النساء يفضلن ان يرين احباءهن امواتاً على ان يتزوجوا غيرهن اذ لا بغض اشد من بغض المرأة للمرأة فلا غرابة اذا سلمت الاميرة حبيبها الى الهلاك عفواً واعتباطاً . وقال آخر ان غيرة المرأة اشد وطأة من حبها

ومن الكتّاب من مزج المزج بالجد فقال ان الاميرة دعت مدير معرض الحيوانات اليها وطلبت منه ان يضع في احدى الغرفتين غمراً كان حبيبها قد رباه وعلمه الصراع وصارعه مراراً في الميدان امام ايها وغيره من المشاهدين . فلما اطلق عليه لم يمسه بسوء بل جعل يدور حوله متودداً اليه ثم انقلب على جنبه كأنه ميت . فلما رأى ابو الاميرة ذلك دهش فزوج الشاب ابنته باحتفال حافل

بِمَقْتَلِ الطِّفْلِ

فِي تَطَوُّرِهِ

بقلم احمد عطية الله

- ٢ -

﴿ معنى الطفولة ﴾ يطلق لفظ الطفولة على الدور الذي يتراوح بين العام الثالث والثاني عشر من حياة الانسان . ولكن ليس هذا التحديد قاطعاً . لانه مبني على وجهة نظر خاصة ، واذا نظرنا اليه من ناحية اخرى اختلف مدى هذا التحديد . لهذا نرى البعض يجعل الولادة هي بدء عهد الطفولة . فالطفولة تبدأ من العام الاول وليس من العام الثالث في رأي بعضهم . والاختلاف اكثر وضوحاً في الحد الاخير . فالبعض يمد عهد الطفولة الى دور المراهقة او البلوغ وهذا يكون عادة في الاربعة عشرة . كما ان من الباحثين من يمد هذا الدور الى ما بعد السنوات الاربع التي تلي ذلك بما لها من علاقة نفسية وجسمية بعهد المراهقة . وتحديد دور الطفولة او مراحل حياة الانسان ، عملية اصطناعية مبنية على غير اساس طبيعي . لان حياة الانسان وحدة لا تنقسم الى اجزاء او ادوار مستقلة مفككة ، لكل منها مميزاتها وطبائعها ولكن هذه المميزات مختلطة متداخلة لا يمكن تحديد ابتداء ظهورها او انتهائها . فتحديد دور الطفولة قد يبينه البعض على المميزات الجسمية التي تميز بها هذه الفترة من حياة الانسان ، كنمو بعض اجزاء الجسم (الاسنان مثلاً) او عدم ظهور البعض الآخر (شعر العارضين) وقد نبني هذا التحديد على اساس المميزات النفسية التي تشكل سلوك الانسان في هذه الفترة ، وهذا الاساس له شأن خاص في دراسة سيكولوجية الاطفال . ومن ناحية اخرى قد نجعل نهاية دور الطفولة ، استقلال الانسان بنفسه في الحياة ، استقلالاً اقتصادياً . ولكن هذا بطبيعته يختلف باختلاف بيئة كل طفل ونوع الحياة الاجتماعية التي يعيشها هذا من ناحية اقتصادية . اما من الناحية الاجتماعية ، فرجال الاجتماع والقانون يجعلون اساس هذا التحديد قدرة الطفل على حمل المسؤولية الاجتماعية ، كالمحافظة على القوانين او الانخراط في سلك الجندية . ﴿ مميزات الطفولة النفسية ﴾ ومع وجود مثل هذه الاختلافات في تحديد نهاية دور الطفولة ، الا ان هنالك من المميزات الجسمية والنفسية ما يجعل الرجل العادي يفرق بين سلوك الطفل وسلوك البالغ . ومعرفة هذه المميزات العامة ، والمميزات التي تنفرد بها كل سنة من سني الطفولة لازمة لمن يتصل بالاطفال ، اياً كان ام معلماً

سلوك الاطفال يتأثر تأثراً كبيراً باستعداداتهم الفطرية وأهمها الغرائز . فالطفل لا يستقر هنيئاً في مكان لانه منساق الى ذلك بطبيعته للحركة ، والطفل اميل الناس الى الاستطلاع للاشياء المجهولة لتأثره بغريزة حب الاستطلاع . فالفرق بين سلوك الطفل والرجل ان هذا الاخير متأثر بتجاربه وبتفكيره ، وبالتقاليد الاجتماعية التي نشأ في وسطها ، فبذلك تهذب لديه هذه الاستعدادات الفطرية التي تراها واضحة في الطفل

واستعدادات الطفل العقلية بوجه عام قاصرة محدودة . فانتباه الاطفال غير مستقر وملاحظته للعوثرات الخارجية غير دقيقة ، لذلك كان من الصعب على المعلم في الفصل ان يجذب انتباهه للدرس مدة طويلة . كما ان الادراك الحسي عند الاطفال قاصر ، وذلك لان الادراك يعتمد على تربية الحواس وهذه بطبيعتها تنمو بالمرانة

ومن مميزات الطفولة شدة الخيال ومرونته . حتى ان الخيال كثيراً ما يكون سبباً لكثير من الاستنتاجات الخاطئة التي يصل اليها بنفسه . او قد يجره الخيال الى ما نعتقد انه ذنوب واخطاء كالكذب والاختلاق . لان تحت تأثير خياله المرن لا يفرق بين ما تسترجعه ذاكرته وبين ما يتخيله

﴿ تفكير الطفل ﴾ والتفكير عند الطفل غير منعدم ولكنه قاصر . لان الاستنتاج او الحكم على الاشياء يحتاج الى مادة متسعة من تجارب الشخص وهذه بطبيعتها ضيقة عند الطفل . والطفل ليست له القدرة على تحليل الاشياء المركبة . او تصور الاشياء المعنوية التي يعتمد عليها البالغون كثيراً في حياتهم . كما ان شعور الطفل بانه غير مسئول اجتماعياً يقلل من اهتمامه بالتفكير المنظم

﴿ النزعة الدينية ﴾ ليس لنا ان نحكم عليه بانه دين تقي او انه شرير اباحي . لان جل هذه المعتقدات الدينية تثبت في نفس الطفل بالتلقين . ولكن من المشاهد ان الطفل يندفع بطبيعته الى كثير من الاعمال التي نقول عليها بانها (انسانية) كميله الى مساعدة الاطفال الآخرين او الاشتراك معهم في اعمال او كميله لاحترام ابويه ومن كان اكبر منه سنّاً ، او كميله للعطف على الحزين والفقير

المقال الثالث

طرق دراسة الطفل

المقال الرابع

النمو الحسي عند الاطفال

المقال الخامس

تطور عقل الطفل في السنة الاولى

وهذه النزعة الدينية تظهر واضحة جلية في حياة الطفل فيما بعد لاسيما وانها متصلة بالانفعالات التي تصاحب كل غريزة من غرائزه ، لذلك كان سلوك الطفل ليس فيه محل للمصانعة او المداينة . فهو يبكي حين يشعر بالالم ، ويغضب اذا اعتدي عليه ، ويظهر الدهشة اذا رأى غريباً ويظهر الامتعاض اذا رأى قبيحاً

ضغط الدم والصحة

بحث صحي مفيد

يقاس ضغط الدم كما يقاس ضغط الهواء بأنبوب دقيق مفرغ من الهواء قائم في حوض من الزئبق فيرتفع مستوى الزئبق في الأنبوب او ينخفض بزيادة الضغط او قلته . هذا هو المبدأ الذي بني عليه قياس ضغط الدم وقد استنبط المستنبطون آلة اقرب تناولاً واسهل استعمالاً من الأنبوب الدقيق والزئبق يستعملها الاطباء في فحص مرضاهم

فارتفاع الزئبق في انبوب كهذا حينما يكون ضغط الدم طبيعياً ١٢٠ مليمتراً للرجال في العشرين من العمر و ١١٠ ملمترات للنساء من العمر ذاته . وضغط الدم في النساء عشر ملمترات اقل منه في الرجال اذا تساوى العمر ، وكلما تقدم الانسان في العمر زاد ضغط دمه بمتوسط ملمتر واحد في سنتين . فاذا كان الضغط الطبيعي ١٢٠ ملمتراً في سن العشرين للرجال بلغ ١٣٠ ملمتراً في سن الاربعين و ١٤٠ ملمتراً في سن الستين . وقد يختلف ضغط الدم عن المتوسط الطبيعي في احد الناس من غير ان يكون خارقاً للعادة فقد يزيد ١٥ ملمتراً عن المتوسط الطبيعي او ينقص عنه كذلك . وقد لاحظ كثيرون من الاطباء ان الذين يعيشون عيشة معتدلة غير معرضين للنوبات العصبية لا يزيد ضغط دهم الزيادة الطبيعية بتقدم السن اي ملمتراً كل سنتين بل قد يبقى ضغط الدم في بعضهم مدة عشر سنين او اكثر في مستوى واحد لا يزيد الزيادة الطبيعية . وهناك عوامل اخرى غير السن والجنس تؤثر في ضغط الدم اهمها السمن والمزاج وحالة الهضم وقوة العضلات ومقدار التمرين الرياضي والتعب والنوم والخوف والتهيج العصبي والتغيرات الجوية . فكل هذه العوامل قد يكون لها اثر ظاهر في ضغط الدم ولكن هذا الاثر يزول في الغالب بزوال الباعث عليه

على ان الامر الذي يجب الانتباه له هو ان ضغط الدم المزمن حالة غير مرضية من الوجه الصحي بل قد يكون منها خطر كبير على الحياة لانها مصدر لكثير من العلل فارتفاع ضغط الدم المزمن مرتبط كل الارتباط بالصداع المزمن وداء النقطة وضعف القلب ومرض بريت « التهاب نسيج الكليتين » والارق وسوء الهضم والاحتقان المزمن وبعض انواع الخلل العقلي وعليه يجب ان ننظر في الاسباب التي تؤول الى ارتفاع ضغط الدم فنزيلها ومتى زالت زالت كل نتائجها السيئة او جلّها

اسباب ارتفاع ضغط الدم

اختلف الاطباء في الاسباب التي يعزى اليها ارتفاع ضغط الدم ولذلك سنذكر فيما يلي كل العوامل التي يحسبها النقات من الاطباء اسباباً في ارتفاع ضغط الدم وهي :

- ١ - الادوية والمخدرات ٢ - الاكثار من الطعام ٤ - التعرض للبرد والمرض
٥ - الاجهاد ٣ - السموم ٦ - الحالة العقلية والنفسية

١ - اذا اعتاد احد استعمال دواء من الادوية او مخدر من المخدرات فعادته هذه تؤدي به مباشرة او غير مباشرة الى ارتفاع ضغط دمه . وبعض الثقات يرى ان عادة تناول المخدرات لا تقتصر على تناول مخدر واحد بل لا تلبث ان تحمل صاحبها على تناول مخدر ثانٍ فعلة عكس فعل الاول . فتناول الكوكايين مثلاً يرفع ضغط الدم ويحدث توتراً في الاعصاب فيلزم حينئذ تناول مخدر آخر كالورفين الذي يخفف ضغط الدم ويزيل التوتر

ولهذه العقاقير آثار سيئة في الجهاز العصبي والجهاز الهضمي والسكبد والكليتين وهذا وحده كافٍ لصرف الناس عن تناولها . فاذا مرض احدهم وشعر بلزوم تناول دواء من الادوية فخير له ان يدعوا طبيباً وحينئذ يتناول ذلك الدواء بامارة الطبيب اذا لزم الامر

والمشروبات الروحية في الغالب تحدث شعوراً مخالفاً للحقيقة فاذا شربت مشروباً الكحولياً شعرت بحرارة اذا كنت بارداً وبقوة اذا كنت ضعيفاً وبغنى اذا كنت معدماً ومن نتائجها المباشرة خفض ضغط الدم ولكن لا يلبث هذا الاثر ان يزول فتشعر بالبرد والضعف والفقر اكثر مما كنت تشعر بها قبلاً . على ان أهم النتائج التي تبقى آثارها في الجسم من ادمان المشروبات الروحية تصلب الشرايين وخصوصاً الشرايين الدقيقة في الدماغ والكليتين

٢ - الغذاء : للغذاء شأن كبير في زيادة ضغط الدم . قال احد الاطباء : كلما جاء الي مريض يشكو من ارتفاع ضغط دمه احسب السبب « كثرة الاكل » الى ان يثبت لي ان السبب أمر آخر . فلقد وجدت في كثير من الحوادث ان مجرد الاكثار من أكل اللحم يزيد ضغط الدم

ولم اقتنع حتى الآن ان الاكتفاء بالخضراوات دون غيرها من مواد الغذاء خير من غذاء يحتوي على قليل من اللحم وكثير من الخضراوات والفواكه . ولكن يحسن في بعض الاحيان ان يتوقف الانسان عن اكل اللحم شهراً او شهرين . وان يقلل من اكل البيض والخبز . والقاعدة التي لامناس من اتباعها هي ان المصاب بارتفاع ضغط الدم يجب ان لا يكون نهماً اي لا يأكل فوق حاجته

شاعت منذ سنوات بين الناس « موضة » الاهتمام بمضغ الطعام مضغاً جيداً وهذا امر يجدر بمن ضغط دمه فوق المتوسط الطبيعي ان يجري عليه قبل كل احد لان مضغ الطعام يكفي القابلية بقليل من الطعام فلا يتعرض الآكل لتناول ما هو فوق حاجته . ويعتقد بعض الاطباء ان التوابل والبهارات تزيد ضغط الدم وتسبب تصلب الشرايين وغير ذلك من الادواء . قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون انما الامر الذي لا ريب فيه هو ان اكل التوابل والبهارات يهيج القابلية فيأكل الانسان فوق الشبع والاكل فوق الشبع من أعم الأسباب الباعثة على زيادة ضغط الدم

٣ - التسمم : بعض الباحثين في اسباب زيادة ضغط الدم يقول ان من اسبابه التسمم الذاتي

الناجم عن خلل في نظام الهضم فتتجمع السموم في الجسم من جراء ذلك والاطباء فريقان في النظر الى هذا الامر . قال الدكتور سدلر الاميري لو كنت مصاباً بزيادة ضغط الدم لكنت اهتم بجعل حركة الامعاء منتظمة مرتين في اليوم ولا اترك مجالاً لاختلال الهضم وتجمع السموم في الاعضاء ٤ و ٥ — التعرض والاجهاد : لا شك ان نظام الحياة العصرية بما فيها من السعي المتواصل ، والمزاومة الشديدة والسرعة التي تتوخاها في كل عمل من الاعمال تؤثر في الجسم وتهلك قواه ، ومن نتائجها الظاهرة ازدياد ضغط الدم في كثير من الناس . اصف الى ذلك التعرض للبرد وعدم الاهتمام بالعلل البسيطة وهما يسيران عادة جنباً الى جنب مع الاجهاد

يذكر الاطباء كثيراً في كتاباتهم واقوالهم «العدوى المركزية» التي تكون في اللوزتين وجذور الاسنان . ولا شك ان المكروبات المضرة التي تقيم في مثل هذه المراكز تفرز سموماً تدور في الجسم مع الدم ، وهذه السموم هي في اكثر الاحيان سبب ارتفاع ضغط الدم في كثير من الحوادث وهذا ينطبق على العلل المزمنة كما ينطبق على الحادة كالزكام والانفلونزا وغيرها

خذ مثلاً أحد التجار . يشعر في المساء بتكسر عام في اعضائه ويشكو من ارتفاع قليل في حرارته فهو رجل مريض وقد تكون هذه الاعراض اعراض الانفلونزا الاولى وعليه ان يبقى في بيته للعلاج . على ان عمله يقتضي وجوده في مكتبه في اليوم التالي . فيغالب المرض وينهض الى المكتب فيبقى كذلك اسبوعين او ثلاثة لانه لم يرض ان ينام بضعة ايام يعالج في انائها معالجة قانونية ثم لا تلبث ان تظهر في بوله آثار الزلال ويشعر ان كليتيه لا تقومان بعملهما قياماً منتظماً . وقد عرفت كثيرين يقضون سنين غير عارفين آثار التعرض والاجهاد في صحتهم بعد اصابة بسيطة بالانفلونزا كالاصابة المتقدمة حتى يذهب احدهم الى شركة من شركات التأمين على الحياة فيرفض طلبه لان الفحص الطبي اثبت وجود ارتفاع كبير في ضغط الدم وضعف في الكليتين وغير ذلك مما يدهش له الرجل والسبب بسيط بيناه فيما تقدم

فعلى كل احد ان يهتم اهتماماً جدياً بكل المرافق ارتفاع في حرارة جسمه . فاذا أصبت زكام من غير حرارة فقد لا يضررك ان تسير في عمالك كالعادة ولكن اذا رافق الزكام ارتفاع في حرارتك ولو قليلاً فاترك كل شيء والزم سريرك واستدع طبيباً وابق تحت المعالجة حتى تشفى كل الشفاء . واذكر ان تفحص بولك بعد كل زكام تصاب به او كل اصابة انفلونزا مهما كانت بسيطة فان هذا الفحص يبين لك هل الكليتان تقومان بعملهما او لا

من المعروف ان الرومازم وعرق النسا « شياتكا » والنيورالجيا تنشأ عن عدوى ميكروبية تستقر في الاسنان واللوزتين وهي ما يعرف بالعدوى المركزية كما تقدم فاذا استمرت هذه العدوى

نجم عنها زيادة ضغط الدم وتصلب الشرايين بعد بضع سنوات . وعليه يجب فحص هذه الاعضاء عند الاطباء المختصين وابقاؤها نظيفة خالية من كل مكروب

٥ - الحالة العقلية والنفسية . قال سدر: مضى علي سنون كثيرة وأنا أبحث في العلاقة بين زيادة الدم والحالة العقلية والنفسية فوجدت ان الخوف والهلم وما اليهما من الحالات النفسية تزيد ضغط الدم كثيراً حتى لقد يبلغ الضغط درجة يصير فيها خطراً على الصحة . وزد على ذلك انه متى ارتفع ضغط الدم كثيراً حمل صاحبه على تعاطي المخدرات . وعلى الضد من ذلك فقد يكون من اثر الحالة النفسية انها تخفض ضغط الدم تحت المتوسط الطبيعي ويرافق ذلك انحطاط وضعف عام في القوى عرفت شاباً ارتفع ضغط دمه الى ١٦٠ ملمتراً او فوق ذلك . وبعد البحث وجدت انه تخاصم مع خطيبته فلما زالت اسباب الخصاص وعادت المياه الى مجاريها هبط ضغط دمه الى ١٣٥ ملمتراً ولولا اكثاره التدخين لكان هبط الى دون ذلك ، الى المعدل الطبيعي . ويمنعنا ضيق المقام من تعديد الحوادث التي كانت فيها الحالات النفسية سبباً مباشراً في زيادة ضغط الدم

العلاج

العلاج الذي اصفه هو الراحة التامة والعناية الطبية بضعة اسابيع او اشهر بحسب ما تقتضي الحالة . فاذا كان احد مصاباً بزيادة ضغط الدم وبلغ هذا الضغط ٢٠٠ ملمتر فيجب ان يبقى في السرير بضعة اسابيع لا يتناول في اثنائها من الغذاء سوى اللبن (الحليب) واذا كان في امعائه ميل الى الامساك سمحت له باكل الفاكهة . ويشار على المصابين بزيادة ضغط الدم ان لا يتناولوا الطعام اكثر من مرتين في اليوم وان يقللوا من اكل اللحم والبيض والخبز وان لا يأكلوا فوق الشبع او فوق حاجتهم وهذه هي القاعدة الذهبية التي اشير باتباعها . ولا بد لهؤلاء المصابين من اجتناب كل عمل متعب كالجري وراء سيارة اجرة للركوب فيها او ما الى ذلك مما يؤول الى اجهاد الجسم

وفيما يلي ابسط الوسائل وافعلها في تخفيف ضغط الدم اذا زاد عن المتوسط الطبيعي

- ١ - الرياضة اللطيفة الى ان يبدأ العرق بالتصبب من الجسم ويفضل ان تكون الرياضة في الهواء الطلق وبثياب متسعة لا تضغط على الاعضاء . ٢ - ذلك اذا كان المريض لا يستطيع ان يروض جسمه في الخارج او كان قلبه ضعيفاً لا يتحمل آثار الرياضة فالدلك اللطيف خير ما يحل محل الرياضة . ٣ - الحمامات تمدد جدران الشرايين فيخف ضغط الدم . ويجب ان تكون حرارة الماء بين ٩٦ رجة بميزان فارنهایت و ٩٨ اي مثل حرارة الجسم . ويجب ان يبقى المستحم في الماء من ١٥ دقيقة الى ثلاثة ارباع الساعة . ٤ - الاستحمام بالشمس - يخفف ضغط الدم لانه يحول جانباً من الدم الى الجلد ، فالتلويح الناتج عن التعرض للشمس نوع من الالتهاب الذي يحول الدم من الشرايين في الاعضاء الداخلية الى الجلد . هذا وقد سبق الكلام على النوم والراحة وبساطة المأكل وراحة العقل من الهلم والغم والقلق والخوف وما اليهما

بَابُ الْمُرَاسِلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

صورة قلعية

سعيد طهيمات بك

{ جاءتنا هذه الرسالة في تقدير رجل من
{ رجالنا العاملين فنشرناها مع الشكر }

المصور الاستاذ يؤولف من الوان عدة لوناً واحداً يجعله عمدته في اخراج لوحة باهرة . والطبيعة تجمع مواهب الانسان في فضيلة واحدة تجعلها عماده وسر نجاحه في الحياة . ولقد كان « ديموستينوس » خطيباً خصب ولكنه كان مرهوب الجانب من جميع الابطال الذين لا يدينون الا بالقوة . وكذلك تجتمع مواهب الانسان وقواه الطبيعية في فضيلة واحدة يرتفع بها حتى يبلغ القمة ولعل الكمال الحقيقي في التكوين لا يبدو في مظهر ابلغ ولا اجل من استخلاص فضيلة واحدة من مواهب مجتمعة . وغالباً ما تتمثل القدوة العليا في هذه الفضيلة ويظل العصر يرى فيها الصورة الكاملة للنبوغ ، كأن اجتماع المزايا والمواهب بهذه الطريقة قوة اخرى تضيفها الطبيعة الى سائر القوى المجتمعة لظهار عبقرية الانسان وتحليد عمله . وزى ان المواهب قد تنصرف بكلياتها الى وجه ما من وجوه العمل كالدفاع عن الحق مثلاً ، واماننا مثل صادق لهذه الحالة يمكن اي نتبينه في شخصية سعيد بك طهيمات

هو رجل مثقف هادئ ، قوي الارادة ، واسع افق التخيل شديد الملاحظة ، متسعر الذكاء اوتي من راحة العقل وقوة النفس ما لم يرزق كثير . تقابله فتلقى رجلاً من الطراز الاول ، وتصيب فيه نديماً ظريف المحاضرة له مشاركة في كثير من العلوم والآداب ، على وجهه الباسم الهدوء والركة والحزم معاً ، تنظر اليه فلا تستطيع ان تقاوم ما فيه من قوة ، قوة الرجل الذي الصلب النافذ البصر ، وهو دائم الابتسام يحدثك في صوت هادئ وعبارات مفصلة مترنة دون ان يستفيض ، فاذا اعتلى منبر الخطابة انفجر وتعاظم ، وسيطر بقوة بيانه وعلمه الغزير المتدفق على اذهان سامعيه وقد عرفته محامياً فعرفت فيه كفاءة المحامي وقدرته ، ونبوغه ، وطهارة خلقه ونزاهته ، ومهولة طبعه ، ولين جانبه ، مع عذوبة في القول ، ووضوح في البيان ، وعرفت فيه لساناً حلواً ، سلساً ، متدفقاً يعف عن الهجر ، ولا يعرف الحشو . وعرفته وكيلاً للقومسيون البلدي فعرفت فيه راحة الحلم وحصافة الرأي وقوة العارضة ، يتكلم بلسان عربي فصيح في غير تعقيد ولا تكلف ، بل يسترسل استرسالاً كأنه يتحدث اليك ، فتفتح له مغاليق القلوب والاذهان

وسعيد بك تغمره طبيعة الخير من جميع نواحيه ، فما رأيته سئل المعروف من جابه او ماله الأ
 بذله لمن يعرف ومن لا يعرف ، ولمن يحب ومن يكره ، ما دام قادراً على بذله ، وهو من أئمة القانون ،
 ومن المصريين القلائل الذين احترمهم رجال القضاء والقانون الاجانب لذلكهم وسعة اطلاعهم وقوة
 حجبتهم . والذين عرفوه لا يجدون اي فارق بين هدوئه وظرف حديثه وقوته وحماسته في مواقف
 الخطابة . فكلما ازدادت الصفات قوة ازدادت اساقاً ولعل الظرف والهدوء اللذين امتاز بهما من
 مظاهر تلك النفس القوية في مواطن تحتاج فيها النفس الى الاستجمام وليس في ذلك ما يستغرب فان
 الشخصيات العظيمة لا تني تتطلب من الطبيعة الاستزادة في قواها دون ان تتخلى مع ذلك عن شيء
 من ظرفها وخلقها الاجتماعي

كلما حادثته ازدادت يقيناً بان شخصيته القوية مرآة صادقة لما اوتي من مواهب ومزايا ، وانه
 الرجل الوطني النبيل الحائز لثقة الجميع واعجابهم . ونعتقد ان اجل مظاهر الاحتفال التي تقام لشخصية
 كبيرة لا توازي قيمة الدقائق التي تشعر فيها هذه الشخصية برضاء ضميرها وانها ادت المهمة التي
 اخذتها على عاتقها نحو الوطن والناس خيراً . من اجل ذلك يعجب جميع الذين يقتربون من الاستاذ طليان
 بتواضعه ولطفه وقوة نفسه . ومن اجل ذلك استطاع ان يحوز ثقة الوطنيين والاجانب على السواء
 افتتح حياته العملية بالاشتغال بالمحاماة ثم كان مجاهداً سياسياً في صفوف المشتغلين بالدفاع عن
 القضية المصرية . وكان اول وكيل وطني لقومسيون بلدية الاسكندرية تولى الدفاع عن مصالح
 الوطنيين . وهو اليوم مستشار قضائي معترف بسعة علمه وقوة رأيه وكفايته . وقد تقدم الى الحياة
 في البدء بموهبة فذة مستخلصة من قوى مجتمعة فيه وهي موهبة البلاغة والذكاء والمقدرة على الدفاع
 عن الحق ، واعانتته شخصيته الممتازة وصفاته الموروثة والمكتسبة على تولي الزعامة في تقرير حقوق
 البلاد ومصالحها السياسية والاجتماعية ، ولم يوله جهاده في ميدان السياسة ثقة أعظم ولا اعجاباً اكمل
 مما حازه في سبيل الدفاع عن مصالح الاهلين في حجرة القومسيون البلدي . وكان سر نجاح هذا المحامي
 الجليل بل سر استحوذه في وقت قصير على ثقة الجماعة انه يعمل دون اعلان عن نفسه ودون ان
 يطلب جزاء على عمله من اي نوع . فلم يكن في اي وقت ميالاً الى ان يستعمل نفوذه او الثقة التي
 احرزها لمصلحة احد او لحيازة مصلحة ما لنفسه وبقي قانعاً بمقدرته ونجاحه على انهما خير جزاء
 لارضاء ضميره

وقد ارتفع مقامه في نظر الجماهير عند ما تولى مهمته الدقيقة في القومسيون البلدي ووقف يدافع
 عن مصالح المدينة ويدل بسعة اطلاعه في المسائل الفنية ويطلب بتحقيق المقترحات التي تعيد الى
 مدينة عريقة في المدنية سالف مجدها وكان في هذه المهمة التي اخذها على عاتقه خطيباً ومشرعاً
 وانسانياً يحض على معونة معاهد العلم والبر بالبلاغة وقوة الاقتناع التي دعا بها الى مساعدة المسرح .
 ولم يكن في هذه المسائل الجدية الدقيقة معاً يخلو من حب للفن والجمال يحض عليه ذوقه كرجل



سعيد بك طليحات

امام صفحة ٢٣٩

مقتطف فبراير ١٩٣٤

منصف وعظيم الدراية بفنون الحياة الاجتماعية . وكان استاذاً في المسائل الاجتماعية الكبيرة التي تلائم مواهبه وطبيعته تفكيره وجهاده . وكان في هذه المسائل ايضاً محامياً ومشرعاً .
ونذكر ان عند ما وضع قانون نقابة عمال الترام في سبتمبر سنة ١٩١٩ وتولى الدفاع عن حقوق اولئك العمال كان كمن أتم رسالة انسانية كبيرة وحقق غايه تضمن له والآخرين خلود الذكر . بل تكفل تحقيق ذلك المستقبل الباهر الذي تأمله الانسانية من جهاد النخبة المثقفة . وقد كان اول مستشار لنقابات العمال وهو الذي تولى وضع قانون نقابة عمال الترام المعمول به الى الآن واليه يرجع الفضل في تأليف لجنة التوفيق بين العمال واصحاب الاعمال التي عمل فيها مع جرانفل باشا .
ونحن اذا شرحنا نشأة الاستاذ طليمان واتينا بتفاصيل حياته المفعمة بالمواقف الوطنية الجليلة لانستطيع ان نميزها عن حياة سائر الاقطاب من حيث انها بسيطة وكاملة معاً . وقد انحدر من صلب اب فاضل كان من المقاولين ذوي اليسار وكان جده لايه من التجار الذين اتسعت معاملاتهم بين مصر والسودان والشام ويتصل نسب اسرته الى الحسن بن علي بن ابي طالب . وكان طبيعياً ان تهادى طفولته في افانين من التربية العالية حتى أضفى عليه الذكاء او الخلق الكريم حلة من نباهة الصيت في مطلع شبابه .

وقد كانت المعارف الاولى التي اضاءت ذهن طليمان الفتى هي تلك المعارف نفسها التي تعنى جماعة القبر ببنها على اعتبار انها عنصر حضارة ومدنية . وكان في حفظ هذه المعارف وهضمها متفوقاً اذ لم يلبث الا بضع سنوات حتى نال شهادة البكالوريا وانتظم في مدرسة الحقوق وتخرج منها سنة ١٩٠٥ وكان طبيعياً ان يمتحن هذا الحقوقي الشاب معلوماته ومقدرته في تجارب للمحاماة قضاها بنجاح في مصر واسيوط الى سنة ١٩٠٧ حيث عاد الى الاسكندرية موطن اقامته الاصلي واتخذها ميداناً لمواهبه . وفي الحقيقة انه ما لبث ان اشتهر بهذه المواهب وكان اول اشتهاره في العمل مع جماعة الوطنيين المشتغلين بالسياسة وكان صاحب الزعامة وقتئذ هو المغفور له مصطفى كامل باشا . ولما شهد الجمهور آيات وطنيته وحماسته عين رئيساً للجنة الحزب الوطني بالاسكندرية وفي سنة ١٩٠٨ زار اوربا للقيام بدعاية واسعة للقضية المصرية والدفاع عن حقوق المصريين وما لبث ان تقررت في القلوب تلك الثقة العظيمة التي يحرزها عادة المجاهد الذي يدافع عن القضايا العادلة . وفي سنة ١٩٢٢ صار عضواً في الوفد المنتدب عن الحزب الوطني في مؤتمر لوزان وكان الوفد مؤلفاً من رجال دفعتهم وقتئذ غيرهم العظيمة على القضية المصرية الى السعي لتوحيد الجهود اتقاء لكل ما يمكن ان يمس هذه القضية . وهناك في روما تقابل هذا الوفد واتفق مع سائر الذين تولوا وقتئذ العمل لحل القضية المصرية على ميثاق وطني كان موضوع ايمان جميع الذين يحبون مصر وحريتها واستقلالها . واشترى طليمان بك بعد ذلك جريدة الامة من الصوفاني بك واخذ يكتب فيها مقالات سياسية بحماسة عظيمة حتى عطلت في عهد وزارة ثروت باشا

وفي سنة ١٩٢٢ اذ كانت شهرة ذلك المحامي الوطني قد اوضحت موضوع إعجاب الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه انتخب عضواً في القومسيون البلدي وكان انتخابه لهذه العضوية ايضاً متفقاً مع مزاجه وطبيعة المهمة التي خلق من اجلها وهي الدفاع عن المصالح والحقوق

ولما زار المغفور له سعد باشا في «رويا لبيان» اثناء الحقبة القصيرة التي كان يستريح فيها سعد باشا بعد عودته من مالطه اقترنت وقتئذ تحيته للزعيم الخالد بتقدير الزعيم لعمله المجرد الذي يحقق من أجل تحرير الجماعات وخلاصها . وفي اثناء ذلك لم ينقطع طلبات عن تأليف المقالات الضافية في سبيل شرح المسائل الوطنية . وكان يعنى من جهة اخرى بمسائل المدينة التي يتناولها القومسيون البلدي . ولما كانت حركة الموظفين الاجانب بالبلدية وقاموا يطالبون بمنحهم فوق العالوات التي يستحقونها مكافآت استثنائية كبيرة عارض في ذلك حتى حمل الاجانب على قبول فكرته ، وقررت الهيئة باجماع الآراء رفض مقترحات الحكومة وترتب على ذلك حل القومسيون . ولما كانت حركة مايو سنة ١٩٢٦ وصدر ذلك القرار الذي قضت فيه وزارة زيور باشا بتوسيع اختصاصات المأمورية البلدية على حساب القومسيون لم يتمالك العضو الخبير بقوانين البلدية واختصاصات دورها الا المعارضة الشديدة وترتب على معارضته ان حل القومسيون مرة ثانية

ولما تولى وكالة القومسيون وكان اول وكيل وطني تولى هذه المهمة الدقيقة منذ اربعين سنة ودل على احراره لثقة الوطنيين والاجانب معاً تمكن من بحث مسائل كبيرة لمصلحة المدينة والاهلين وبخاصة مسألة ترام الرمل التي دل فيها على خبرة واسعة اذ لبث يسعى لانتزاع الخط من الشركة في عهد وزارة عدلي باشا فكللت مساعيه بالنجاح . واصدر عدلي باشا قراراً بتأليف لجنة خاصة تتولي درس المسألة قوامها احمد عبد الوهاب باشا والمسيو اوزوالد غره وطليمات بك بصفته وكيلاً للقومسيون والاستاذ الفريد ليان وقد اتصلت هذه اللجنة بالمسيو سلفاجو رئيس مجلس ادارة الشركة بغية الوصول الى حل ملائم فلم يأت ذلك بفائدة . ثم جاءت وزارة ثروت باشا فعهدت اليه بوضع تقرير مستفيض يتضمن تفصيلات وافية عن تاريخ انشاء الخط في سنة ١٨٩١ والاطوار التي مر بها فاضطر طلبات بك ان يقيم في القاهرة مدة اربعة أشهر يتصل في خلالها بقلم القضايا ويراجع شتى الملفات المتعلقة بالخط في مختلف الوزارات كالاشغال والداخلية وسكرتيرية مجلس الوزراء واستعان بطائفة من المهندسين الفنيين وقد وضع تقريراً مستفيضاً يقع في مائتي صفحة وكانت النتيجة التي يرجع الفضل فيها الى الاستاذ طلبات ان الحكومة تولت تدبير الخط وادارته وكان فوزاً للمصلحة الوطنية يعترف فيه لجهد الاستاذ طلبات وخبرته وكفايته . كذلك يرجع اليه الفضل في بحث مشكلة سعر النور الكهربائي في الاسكندرية فقد تولى رئاسة مختلف اللجان التي الفت لدراستها وله فيها مواقف جليلة اثار فيها السبيل امام هيئة القومسيون

وصفوة القول ان طلبات بك كان قوة فعالة في القومسيون وكانت كلمته في المقام الاعلى في جميع

المسائل وكان يحكم عبارته احكاماً بديعاً عند ما تحتد مناقشات القومسيون غير انه كان يستعين بفطرته في الدفاع على مباراة اولئك الاعضاء وكان كحام متفوق تكاد تكون الخطابة في سليقته وطبيعته . وهو بعد كرجل اجتماعي واسع الشهرة لا يترك سبيلا لنصرة قضية دون ان يجعل لمزاياه وصفاته الكبيرة أثراً ظاهراً في ذلك حتى تعبيراته ومحاوراته باللغة الفرنسية فكانت هذه المزايا والصفات مطابقة للمهمة الجليلة التي اسندت اليه في القومسيون والفضل لهذه المزايا والصفات نهسها في ارتفاع ميزان التقدير الذي كان غير مألوف في البلدية ازاء العنصر الوطني وقد كان طول المدة التي أدى فيها مهمته في وكالة القومسيون المثل العالي لكل ما يتمناه اولئك الذين وقفوا حياتهم لخدمة الحضارة عن طريق الاصلاح والعمران نقولا شكري

في بحور الشعر

كتب صديقي الدكتور بشر فارس في مقتطف الشهر الماضي كلمة حول نقدي لصنّاجة الرياشي ردّها عليّ مُدافعاً عن الأبيات التي أحسستُ نشازاً في موسيقاها ، وقال إني وإهم في حسابها سافطة الوزن وان التحقيق يثبت غير ما ذهبْتُ إليه حيث قد استعمل الشاعر إباحات عروضية استشهد صديقي على شيوعها وتواترها بأبيات للشريف الرضي ومهيار وأبي تمام وأبي العلاء والبحري وغيرهم ، وأنا لا أنعرض لرأيه إلاّ من ناحيتين ، الاولى انه كان يجدر به أن يقطع أبيات الرياشي ، والثانية اني لاحظت ويلاحظ كل من يقرأ الابيات التي استشهد بها صديقي أن موسيقاها لم تفقد شيئاً من تسلسلها حتى يشعر بها الذوق مثلما يشعر عند تلاوة أبيات الرياشي التي أشرت إليها . وسواء أكان الحق في جانب صديقي أم كان في جانبي فإن ما أراه أن الذوق هو الذي يحكم في كل شيء ولحكمه الكلمة المسموعة ، فكم من اشياء لا تختلف في ذاتها عن الحدود التي يجب أن تكون عليها والاصول التي يجب أن تنحصر في دائرتها ، حكم عليها الذوق بالخالفه

والشعر اول ما يُطلب منه موسيقاه ليستهوي قارئه فيما يجوب من أودية ويهبط الى أغوار ويرتفع الى سموات ، والموسيقى إن لم تراعى حكم الذوق فلا يمكن لها ان تؤثر في السامع انني أستسيغ من الشاعر استعماله بحوراً مختلفة في قصيدة واحدة على شريطة أن يراعي تقاربها في الروح الموسيقية فلا تكون متنافرة أما أن تكون القصيدة من بحر واحد ثم تحتلها الزخافات اختلالاً شيئاً يقف امامها الذوق وقفة المتمرد الساخط فهذا ما لا أستسيغه . ويرى بعض العروضيين ان من الخير ان يجتهد الشاعر في المحافظة على الوحدة الموسيقية فاذا استعمل شيئاً من الزخافات يجب ان يستعمله بعينه في كل الابيات او يلزم الاصل

واني لا أنهر هذه الفرصة فأشكر لصديقي رغبته في البحث عن الحقيقة من وراء المناقشات الهادئة والله يهدينا جميعاً الى ما فيه الصواب ما حسن كامل الصيرفي

مكتبة المقتطف

ايفان بونين

الفائز بجائزة نوبل الادبية عن سنة ١٩٣٣

فرح الذين يرون في منح جائزة نوبل الادبية اكليلاً من الغار يكلل حياة مؤلف مجيد ، اذ اعلن انها منسحت لايفان بونين المؤلف الروسي المقيم في باريس ، لانه في رأي كبار النقدة ، فنّان من الطبقة الاولى لا ريب فيه . واثر بونين الادبي واسع النطاق . فهو شاعر ومترجم (ترجم الى الروسية قصيدة هياواتا للشاعر الاميري لوتفغلو وروايات بيرون التمثيلية) ومؤلف اقصيص وروايات وكتب ورحلات تنطوي على شعر وفلسفة . والبلدان التي شملها بريشته الساحرة تختلف من روسيا الى غرب اوربا الى الجزائر وفلسطين والشرق الادنى . فهو من هذه الناحية يفوق كل كاتب روسي آخر . وقد خلف آثاراً خالدة في مختلف ابواب الكتابة الادبية . ولكن النقدة مجمعون على انه تفوق في الاقصوصة والرواية او بالحري الرواية المتوسطة الطول

هو الآن في الثالثة والستين من عمره . وقد مضى عليه زمن طويل منذ ذاعت شهرته في روسيا ورسخت قدمه بين كبار ادبائها . فكان يحسب قبيل الحرب امام كتاب النثر عند الروس ، والوريث الشرعي لعظماء مؤلفي الروايات عندهم في القرن التاسع عشر . وقد آيدت الاكاديمية في بتروغراد هذا الرأي اذ انتخبته عضواً شرف فيها سنة ١٩٠٩ وهو نخر لم ينله من قبل الا تشيكوف وغوركي . ومع ذلك فبونين لم يرتفع الى ذروة عظمته الفنية ، الا بعد الانقلاب الروسي ومعيشته منفياً في باريس . وانت تحمده في روايته المتوسطة الطول التي عنوانها « حب ميتيا » واقصوصته « ضربة الشمس » وروايته حياة ارسينيف (وفيها طرف من سيرته ولم يظهر منها الا اجزاؤها الاولى في الفرنسية والروسية) اعلى مقاماً منه في جميع مؤلفاته السابقة . ويقول الناقد الروسي الكسندر نازاروف انه بعد الاطلاع على هذه الكتب ، يبدو لك ان ما يدعيه المعجبون به من انه يفوق تشيكوف ، كلام ليس فيه مغالاة . وهو برهان حي يرد قول القائلين ، بان الكتاب الروس اذا اقتلعت جذورهم من تربة بلادهم ، ذووا وجفوا . ما اكثر الايات الادبية التي كتبت في النني من مهزلة دانتى الى اشعار هيبي . اما مؤلفات بونين ، فمثل آخر في هذه السلسلة المتصلة الحلقات

ذاعت شهرة بونين في بلاده وهو ما يزال في مطلع حياته الادبية ، ولكن الاعتراف العالمي بمكانته ، تأخر حتى اكتمل . نعم ان مؤلفاته المشهورة ترجمت بعيد الحرب الى الانكليزية والفرنسية

والألمانية والسويدية . والنقاد في أوربا وأميركا ، حكموا له بالاجادة والتفوق . ولكن الجماهير الدولية لم تقبل على مطالعة كتبه ، ولعل ذلك لأنه لم يحاول قط ان يعالج فيها الموضوعات التي تسترعي النظر بل هو يعمد في الغالب الى معالجة الموضوعات الدهرية فيسبغ عليها فنياً ونوراً من فنه وذكائه وهو الآن اشعث الناصية ، حليق العارضين والشاربين متوسط القامة منتصبها ، لاتدل هيئته على انه تخطى الستين . في عينيه النافذتين معاني الصرامة التي يأخذ بها نفسه وفنّه ، وقوة الارادة والجماح المكبوح . فاذا عرفه الرجل عرف فيه الدمائية والطف والحديث الاخاذ . في حديثه المعية متوقدة ، ونكتة بارعة . بل هو مثل تشاليابين الممثل والمغني في مقدرته على تقليد الاشخاص والاصوات ، حتى لتحسّ انهم منك بلمس وسميع . أما ان تسمعه يقرأ عليك قصصه بنفسه ، فلذة نادرة

ولد في طبقة من الروس ، اخرجت لروسيا ، انبع نوابغها في الادب الموسيقي والثقافة بوجه عام وهي الطبقة التي تنصب عليها جامات الغضب من الحكومة المستأثرة بالحكم في البلاد ، والجماهير من اتباعها . بل هو متحدث من اسرة نبيلة ، تسلسل فيها النبوغ اجيالاً متوالية . فمن الافراد الذين انجبتهم اسرة بونين ، أنا بونين الشاعر الروسية الاولى (القرن الثامن عشر) وزخوفسكي الشاعر ، صديق بوشكين ومعلم الامبراطور اسكندر الثاني . فنشأ ايفان في املاك ابيه ، وهي في ناحية من روسيا ، اطلعت من قبل كوكي تولستوي وترجنيف . هناك ينطق بالروسية على اصفاها واسلمها . جذور بونين العقلية والروحية متصلة اقوى اتصال ، بالارض الروسية وثقافتها . ومن هنا فهمه الذي لا يسامت لنفس الفلاح الروسي ، على ما صورّه في قصته « القرية » . وقد قال غوركي في هذه الرواية ما يأتي : - « كان بونين الكاتب الوحيد ، الذي تجرأ على ان يصف الفلاح الروسي كما هو . من دون ان يضفي عليه ثوباً لا يلبسه عادة ... » ومن هنا ايضاً عنايته بموضوع آخر هو انحلال الاسر الروسية النبيلة ، وتداعي قصورها وانثلال مجدها القديم

وهو لا يخفي احتقاره لكتاب « التجربة السوفيتية العظيمة » ومع ان نقاد موسكو ينحنون امام فنه ، الاّ انهم يتحدثون عنه وفي حديثهم مرارة الحقد ، ويصفونه بكونه « رجعيّاً في يده سوط » . بيد انك لا تستطيع ان تحسب نزعة بونين الفلسفية ، ناجمة عن شعوره بما اصاب الطبقة التي هو منها . الاّ اذا كنت ممن لا يرى في عمل انسان ما غير الاثرة . ومن يعرف بونين يعرف انه يحب روسيا ، نبيلها وفلاحها على السواء . ولذلك لا يستطيع ان يعطف على تحويلها الى معمل تجرّب فيها التجارب ، التي تقترح بعض اصحاب المذاهب الفلسفية والاقتصادية ، ولكنها تبسط على البلاد ظلال التعس والشقاء . فتحويل روسيا الى امة سوفيتية يعني في نظره موت ثقافة قديمة ، ولادة ثقافة جديدة . ويندر ان يتناول روسيا في كتابته ، الاّ اذا كتب مقالة لصحيفة ، ولكنه وصف نظره الى التجربة السوفيتية وصفاً فنياً بليغاً في قصته « الربيع الابدي »

هدية الكروان

هذا عنوان الجزء السادس من دواوين الكاتب الشهير والشاعر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد وهو يقع في مائة وخمسين صحيفة ونيف من القطع الصغير ويحتوي على طائفة رائعة من جيد الشعر الحديث وعنوانه مقتبس من الجزء الاول منه خص الشاعر به هذا الطائر المعروف الذي يسمع في الاجواء المصرية من شمال وجنوب . وقد نعى على الشعراء المصريين قلة ما ينظمونه فيه وكثرة ما يعنون بالبلبل الذي لانسمعه وعد ذلك بحق « محاكاة منقولة تصدر من الورق البالي وتؤذي النفس كما يؤذيها كل تصنع لا حقيقة فيه » لان العقاد شاعر صادق الشعور صحيح العاطفة مستقيم الفكر لا يتقيد بغيره ولا يهمه من تقدمه سواء أمن شعراء الشرق كان ام من شعراء الغرب . واطهر ما تتضح فكرته تلك في حشره ذاك الصنف من الشعراء في صنف الببغاء من الطير فيقول :

ما اشتغال بمورد لست منه بناهل
وانصراف عن الذي انت منه بساحل
أنت عندي بذا وذا جاهل اي جاهل

وليس العقاد حديث العهد بمناجاة الكروان فقد نظم فيه قصيدة نشرها في الجزء الاول من دواوينه ثم اعاد في هذا الجزء نشر بعض ابياتها واندفع بعد ذلك في قصائده الاخرى يخاطب الطائر ويصفه ويناجيه ويساهره ويسامرهم ويسأله لعباً بمعانيه عميق التفكير في استخلاص عبر الحياة وشؤونها واسمع الخيال في تحليقه وحواره

ولا شك ان كروانيات العقاد فتح جديد للشعر الحديث تتدقق نغماً وتسيل روعة وعذوبة وفي الديوان موضوعات شتى من رائق الشعر ورأعه لم يخرج فيها العقاد عن اسلوبه السابق ومنحاه الذي انتحاه في دواوينه السالفة . ولقد آخذه النقد لما نشر ديوانه وحي الاربعين ، بان ذلك الشعر كان اكثر افكاراً مقتضبة في نظيم له وعليه اذا صحَّ ذلك النقد في بعض تلك المقطوعات فانه اسراف وجور في اخذ ديوانه وحي الاربعين به جملة . غير ان ما من ناقد يمكنه اليوم ان ينسب ذلك الى هدية الكروان . والظاهرة العجيبة في نفسية العقاد انه على كثرة اشتغاله بالسياسة والانصراف الى عمله الصحافي الذي يستغرق تفكيره وجهوده في حزبيته المعروفة يرى ناحيته الشعرية تزيد نضوجاً يوماً فيوماً وتسلك تطورها الطبيعي في هدوء وسكينة . كأن هذا الشاعر غير ذلك الصحافي المجاهد بينما غيره قد نضبت شاعريتهم واقبلعوا عن القوافي والاوزان الى مشاغلهم ومرترقهم . لان العقاد يجد صحيفة الطبيعة منشورة امامه يقرأ فيها مستريحاً ويستبطن اسرارها ويتغلغل في اعماق تضاعفها أما اذا ألمنا بمناحيه الشعرية جملة ودخلنا في تفاصيل خياله وعاطفته فاننا نجد شخصيته تتجلى في قوافيه بقوتها العهيدة ولطفها العهيد وخشونتها العهيدة وتلك مزية الرجولة الحققة فليست العاطفة

مسيطر على نفسه لان فكره يتغلب عليها في معظم الاحايين وليست الفكرة مسيطرة على نفسه لان العاطفة تتخللها فتتلف من حدتها وتكبح من جاحها . ولعل فكره يثير عاطفته اكثر مما تثير عاطفته فكره . فهو كأنما ينقل قلبه الى رأسه أسرع مما يتنزل رأسه الى قلبه وما أحسن قوله يناجي ساعي البريد

يا طائفـــــــــاً بالدور كالقدر المقدر
يا خـــــــــير والنبور في ساعة البريد
في لحظة تنتشر منك المنى والعبر
وانت ماض تعبر كالكوكب البعيد
كن ابداً مردي بالخبر السعيد
وبابتسام العبد يا ساعي البريد

ثم يقول له في قصيدة اخرى

الطريق الآن لا ارقبه لارى وجهك لكن لارى ...

ولسنا ندل على تلك الظاهرة النفسية حتى نقرر تبايناً فيها او مغايرة بينها . كلاً فللعقاد « شعر عاطفي » كما يتظرف المحدثون في هذه التسمية تعدد من الطراز الاول في هذا النوع . والمقطوعات « هبوط نفس » صفحة ٩١ و « فوق الحب » صفحة ١٠٠ و « مولد » صفحة ١٠٧ وغيرها كثير هي بلا ريب في الطليعة منه . ومن الشعر الذي تغلب الفكرة العاطفة فيه قصيدة « تسلم » صفحة ٦٩ و « صنوف الحب » صفحة ١١٢ على روعتها وغيرها فانها مسرح للخيال والعاطفة ولكن الفكر مسيطر على مجلتها

واذا كانت شخصية الشاعر على ما هي عليه من القوة والجبروت فانها تقل عن نفسها اذا تناولت موضوعات لا تلائمها واظهر ظاهرة على ذلك قصيدة « كاس وضوء » صفحة ٧٢ فانها غير موفقة على الرغم من ندرة تفكيرها واستقامة اسلوبها ومثيلاتها في الديوان قليلة جداً بحمد الله ولا شك ان الكلام عن اسلوب العقاد مفروغ منه لان جزائته ونخامته وقراره الفاظه المنتقاة في امكنتها من البلاغة مشهورة معروفة فلا يتحذلقن احد بنقده مثلاً في قوله

هنا—ويا حسن ماضت هنا—قدح تغوي قلوب العطاشى اى اغواء

فيقال له ان القدح هي التي لا شراب فيها والافهي كاس وان مهيار الديلمي لا يصح الاستشهاد بقوله واذكروا حياً اذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدح

نقول ان مثل هذا التصديق على اللغة ومثل هذه الخدلة في النقد مما لا نفهمه ولا نريد ان نفهمه بقي ان نشير الى اروع قصيدة في الديوان وهي قصيدة « كلماتي » صفحة ٨٥ فان فيها من مبتكر التفكير وطريف الحسن وبالغ الشعر ما نود ان يتذوقه كل مطالع لها واليك بعض ابيات تؤيد ما نقول :

هل معيني وحيك الصادق ام وحي اللغات
 ما ضياء ثم في الافق وفي كل الجهات
 لا من الارض ولا من دائرة الافلاك آت
 لا تراه غير عيني وهو ملء الكائنات
 رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات
 رب آباد تجلت من كوى مختلفات
 وقطيرات زمان ملأت كأس حياة
 ثروة انفق منها لحياي ومماتي
 ولبعثي يوم اب تبعث في الطرس وصاتي
 لا يروح الصمت الا درجات درجات

هذا شعر نظن ان الكثيرين لا ممن يقرءون بل ممن يعالجون الشعر الحديث لا يحسون بما فيه من
 روعة وجمال وبما يفتح على الحياة من آفاق جديدة وقد يقرأونه وعبرون به ذلك ان الشعر كالجمال
 لا يمكن تحديده وتعريفه وتقسيمه لانه شعور يختلف قوة وضعفا باختلاف القوة والضعف من
 النفوس . و الامر لله من قبل ومن بعد

خ . ش

صوت الجيل

بقلم ابراهيم المصري — صفحاته ١٤٩ طبع بمطبعة ساابمصر

هذا كتاب بين الملتب والمتمد . ولولا قوة في المؤلف ومقدرة على التعبير ما استطاع ان يردف
 البحث الرزين بالنظرات العنيفة
 يلتب ابراهيم المصري حين ينصرف الى وصف الاحوال المصرية ويندد بمناقصها ويصرخ في
 وجوه الشيب ان تنحوا وافسحوا المكان للشبان فقد افسدتم هذا البلد وقعدتم به عند الجمود بل
 رجعت به القهقري ، وحين يصف العناء الذي يصيب المثقفين اولئك الذين يعيشون في بيئة ليست
 لهم وليسوا لها من حيث انها جامدة راكدة يتغلب السأم عليها وتضطرب المادة بين جنباتها وحين
 يعلن انه يؤمن بالثقافة ولا يرضى سواها ، وحين يشدد النكير على ما في الحياة المصرية من استهتار
 وضعف ومسكنة . ثم يتعد ابراهيم المصري اذ ينصرف الى النقد الادبي . فله في ميدانه جولات المقام
 الثبت . فان هو اخذ يتبصر في الادب المصري اجاد في التحليل والفحص . وله مقالان على جانب
 عظيم من النفاسة اولهما يبحث في النقد في مصر والثاني في القصة المصرية . ولا شك عندنا ان
 هذين المقالين بمنزلة الدراسات الغربية من حيث التأليف والبعد في النظر والصدق في القول . وبودنا

لو اطلع عليها نقاد هذا البلد لعلمهم يرفعون وقصاصه لعلمهم يقصون شيئاً من اجنحتهم المستطيلة — هذا وان اخذ ابراهيم المصري يتحدث عن الادب الغربي ذهب في النقد الى الحد الذي لا يكاد يترك مطلباً وراءه . ومن امثلة بحثه ما قال في (اناطول فرانس) و (تاغور) ثم انه يتعد فوق هذا حين يعتمد الى البحث الفلسفي . ومما تشرح له الصدور انه لا يبذل اقوالاً طالما رددناها او قرأناها ولا يخبط في تعبيره ولا يخلط . ومما ينوه بأرائه انها تثير النقاش والجدل . ومن ذلك اننا لا نذهب مذهبه في ان المصريين يسرفون في تغليب العقل على العاطفة فالواقع عندنا على خلاف هذا . ثم اننا لا نرى رأيه حين يقول ان ما من حب متبادل كامل عظيم تمكن من تغذية عبقرى بعناصر انسانية جديدة وهيئاً لفهم جوانب من الحياة كان يحلمها لان الحب الكامل انما هو صفاء وسكون اقرب الى الجمود والاكتفاء بالواقع منه الى النشاط والتجدد وما اليهما — فهل غاب عن المؤلف ان (اوجست كونت) و (بودلير) و (موسيه) لولا النساء اللواتي احبوهن الحب المنيع المطرد ما صنعوا شيئاً او ما كادوا يصنعون وبعد فما يلاحظ من مقالات « صوت الجيل » ان صاحبها ترجع ثقافته الى الفرنسية . ففيما يكتب بعض مميزات الرائعة الخلاقة مثل الوضوح والترتيب والتسلسل والاستشهاد وأما اسلوبه فخبار عنيف حين ياتى صاحبها ورصين متراص حين يتعد . الا انه على قوته ودلالته على المعنى احسن دلالة لينقصه الوشي والحبك ذلك « صوت الجيل » الا انه بقي ان نقول ان هذا الكتاب لما يعول عليه الباحثون فيما ياتي من الزمان في سبيل تدبر الحياة المصرية وذهنياتها للعهد الذي نحن فيه . وعليه فان « صوت الجيل » لمن المتوقع ان يبقى ولو من هذا الجانب

حيات في الغرب

تأليف سليم خياطة — طبع في بيروت — صفحاته ٣٦٨ قطع صغير

مؤلف هذا الكتاب ، على ما يلوح لنا ، شاب متوقد الذهن دقيق الملاحظة واسع الاطلاع زار الغرب حديثاً وتحوّل في انحاء عشرة اشهر او تزيد ، مستطلعاً انباءه معنيّاً بصراع الجماعات فيه ، مهتماً بتتبع التطوّر في مناهج السياسة العليا من فاشستية على صورها المتباينة ، وديمقراطية مخنصر في المانيا (قبل قيام النازي) وتناهب لتتحوّل في اميركا بزطمة روزفلت ، وشيوعية اخذها لنين عن ماركس ، وحوّل فيها هو واتباعه وفقاً لمقتضيات الحالة في روسيا ، وصهيونية تستعملها يد الاستعمار للحاربة نهضة العرب — على ما يقول المؤلف صفحة به — ولمكافحة اتحاد الجمهوريات السوفيتية . وهذا الجزء الذي بين يدينا يشمل مباحثه في الصهيونية والفاشستية ، وهو طافح بالملاحظات الطريفة والآراء التي قرأها لكتاب الغرب ، ثم رأى ما يؤيدها او ينفيها فيما شاهدته من الاوضاع والنظم .

ولولا عجمة في أسلوبه ، لكان الكتاب جامعاً لالوان النفاسة في التأليف . ولكنك تتعثر بين جملة ، وانت في ريب من نفسك ، هل هذه آراؤه ، كما يدلُّ سياق الكلام وحرارة الشعور ، او هو كلام مترجم ، كما يؤخذ من تركيب العبارة ؟ ونحن نرجِّح الرأي الاول ، ونريد ان نتوقع استقراراً في الاسلوب في كتابه التالي ، يجعله خالياً من عجمة التركيب في العبارة ونشوز في بعض الالفاظ والمصطلحات . فنحن مثلاً لا نستطيع ان نسيخ بحال من الاحوال قولاً كقوله (الدوتشه سلاطة تناقضات) او عبارة (نية حميمة تعانق ميول تفكيري ، تناغش فضولي وتهيجهُ) او عبارة (جميع هذه الطلاسم تحفر في الدماغ رهطاً من الافكار ...) . ونحن واثقون ان المؤلف سوف يكون له شأن في عالم الكتابة اذا هو عني بأسلوبه ، لانهُ يجمع في نفسه عناصر الكاتب المجيد من شدة في الاحساس وسعة في الاطلاع ودقة في الملاحظة واستقلال في الفكر ...

الحكيم وسامى

تأليف توفيق حسن نادر الشرتوني في ١٣٤ صفحة طبع بيروت سنة ١٩٣٣

قصة موضوعها بديع وهي كما يقول المؤلف في المقدمة (قصة كل فتى وفتاة وكل رجل وامرأة لان الطبيعة البشرية واحدة لا تتبدل ولا تتغير يشعر بها كل الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم واجناسهم) . والقصة تعرض فتى وفتاة قد تحابَّا ولكنهما غير متكافئين اخلاقاً وطبائعاً وميولاً الشاب يحبها حباً شهوانياً ويرى ان تكون الشرائع جميعها والتقاليد معبدة لطريقه الشهواني وان وقفت في طريقه نار عليها وعددها من مخلفات العصور القديمة التي لا يصح ان تطبق على هذا العصر . والفتاة عفة شريفة تحافظ على شرفها كما تحافظ بجانب هذا على اخلاصها لحبيبها ومن هنا اصطدمت الرغبات الفتاة تحبه ليكون زوجها شرعياً لها وهو يحبها لتكون خلية له فالقصة تعرض حباً غير متكافئ ثم هي فوق ذلك تبين اثر الحكماء في كل عصر وانهم مصابيح هدى ، فلولا الحكيم الذي تولى الفتاة سلمى بنصحها وارشادها لسقطت بين احضان هذا الفتى الخليع . ثم تعرض القصة فوق كل ذلك لنقطة لها شأنها هي الثورة على الشرائع والميول الاباحية فنرى حبيب سلمى يقول لها ليدفعها عن طريق الزواج الشرعي وليغيرها برأيه الاباحي (ما هي أهمية عقد الزواج الذي تريد ان تنقيد به ان عقد الزواج الصحيح هو ما تعقده الطبيعة على جميع احيائها لا ما يعقده الكهان والقضاة فاذا كان يعوقنا الآن ان نتمم شرائع الزواج دينياً او مدنياً فلماذا لا نتمم شرائع الطبيعة تلك الشرائع الغريزية التي يوحى بها الوجدان وحفظ الكيان لماذا لا يتزوج البشر كما يتزوج الاشجار لماذا لا يتخالطون كما تتخالط الاسماك في البحار والمجموعات في القفار لماذا نحافظ على هذه الشرائع العقيمة التي وضعها الاقدمون لعصورهم وهي لا تصلح لعصرنا ... الخ) ولقد تناول المؤلف هذه النقطة والرد عليها بشيء من التوسع

فالقصة في الواقع موضوعها جميل غير انه تنقصه الصورة الفنية التي يبرز بها فتشتمل عليه النفس وتؤثر به . لقد حررنا المؤلف من الوصف الدقيق والتحليل النفسي العميق فالقصصي في الواقع كل سام تماماً يجب ان يعطي القارئ صورة دقيقة ترسم في ذهنه تامة الوضوح والتعبير والتناسق . وحظ القصة التي أنا بصدها من هذا قليل جداً فليس فيها وصف للاماكن ولا لاشخاص القصة وليس فيها تحليل لنفسيات اشخاصها ولا للحالات التي تلازم نفوسهم في حوادثها . فنرى مثلاً ان المؤلف أوقع الفتاة سلمى في حيرة فهي لا تدري أتعلم برأي حبيبها وتثور على الشرف والشرائع أم تترك هذا الحبيب وتتكر له ولحبه ولكنه لم يعرض علينا النضال الذي قام في نفسها بين الشهوة والشرف أو بين الحب العف والحب الدنس واكتفى بان عرض نتيجة هذه الحيرة وهي اما ان تسلم أو تنتحر . ثم هو فوق ذلك يجعل هذه الفتاة التي ترى الانتحار أو التسليم تسلم برأي الحكيم الذي يقضي عليها بترك حبيبها وانتظار شخص آخر يكون جديراً بحبها دون مناقشة أو استياء كأنها لم تكن تعزم الانتحار وتفضله على ترك حبيبها . وامثال هذه المواقف التي يعرضها دون مقدمات كافية كثيرة في القصة فنراه مثلاً في اولها قد جعل الفتاة يستعر في قلبها نار الحب وتقضي الليل ساهرة تتوجع وتتلثم كل ذلك لانها رأت في الطريق شاباً يلحظها ويبتسم لها وأظننا لم نسمع بهذا الحب الغيف الذي تسببه ابتسامة من شاب مجهول في الطريق العام . ثم زاه في نقطة اخرى قد جعل الفتاة تحدث الحكيم بحديث حبها وفي صراحة تامة حتى تقول عن حبيبها انه (لمس كل موضع من جسمي الأ موضع عفتي) مع ان الحكيم رجل مجهول عندها بل لم تعرف اسمه الا بعد مقابلات كثيرة وذلك بمجرد ان سألهما بفضول عن سبب حزنهما . وقد فات المؤلف ان طبيعة الفتاة الشرقية تأبى ذلك بل ان حديث الحب من العسير جداً ان تتحدث به فتاة ومع شخص مجهول عندها اذا تجاوزنا عن امثال هذا القصور الفني كانت القصة بعد ذلك بديدة رى فيها كل شاب وفتاة عبرة لهم وعظة

عطيه فهمي شاهين

مختار البيان والتبيين للجاحظ

تصنيف خليل بيدس وشريف النشاشيبي في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط

وطبع بمطبعة بيت المقدس

الجاحظ امام من أئمة الادب والعلم نشأ عبقرية شأنه شأن اكثر الادياء في عصره فكان في مستهل حياته يبيع الخبز والسمك ولكنه لم يلبث حتى عاف هذه الحرفة وعكف على الادب وساعده استعداداه ورغبته وذاكؤه لان يكون عالماً من اعلام العلم والادب . وكتابه البيان والتبيين نال مكانة عظيمة في عالم الادب وشهرة واسعة وكان يعوق الشباب المثقف عن قراءته هو وغيره من كتب الادب العربي القديم رداً طبعه وعدم تهذيبه وكثرة استطراده الامر الذي يسبب الملل والسأم والذي يجعل الاستفادة منه قليلة والسير فيه عسيراً وهذا على ما اعتقد السبب في عزوف الشباب عن

الادب العربي واندفاعهم الى الادب الغربي الذي يهرم حسنه وسهولته ولقد احسن المصنفان خليل بيدس وشريف النشاشيبي باخراج كتاب البيان والتبيين في طبعه مبنية تتفق وذوق المطالع الحديث ولقد قاما حقاً بمجهود عظيم فقد جاء في المقدمة (وقد اختصرناه على ما يوافق غرضنا من هذا العمل ونحن حرصون على ان نختار افضله واجوده وننتقي اعذبه واطيبه ليكون كتاباً مدرسياً قريب المنال صافي المورد وقد جاهدنا جهاداً غير قليل في ترتيبه وتنسيقه فجمعنا كل بحث من ابحاثه في باب على حدة ثم ضبطناه وشرحناه وطبعناه طبعاً متقناً انيقاً على اجود ورق واحسن هيئة ولم نتصرف في ابحاثه بين زيادة ونقصان الا حيث كانت تدعو الحاجة او يضطرنا السياق ولكننا تصرفنا تصرفاً تاماً مطلقاً في ايراد الاخبار والاقتوال على ما يوافق الابواب)

والكتاب مصدّر بترجمة وافية للجاحظ ثم يتلو ذلك ابوابه وأولها حسن البيان وعي السان فالبلغة فالإيجاز فالشعر فالخطابة وهكذا الى نهاية الكتاب وهو يطالعنا في كل باب من هذه الابواب باقوال الادباء وآثارهم لا يتقيد في ذلك بعصر من العصور. فالكتاب من هذه الناحية له قيمته الادبية لانه يطلعنا على آراء كبار رجال الادب قديماً في بعض موضوعاته ثم هو فوق ذلك يعرض علينا كثيراً من الخطب والوصايا والحكم والنوادر والشعر. واطهاره على تلك الصورة التي تلائم الطالب تجعله في الحقيقة كتاباً مدرسياً مفيداً. اما انه ككتاب ادبي يصح ان يعتبر وسيلة ادبية فهذا لا يتلاءم مع التغير الذي طرأ عليه

ع. ف. ش.

محاولات في درس جبران

تأليف امين خالد يقع في ١٠٠ صفحة من الحجم الصغير

بين يدي كتاب صغير في درس جبران خليل جبران وهو في الحقيقة بحث جريء في موضوع جريء جبران كاتب حر التفكير جريء ولا بد لمن يدرسه من ان يكون جريئاً. والمؤلف في هذه الرسالة عميق التفكير دقيق البحث قوي الملاحظة شديد الانتباه وهي صفات يحب توافرها فيمن يتصدى لدرس امثال جبران فلا يجب ان نأخذ اقواله بمذلولها السطحي بل يلزم ان نغوص معه وننتعمق في معانيه حتى نصل الى الفكرة التي قصدها والغرض الذي اراده. ولقد وفق امين خالد في الغالب واطلعنا على نواح من جبران لها خطرنا ولكنها في بعض الاحيان لا تتفق معاً على النتيجة التي كان يستخلصها من مقدماته ولا على التعليل الذي يعلّل به بعض آرائه . . .

يبتدىء الكتاب بتوطئة قصيرة ثم دراسة العناصر المؤثرة في شخصية جبران ثم يعقبها نظرة جبران في الحب فنظرته في الاخلاق واللذة والواجب والتوبة ثم انشاء جبران وغير ذلك من الدراسات العميقة لفلسفة جبران وادبه فالكتاب مفيد لمن يريد ان يدرس هذا الفيلسوف الجريء - الذي اخذ الفلسفة من مدرسة الحياة - ويطلع على آرائه الحرة المتطرفة

ع. ف. ش.

بَابُ أَحْجَلِ الْعَالَمِ

الاجمة الفرنسية

بين النكبة والظفر

كبيرة رحلة السرب الفرنسي بقيادة الجنرال فويلمان لأنها ولا ريب رحلة خطيرة حافلة بالقوائد لم يهتم الرأي العام الدولي بهذه الرحلة الاهتمام الجديرة به لان الصحف لم تردد انباءها كما فعلت في حوادث اخرى من هذا القبيل . وخطر هذه الرحلة من وجهة تقدم الطيران انها الرحلة الاولى التي عنيت الحكومة الفرنسية بتنظيمها بعد محاولات الطيران الافراد من ايطاليا في مختلف نواحي الطيران واحرازهم اكليل الفوز في غير واحدة منها . فقد كنا نحن في ايطاليا اول من رأى ان عهد الجهد الفردي في الطيران قد انقضت فائدته وانه لا بد من تجربة التجارب برحلات الاسراب الجوية المنظمة لان ما ينجى من امثال هذه الرحلات اجدى نفعاً على ارتقاء الطيران . ورحلة سرب الجنرال فويلمان تدل على ان فرنسا اخذت بهذه الخطوة ولا ريب انها سوف تصيب فيها من الاجداد مثل ما اصابته في عهد الرحلات الفردية

انها لن تقف عند هذه المحاولة . لان الطيارات هي الحضارة . وليس في هذا القول مبالغة رغم الحوائل النفسية وغيرها مما أخرتقدم

من عجائب الطبيعة ان يتحاذى فيها الجبل والوادي ومن آيات الحياة ان يتقابل فيها الظفر والخذلان والفرح والالم . كذلك فكّرنا في ١٦ يناير اذ قرأنا في عمود واحد من احدى صحفنا نبأ عودة السرب الفرنسي من رحلته الجوية الافريقية يوم ١٥ يناير فاستقبل استقبالاً حافلاً في مطار لبورجه ونبأ النكبة التي حلت بالطيران الفرنسي بسقوط الطائرة « اميرود » واحتراق جميع ركبها في مساء ١٥ يناير نفسه

في يوم واحد بسمت الحياة لفرنسا وعبست . واذ كانت الطبيعة تحب فرنسا بغبطة الظفر في ناحية كانت تهيب لها كذلك مرارة الخذلان والالم النكبة في ناحية اخرى . غير ان فرنسا المجيدة تستطيع ان تتسامح بغبطتها والمهامعاً الى امجاد اخرى وقد اطلعنا في جريدة البوبولو دى طاليا على مقال نفيس للمرشال بالبو الايطالي — قائد السرب الذي طار من ايطاليا الى شيكاغو وعاد الى ايطاليا في السنة الماضية — عن رحلة السرب الفرنسي بقيادة الجنرال فويلمان فرأينا ان ثبت هنا طرفاً مما جاء فيها لمكانة رأيه في هذا الموضوع قال : ان الطيران الايطالي قد تتبع بعناية

الفرنسي دقة متناهية في القيام في المواعيد والوصول في المواعيد المعينة للمراحل المختلفة ولم يحدث لهم حادث يستحق التدوين لان السرب سار بحسب النظام الذي وضع له كانت الرحلة صعبة المراس وكانت الافطار التي اجتازها السرب يختلف احدها عن الآخر فقد طار فوق جبال شاهقة وجبال متوسطة العلو وصحار قاحلة شاسعة . فالنجاح تاج جدير بهذا الجهد العظيم

سم الاسنان وسم التعب

العناية بالاسنان من مستلزمات الصحة فاذا تركت الاسنان تفسد وتبلى ادى ذلك الى اضطراب الهضم . بل انه اذا كان في ميناء السن اصفر منفذ الى الداخل بات ذلك المنفذ الصغير بؤرة تتجمع فيها البكتيريا . وقد أبان الدكتور هيات من اساتذة مدرسة طب الاسنان في كلية جامعة نيويورك ان اصغر ثقب او شدة في السن يسع ٩ آلاف مليون من البكتيريا . وفحص مليوني سن فوجد انه اذا اهملت السن فانها تفسد وتبلى على نسبة ٢٠٠٠ الى ١ . والعلاج الوحيد هو حشو الثقوب التي في الاسنان والانتباه للطعام

ولما كان عدد الذين يهملون اسنانهم ويفضلون احتمال الالم على استشارة طبيب الاسنان كثيراً جداً لا عجب اذا كثرت الاصابات بالامراض الخاصة بالجهاز الهضمي وحوادث « التسمم » العام وهناك سم آخر لا ينتبه له كثيراً وهو سم التعب . وقد عرف ان التعب يولد سمّاً في الدم او « توكسيناً » سماه الدكتور فيختر الالماني

الطيران المنظم حتى الآن تأخيراً معيباً . وقد احسنت فرنسا في انها جعلت رحلتها الاولى مصبوغة بالصبغة الافريقية حيث تمتد امبراطوريتها العظيمة فتربط بين شعوبها والشعب الفرنسي ولا ريب في ان هذه الرحلة ستفتح طرقاً جديدة للمواصلات الجوية في الصحراء الكبرى اذ لا بد من ذلك هذا الحائل الكبير - اعني الصحراء الكبرى - التي يهواها طلاب المغامرة ولكنها تقف سداً في سبيل ترقية افريقية واستثمار مواردها الغنية لفائدة البشر

وقد افتتحت فرنسا خطها الجديدة برحلة احسن تديرها من كل الوجوه التجارية والفنية . فهي لم تصنع لهذه الرحلة طائرات جديدة ولا محركات جديدة بل قد استعملت الطائرات الشائع استعمالها في السلاح الجوي الفرنسي . ثم ان رحلة يجتاز فيها سرب من الطائرات مسافة عشرين الف كيلو متر في ٣٢ مرحلة في اربعين يوماً محتاج الى تنظيم دقيق في كل ما يتصل بطعام رجالها وبنزين الطائرات وأماكن اصلاحها اذا احتاجت الى اصلاح ومواقع النزول والقيام بوجه خاص لان اكبر جانب من الرحلة كان فوق صحار قاحلة

وقد اثبت الجنرال فويلمان انه رجل ممتاز وانه ادرك مقتضيات الطيران الحديث المنظم فسار في رحلته بعد شهر واحد من التمرين وهي رحلة محتاج الى صفات نادرة في الرجال من قوة الارادة ورباطة الجأش وضبط النفس . ان اجتياز سرب كبير من الطائرات للصحراء الكبرى مفخرة عظيمة للطيران العالمي وقد اثبت السرب

تهشيم الذرة

اطلق الاستاذ لورنس من جامعة كاليفورنيا دوتونات سريعة جداً على بعض المواد فهشمت بعض ذراتها واطلقت قدراً كبيراً من الطاقة . ووجهه كروكوفت وولطن من جامعة كمبرج الدوتونات الى عنصر البورون فهشمت بعض ذراته واطلقت قدراً كبيراً من الطاقة . وكذلك وجهه عالمان من علماء جامعة شيكاغو الدوتونات الى عنصر النيون فوصلا الى النتيجة نفسها . وحولت ذرات الليثيوم في كيل بالمانيا باطلاق بروتونات بطيئة ببطء نسبياً عليها

* ثبت امكان تحويل الطاقة الى كتلة باطلاق نوى ذرات الهليوم على عنصر الليثيوم

الايدروجين الثقيل

ذكرنا في انباء الكيمياء صفحة ٢٥٠ ان احد العلماء اقترح اطلاق اسم بروتيوم على الايدروجين العادي (وزن ١) واسم دوتيريوم على نظيره الايدروجين الثقيل (وزن ٢) وقد قرأنا الآن ان اللورد رذرفورد اقترح اطلاق « دبلوجين » على الايدروجين الثقيل و « دبلون » على نواته استدراك

جاء في مقال « الطبيعة رائد المخترعين — المنشور في هذا الجزء من المقتطف » البقباق المائي والصواب البق المائي

ونبئنا الاديب روح شخاشيري بنجل الدكتور شخاشيري الى خطأ وقع في الصفحة ٤٤ من العدد الماضي سطري ٢٩ و ٣٠ والصواب بابدال لفظ « ماء » بلفظ « هواء » مرتين في السطر ٢٩

« كينوتوكسين » . ودرس هو والبروفسور انزل هذا الموضوع درساً وافياً . واليك خلاصة بحثهما : —

ان معظم الامراض الخطرة يسبقها شعور بالفتور والتراخي الشديدين وكل من اصيب بالانفلونزا او ذات الرئة (النومونيا) او القرمزية او التهاب اللوزتين وغيرها يعلم ذلك الشعور بالتعب الشديد عند هجوم المرض وبان الرجلان لا تكادان تحملان الجسم

فوجد الباحثان المذكوران ان سبب هذا الشعور هو امتصاص الجسم للجراثيم الخاصة بالمرض فاستدلاً من ذلك على ان التعب ناشئ كذلك عن « تسمم » الجسم بنوع من التوكسين . وحقق الدكتور انزل عضلات ضفدع تعب بمحلول الملح في الاوردة غاسلاً به التوكسين الذي سبب تعب العضلات فعاد الى العضلات نشاطها المعتاد

وتبين له ان حالة التعب ناشئة عن زيادة الحمض في الجسم . ولمقاومة هذه الحالة نذخر في اجسامنا مقادير من المادة القلوية . وهذه المادة تفرزها اجسامنا وتمتصها مدة اشتغالها بعمل شاق متعب . وكذلك تفرز اجسامنا العرق الغزير في الرياضة العنيفة . والعرق حمض مالح مشبع بتوكسين التعب . فاذا تعب الجسم تعباً عادياً فان النوم يزيل هذا التوكسين منه فاذا لم يسترح الاستراحة اللازمة في النوم شعر بالتعب والاعياء واذا دام الحال على هذا المنوال اي اذا تعبنا كثيراً ولم تنل اجسامنا القسط اللازم لها من الراحة والتعويض اما من قلة الغذاء او من قلة النوم فانها لا تلبث ان يدركها الضنى

العلم في العام الماضي

الطبيعة



* كانت أدنى درجات الحرارة التي بلغها علماء جامعة ليدن بهولندا -273°C من الدرجة فوق الصفر المطلق ، وهي درجة البرد التي تقف عندها حركة الذرات

* اثبت الدكتور بلاكت والباحث اوكياليني في جامعة كمبرج وجود البوزيترون (الكهرب الموجب) الذي اكتشفه الدكتور كارل اندرسن احد اساتذة جامعة كاليفورنيا

* اطلق اسم دوتون Deuton على نواة الايدروجين الثقيل الذي كشف سنة ١٩٣١ ودعي دوتيريوم Deuterium

* يرى الدكتور بلاكت مثبت وجود البوزيترون ان الفضاء بين المجرات حافل ببوزيترونات عظيمة الطاقة . وان مجموع كتلتها جزء لا بأس به من كتلة الكون

* دلت المباحث التي قام بها كومطن وملكن في الاشعة الكونية على انها خليط من الدقائق والفوتونات (دقائق الضوء) وقد يكون في بعضها بوزيترونات (كهرب موجبة)

* اثبتت تجارب مركوني ان الامواج اللاسلكية القصيرة تخترق الجبال وتتحدب بتحدب الارض فتبلغ المحطات اللاقطة التي وراء الافق * تبين من مباحث العلماء في سويسرا وانكلترا ان الاوزون يكثر في الجو على ارتفاع ثمانية اميال فوق سطح البحر

* يذهب الدكتور فرانز كوري Kurie

احد اساتذة جامعة ياييل الى ان النيوترون دقيقة اساسية من دقائق الكون وليس مركباً من كهرب وبروتون محشوكين معاً اي ان احدهما قريب من الآخر حتى يكاد ان يكونان متلاصقين

الكيمياء



* صنع الاستاذ لويس (جامعة كاليفورنيا) اقل ماء عرف حتى الآن لان الماء الذي صنعه كان مركباً (٩٩٩ في المائة) من نظير الايدروجين الذي وزنه ٢ وهو المعروف بالدوتيريوم . وقد ثبت في جامعة برنستن ان الماء الثقيل (اذا كان ٩٢ في المائة من ايدروجينه ايدروجيناً ثقيلاً «دوتيريوم») يميت دعاميص الضفادع وبعض الاسماك والديدان

* اقترح ان يدعى الايدروجين (وزن ١) بروتيوم وان يدعى نظيره (وزن ٢) وهو الايدروجين الثقيل دوتيريوم

* كشف الاستاذ استن (جامعة كمبرج) وهو المعروف بابي النظائر نظيرين جديدين لعنصر الزئبق وزن احدهما ١٩٧ ووزن الآخر ٢٠٣

* تمكن الكيماوي المجري زنت جورجي من تحويل السكر والنشاء الى مواد ابسط تركيباً ، بتعريضها لفعل امواج الصوت التي لا تسمع لقصرها . واثبت عالمان من جامعة بنسلفانيا ان امواج صوتية مما يمكن سماعه ، تجسمد المواد الزلالية وتحول الادهان النباتية وتحول السكر الى غلوكوز



الطيران

* كان اعلى ما حلق اليه الانسان ارتفاع ٦٢٣٤٠ قدماً بلغه الطيارون الروس في بلون ولم يعترف به اعترافاً رسمياً. اما الرقم القياسي فهو ٦١٢٤٣ قدماً فوق سطح البحر بلغه الكومندر ستل والمajor فوردني من البحرية الاميركية في خلال معرض شيكاغو في اواخر الصيف الماضي

* طار الطيار الاميركي وينلي بوست حول الارض في سبعة ايام وبضع ساعات. بدأ رحلته من نيويورك فعبّر المحيط الاطلنطي ثم طار فوق اوربا الى روسيا فاجتاز سيبيريا الى الاسكا ومنها جنوباً الى الولايات المتحدة فقطعها من الغرب الى الشرق. وكان وحده في هذه الرحلة وهو أعور

* ضرب الملازم فرنشسكو أجلو الايطالي الرقم القياسي العالمي للسرعة بطيارة مائية اذ بلغت سرعته في ١٠ ابريل ١٩٢٢ ٤٢٣ الميل في الساعة (١٦٨ ر ٦٨٢ كيلو متر في الساعة) او اكثر قليلاً من سبعة اميال في الدقيقة

* اعلى ما بلغه الطيارون بطيارة ٤٤٨١٩ قدماً (١٣٦٦١ متراً) وهذا الرقم القياسي للطيار الفرنسي لوموان

* ضرب الطياران الفرنسيان رومي وكودوس الرقم القياسي العالمي في طول مدى الطيران اذ طارا من نيويورك الى الرياق في سهل البقاع في رحلة واحدة والمسافة ٥٦٧٥٣٨٧ الميل أو ٩١٠٤٧٠٠ الكيلو متر — وطار الطياران الانكليزيان غانفورد ونيكولتس من انكلترا الى

جنوب افريقية الغربية مسافة ٥٣٤١ ميلاً في ٥٧ ساعة و ٢٥ دقيقة — وطار الطيار تشارلس اولم من انكلترا الى استراليا في ستة ايام و ١٧ ساعة و ٥٧ دقيقة

* ظل الطيار الالماني كورت شمت محلقاً ٣٦ ساعة و ٣٥ دقيقة في الهواء بطيارة من الطيارات المعروفة بالسباحات في الهواء (اي بلا محرك)

* واجتاز الطيار الاميركي الكولونيل روسكو ترز الولايات المتحدة الاميركية من لوس انجلوس الى نيويورك في ١٠ ساعات وخمس دقائق و ٣٠ ثانية. فكان متوسط سرعته نحو ٣٠٠ ميل في الساعة

الفلك



* في ١٩ اكتوبر تساقط في اوربا شؤبوب من الشهب لم يحسب الفلكيون له حساباً

* في اغسطس ظهرت كلفة كبيرة على سطح السيار زحل

* حسب الاستاذ جوي Joy (استاذ علم الفلك سابقاً في جامعة بيروت الاميركية) ان الجرة تدور كمعجلة العرب في مدة قدرها ب ٢٤٠٠٠٠٠٠٠ سنة

* حسب الدكتور مكلن احد أساتذة جامعة كاليفورنيا ان حرارة قلب الشمس تبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠٠ درجة مئوية على الاكثر

* المرجح بحسب مباحث علماء الفلك في مرصد مشيعن بمدينة بلومفيلد (جنوب افريقية) ان نجماً من كل اربعة نجوم في الفضاء هو نجم مزدوج

* صنع حوض جاف في سوئمن يتسع لاصلاح او ترميم باخرة حملتها ١٠٠ الف طن
* اشرف النفق الذي يبنى تحت مرفأ بوسطن (وطوله ٥٧٠٠ قدم) على التمام وينتظر ان يفتح في خلال سنة ١٩٣٤ لسير المركبات فيه فيصل مدينة بوسطن بما يعرف عندهم باسم بوسطن الشرقية
* صنع مصعد لحدى بنايات مدينة روكفلر التي شيدت في قلب نيويورك يقال ان سرعته ١٤٠٠ قدم في الدقيقة

* تم نقل التيار الكهربائي مباشرة بين نيويورك ومدينة دالاس بولاية تكساس ، والمسافة ١٨٥٠ ميلاً

* بني في مدينة اشفيل تنيسي برج لاسلكي علوه ٨٧٨ قدماً هو اعلى الابراج اللاسلكية التي بنيت حتى الآن على ما يُعلم

الطب



* كان البحث في الغدة النخامية ، في طليعة المباحث التي طالجها العلماء في السنة الماضية فأثبتوا انها تفرز هرمونات لها اثر في النمو والحيوية التناسلية ، واستعمال الجسم للسكر ، وافراز اللبن في الاناث . وبين الدكتور هكتور مورتيير احد اطباء بوسطن ، ان تاريخ فعل الغدة النخامية في صحة الانسان ونموه العقلي الجسماني يمكن ان يستخلص مما يصيب الجمجمة من وجوه التغير ، على ما يُشاهد في صور الاشعة السينية
* بين الاستاذ ارثر كوكا ، احد علماء كلية الطب بجامعة كورنل ، ان التلقيح الواقي من

* اكتشف فرع مرصد هارفرد بمدينة جوهانسبرج (جنوب افريقية) نجماً متغيراً يتغير قدره (لمعانه) ١٦ مرة في اليوم

* يرى الاستاذ رسل فلكي جامعة برنستن ان بناء العناصر الثقيلة من الايدروجين هو مصدر الحرارة العالية داخل النجوم

* اثبت الدكتور ووترفيلد الفلكي الانكليزي ان لمعان القمر المحسوف يبلغ ٣.١ من لمعان البدر

* تبين ان العنصر الذي ظن انه كشف في الشمس ودعي كورونيوم (اي الاكيلي) هو وعنصر الاكسجين واحد. وذلك بحسب مباحث طائفة من العلماء في مرصد هارفرد ومعهد ماستشوستس الصناعي

* اكتشفت ثلاثة مذنبات ، الاول في فبراير كشفه احد هواة الفلك والثاني في يوليو كشفه الاستاذ غارورينا احد علماء مرصد مدريد والثالث في اكتوبر كشفه الدكتور هويل احد علماء مرصد هارفرد

الهندسة



* فازت الباخرة الايطالية «ركس» بقصب السبق في سرعة عبور المحيط الاطلنطي اذ قطعت مسافة ٣١٨١ ميلاً من جبل طارق الى منارة امبروز امام نيويورك في ٤ ايام و١٣ ساعة و٥٨ دقيقة
* بلغت سرعة السر ملكم كبل بسيارته على شاطئ ديتونا باميركا ٢٧٢٦١٠٨ الميل في الساعة

والجسم ، شبه بفعل هرمون الغدة الحلوة
— الانسولين — في السكر

* عولجت سبع حوادث من تأخر النمو —
حتى لكاد يكون اصحابها اقزاماً — بخلاصة
هرمون الغدة النخامية الذي يزيد النمو. وعولجت
نساءً اصبن بالشيخوخة قبل زمانها على اثر ازالة
الاعضاء التناسلية بمادة تعرف باسم ثيلين
Theelin وهي هرمون الانثى الجنسي (الشقي)

* هيّجت غريزة بناء الاوكر في اناث
الارانب بمحقنها بعقار محتوي على المادة الفعالة من
غدد امرأة حامل تدعى استر بوجن تينتر من
مدينة سنسناتي الاميركية

* صنعت آلة كهربائية لمستشفى الرحمة في
شيكاغو ضغطها الكهربائي ٨٠٠ الف فولط ،
لتستعمل في معالجة السرطان

* صنع الفيتامين C المانع للاسكربوط
بالتركيب الكيميائي في معهد زورنخ البوليتكنيك
وقرر الدكتور ملر من اساتذة جامعة بال انه وجد
علاقة بين الغذاء الذي يقدمه فيتامين C وكتاركتا
العين وايّده في ذلك جماعة من اطباء اميركا

* ظهر من المباحث التي اجريت في معهد
ركفلر الطبي ان الاستعداد للمرض صفة وراثية
كلون العينين والشعر والجلد

* ادعى الدكتور مكيني والدكتورة
اليزابت ثردر من كلية الطب بجامعة جورج واشنطن
(سانت لويس) انهما فازا بزرع مستعمرات من
باشلس الجذام في مزدروات صناعية خارج الجسم

النزلة الصدرية قد يصبح مستطاعاً ، لانه اثبت
ان الاصابة بها يمكن منعها بمحقن تحت الجلد
تحتوي على سم جراثيم النزلة . وبذلك يصبح
منع هذا المرض ومنع الجدري من قبيل واحد
* اثبت الدكتور سيمون فلكسندر ، احد
علماء معهد روكفلر الطبي ان الفيروس المسبب
لداء شلل الاطفال ينتقل من الانف الى الدماغ عن
طريق خلايا عصب الشم لان فروع هذا العصب
معرضة على سطح الغشاء المخاطي داخل الانف

* من اعجب العمليات الجراحية التي تمت
في خلال السنة الماضية ، نزع رئة كاملة من صدر
طفل مصاب بسرطان الرئة والطفل الآن حي
معافى . وقد اجري هذه العملية الدكتور
رينهوف في مستشفى جونز هبكنز . وكان قد
سبقة الى عملية نزع الرئة الدكتوران جراهام
وسنجر في كلية الطب بجامعة جورج واشنطن
(مدينة سانت لويس)

* يستعمل نزع الغدة الدرقة السويدية الآن
لازالة احتقان القلب وتخفيض وطأة الذبحة
القؤادية Engina Pectoris

* استخلص الطبيب غرولمان وفيردر
— بجامعة جونز هبكنز — مادة من قشرة
الغدد الكلوية ، يظن انها لتقاوتها ، هي هرمون
الغدة الصافي . ويقال ان البحث جار الآن ،
والامل كبير في صنع هرمون الغدد الكلوية
بالتركيب الكيميائي . وقد بين الدكتور زويمر
— جامعة كولومبيا — ان هرمون قشرة الغدة
الكلوية له اثر في تعديل مقدار الماء والملح

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثمانين

صفحة

علم الطبيعة بين عهدين . نفوذ صروف	١٢٩
المصطلحات العلمية : للامير مصطفى الشهابي	١٣٤
وقفة في سلع (قصيدة) للشيخ فؤاد باشا الخطيب	١٤٢
غلاب الموت	١٤٤
كيف تولدت الطيور	١٥١
عناية الحيوان بنسله : للدكتور كامل منصور	١٥٣
أثر الحضارة العربية : لمحمد كرد علي	١٥٨
جهاد الملك فيصل : لامين الريحاني	١٦٤
غيوم الحريف (قصيدة) : لخليل شيبوب	١٧٠
آياته في خلقه : الطبيعة رائد المخترعين	١٧١
قابي . . . يا قلبي (قصيدة) : لمصطفى صادق الرافعي	١٧٧
النيل في العهد الفرعوني : للدكتور حسن كمال	١٧٨
السفن والملاح في مصر : للدكتور علي مظهر	١٨٤
الصناعة في العراق : لامين سعيد	١٨٨
تشخيص النساء : للدكتور شوكت موفق الشطي	١٩١
الخبراء الاجانب : لاجد عطية الله	١٩٥
واعظ المنصور	١٩٨
سير الزمان : معاهدات الصالح - اقطاب العالم - المانيا ونزع السلاح	٢٠١
حديقة المقتطف : الانذار المثلث : لارثر شنتزل - الايمان : لالفونس دي لامرتين - عواصف . المرأة والبركة : لوليم هنري دايفس - النار والجمد : لروبرت فرست - الدين : لجسي رتنهوس	٢١٧
مملكة المرأة : الشقاء في الزواج - بناء الجسم وتغذيته - المرأة بين الغيرة والحب - عقل الطفل . لاجد عطية الله - ضغط الدم والصحة	٢٢٥
باب المراسلة والمناظرة * سعيد طلحات بك : لنقولا شكري . في بحور الشعر العربي : لحسن كامل الصيرفي	٩٣٢
مكتبة المقتطف * ايفان بونين . هدية الكروان . صوت الجبل . حيات في الغرب . الحكيم وسلمي . مختار البيان والتبيين . ومطبوعات اخرى	١٤٤
باب الاخبار العلمية : العلم في العام الماضي - الطبيعة . الكيمياء . الطيران . الفلك . الهندسة . الطب	٢٥٧